



حياة الإمام

علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام

دراسة تحليلية للسيرة الأخلاقية والعلمية

والسياسية للإمام زين العابدين عليه السلام

(٣٨ - ٩٥ هـ / ٦٥٩ - ٧١٣ م)

الشيخ الدكتور

عبدالله أحمد اليوسف

الجزء الثاني

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٣ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾^(١)

صدق الله العلي العظيم

الباب الرابع

السيرة السياسية للإمام زين العابدين (عليه السلام)

الفصل الأول: الإمام زين العابدين (عليه السلام) وحكام عصره

الفصل الثاني: المواقف السياسية للإمام زين العابدين (عليه السلام)

الفصل الثالث: خطط الإمام زين العابدين في مواجهة الاستبداد الأموي

الفصل الأول

الإمام زين العابدين (عليه السلام) وحكام عصره

مدخل تمهيدي

يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (٦١ - ٦٤ هـ / ٦٨٠ - ٦٨٣ م)

معاوية بن يزيد بن معاوية (٦٤ هـ - ٦٤ هـ / ٦٨٣ - ٦٨٤ م)

عبدالله بن الزبير بن العوام (٦٤ - ٧٣ هـ / ٦٨٣ - ٦٩٢ م)

مروان بن الحكم بن أبي العاص (٦٤ - ٦٥ هـ / ٦٨٤ - ٦٨٥ م)

عبدالمملك بن مروان بن الحكم (٦٥ - ٨٦ هـ / ٦٨٥ - ٧٠٥ م)

الوليد بن عبدالمملك بن مروان (٨٦ - ٩٦ هـ / ٧٠٧ - ٧١٥ م)



مدخل تمهيدي

تتطلب معرفة السيرة السياسية للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام دراسة وقراءة حياة وسير حكام عصره من بني أمية ولو بصورة إجمالية، وموقفهم من الإمام، وموقفه منهم، ومعرفة الأحداث السياسية التي عاصرها أيام إمامته، ومواقفه السياسية البارزة حتى نكوّن فهماً واعياً لهذا البعد المهم في حياته الشريفة.

وشهد الإمام تفاصيل أهم حدث في تاريخ الإسلام، وهو واقعة كربلاء الأليمة، وما حدث فيها من مأسٍ وفضائع بحق أبيه الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وصفوة أصحابه ورجاله، وما تعرّض له بعد ذلك من المحن والأثر، وتحمل مسؤولية الركب الحسيني من كربلاء مروراً بالشام وانتهاءً بالمدينة المنورة التي استقرّ فيها، وما وقع من انتفاضات وثورات وأحداث كثيرة أيام إمامته والتي امتدت من سنة ٦١ للهجرة حتى قبض في سنة ٩٥ للهجرة.

وعاصر الإمام ستة من الحكام القساة الذين فرضوا عليه مراقبة شديدة لرصد جميع نشاطاته وتحركاته وخطبه ودروسه الدينية، ولكنه استطاع بعمله الهادئ، وتركيزه العلمي على تربية جيل مؤمن وواعٍ وبصير، ونشر العلم والمعرفة الدينية، أن يحقق (بنسبة كبيرة) ما كان يصبو إليه من أهداف في تثبيت أصول الإسلام وفروعه وفق مدرسة أهل البيت الأطهار.

ومع صعوبة الأوضاع السياسية في زمانه، وسخونة الأحداث السياسية، واشتداد الاستبداد الأموي، والقهر السياسي، وممارسة الظلم ضد مدرسة أهل البيت الأطهار إلا أن الإمام عليه السلام، مع ذلك واجه حكام بني أمية بكل قوة وشجاعة قلّ نظيرها، وخصوصاً في مواجهته لعبيد الله بن زياد، ويزيد

بن معاوية في مجلسه رغم تبختره وتصوره أنه انتصر بقتله لسيد الشهداء (عليه السلام)، لكن الإمام أكد على بقاء مدرسة أهل البيت وانتصارهم الحقيقي في نهاية الأمر.

وفي هذا الفصل سنتناول بشيء من التفصيل نبذة تحليلية عن حكام عصره الذين عاصروهم الإمام أيام إمامته (٦١ - ٩٥ هـ)، وتعامل الإمام معهم، وتعاملهم معه، وهم:

- ١- يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (٦١ - ٦٤ هـ / ٦٨٠ - ٦٨٣ م)^(١).
- ٢- معاوية بن يزيد بن معاوية (٦٤ هـ - ٦٤ هـ / ٦٨٣ - ٦٨٤ م).
- ٣- عبدالله بن الزبير بن العوام (٦٤ - ٧٣ هـ / ٦٨٣ - ٦٩٢ م).
- ٤- مروان بن الحكم بن أبي العاص (٦٤ - ٦٥ هـ / ٦٨٤ - ٦٨٥ م).
- ٥- عبدالملك بن مروان بن الحكم (٦٥ - ٨٦ هـ / ٦٨٥ - ٧٠٥ م).
- ٦- الوليد بن عبدالملك بن مروان (٨٦ - ٩٦ هـ / ٧٠٧ - ٧١٥ م).

وقد عانى الإمام (عليه السلام) من هؤلاء الحكام الظلم والجور والعسف، وضيّقوا عليه الخناق، ووضعوا عليه العيون لمراقبته ورصد جميع تحركاته وأنشطته وأعماله، وكان للإمام (عليه السلام) مواقف مشهودة معهم، كما كان لهم مواقف مع الإمام يغلب عليها الطابع السلبي، وسنقف مع كل واحد من هؤلاء الحكام وقفة استطلاع وتأمل وتدقيق وتحليل، في ضوء ما دوّنته كتب السيرة والتاريخ والحديث، حتى يتبين لنا طبيعة المرحلة السياسية التي عاشها الإمام زين العابدين (عليه السلام).

١ - التواريخ التي بين الأقواس ناظرة إلى فترة الحكم لكل حاكم وليس مدة حياتهم.

يزيد بن معاوية بن أبي سفيان

(٦١ - ٦٤ هـ / ٦٨٠ - ٦٨٣ م)

تولّى يزيد بن معاوية الحكم بعد هلاك أبيه ثلاث سنوات وعدة أشهر (٦١ - ٦٤ هـ / ٦٨٠ - ٦٨٣ م). حدث في عهده القصير أحداثٌ كبيرة كان أخطرها ما وقع بأمره من قتل وإبادة للإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته الأتهار وأصحابه الأخيار في معركة عاشوراء سنة ٦١ للهجرة، وانتهاكه حرمة الحرمين الشريفين، واستباحته المدينة المنورة ومكة المكرمة.

كتب المؤرخ المسعودي عن بيعته المشؤومة: «وقد بويع يزيد بن معاوية، فكانت أيامه ثلاث سنين وثمانية أشهر إلا ثمانى ليال، وأخذ يزيد لابنه معاوية بن يزيد البيعة على الناس قبل موته. وهلك يزيد بحواريّن من أرض دمشق لسبع عشرة ليلة خلت من صفر سنة أربع وستين، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة»^(١).

وأما المؤرخ اليعقوبي فقد ذكر أن بيعته المشؤومة كانت في مستهل رجب سنة ٦٠ هـ^(٢)، وكذلك قال ابن الأثير^(٣)، والقول نفسه لابن كثير الدمشقي ولكنه أضاف: «فكان يوم بويع ابن أربع وثلاثين سنة»^(٤).

وكان سعيد بن المسيّب يطلق على فترة حكمه بالشؤم، فقد كتب اليعقوبي: «وكان سعيد بن المسيّب يسمي سني يزيد بن معاوية بالشؤم: في السنة الأولى قتل الحسين بن علي وأهل بيت رسول الله ﷺ، والثانية استبيح حرم رسول الله ﷺ وانتهكت حرمة المدينة، والثالثة سفكت الدماء في حرم الله وحرقت الكعبة»^(٥).

١ - مروج الذهب: ج ٣، ص ٥٠.

٢ - تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٧٧.

٣ - الكامل في التاريخ: ج ٣، ص ٣٧٧.

٤ - البداية والنهاية: ج ٦، ص ١٩١.

٥ - تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٦٨.

لقد اقترن اسم (يزيد) بأعظم جريمة ارتكبت في تاريخ المسلمين وهي قتل سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي ابن فاطمة الزهراء بنت النبي ﷺ مع أهل بيته من الرجال جميعاً باستثناء الإمام زين العابدين (عليه السلام) لأنه كان مريضاً، وابنه الإمام الباقر (عليه السلام) لأنه كان طفلاً صغيراً؛ ولذا فإن كثيراً من كتب التاريخ والسيرة والتراث تؤكد على أن تولي يزيد بن معاوية لمقاليد الخلافة لعنة من لعنات الزمن، وانحراف واضح عن نهج الإسلام الأصيل.

شخصية يزيد

تجمع كتب التاريخ والتراث على النظرة السلبية لشخصية يزيد بن معاوية، وأنه غير مؤهل لتولي الحكم، وإنما أخذت البيعة له تحت القهر والفرض والإكراه، وليس برضى الخاصة ولا العامة. ونشير إلى أبرز صفاته وخصائصه التي عُرف بها باختصار في النقاط الآتية:

١ - صفاته الجسمية والنفسية:

تتحدث كتب التاريخ والسيرة عن الصفات الجسمية ليزيد بن معاوية، فتنص على أنه كان شديد الأدمة بوجهه آثار الجدري. كما كان ضخماً، ذا سمنة، كثير الشعر. قال المسعودي: «وكان آدم شديد الأدمة، عظيم الهامة، بوجهه أثر جدري بيّن»^(١).

وذكر البلاذري: «وكان يزيد آدم جعداً معصوباً، أحور العينين، طوالاً، بوجهه أثر جدري»^(٢).

وكتب السيوطي: «كان ضخماً، كثير اللحم، كثير الشعر»^(٣).

١ - التنبيه والإشراف: ص ٢٦٤.

٢ - أنساب الأشراف: البلاذري، ج ٥، ص ٢٩٠.

٣ - تاريخ الخلفاء: السيوطي ص ٢٣٣.

وأما صفاته النفسية: ورث صفات جده أبي سفيان وأبيه معاوية من الغدر والنفاق، والطيش والاستهتار.

قال السيد مير علي الهندي:

«وكان يزيد قاسياً غداراً كأبيه، ولكنه ليس داهية مثله. كانت تنقصه القدرة على تغليف تصرفاته القاسية بستار من اللباقة الدبلوماسية الناعمة. وكانت طبيعته المنحلة، وخلقه المنحط لا تتسرب إليهما شفقة ولا عدل. كان يقتل ويعذب نشداناً للمتعة واللذة التي يشعر بها، وهو ينظر إلى آلام الآخرين، وكان بؤرة لأبشع الرذائل، وهامهم ندماءؤه من الجنسين خير شاهد على ذلك، لقد كانوا من حثالة المجتمع»^(١).

لقد كان جافي الخلق، مستهتراً، بعيداً عن جميع القيم الإنسانية، ومن أبرز ذاتياته ميله إلى إراقة الدماء، والإساءة إلى الناس، ففي السنة الأولى من حكمه القصير أباد عترة رسول الله ﷺ، وفي السنة الثانية أباح المدينة ثلاثة أيام وقتل سبع مئة رجل من المهاجرين والأنصار وعشرة آلاف من الموالي والعرب والتابعين^(٢).

٢- إدمانه على الخمر:

عُرف يزيد بإدمانه على شرب الخمر، فقد كتب المسعودي يقول: «وكان يزيد صاحب طرب وجوارح وكلاب وقروود وفهود ومنادمة على الشراب»^(٣). و«سار أصحاب يزيد وعماله على سيرته، حتى أظهر الناس شرب الشراب»^(٤) من دون حياء أو خجل أو خوف من الله تعالى.

ومن أشعار يزيد في الخمر:

أقولُ لصحب ضمت الكأس شملهم وداعي صبايات الهوى يترنمُ

١- روح الإسلام: ص ٢٩٦.

٢- موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام الحسين بن علي، باقر شريف القرشي، ج ١٣، ص ١٨١-١٨٢.

٣- مروج الذهب: ج ٣، ص ٦١.

٤- مروج الذهب: ج ٣، ص ٦٢.

خذوا بنصيب من نعيم ولذة فكل وإن طال المدى يتصرم
ولا تتركوا يوم السرور إلى غد فربَّ غد يأتي بما ليس يعلم^(١)
وجلس ذات يوم على شرابه، وعن يمينه ابن زياد، وذلك بعد قتل
الحسين (عليه السلام)، فأقبل على ساقيه، فقال:
اسقني شربةً تروني مُشاشيثم ملِّ فاسقٍ مثلها ابن زياد
صاحب السرِّ والأمانة عنديولتسديد مغنمي وجهادي
ثم أمر المغنين فغنوا به^(٢).

وقد أكد الإمام الحسين (عليه السلام) على حقيقة إدمان يزيد للخمور، حيث
كتب إلى معاوية كتاباً يُقرِّعه^(٣) فيه ويبيِّته^(٤) بأمور صنَّعها، كان فيه:
«ثُمَّ وَلَيْتَ ابْنَكَ وَهُوَ غُلَامٌ يَشْرَبُ الشَّرَابَ وَيَلْهَوُ بِالْكِلَابِ، فَخُنْتَ أَمَانَتَكَ،
وَأَخْرَبْتَ (أَخْرَبْتَ) رَعِيَّتَكَ، وَلَمْ تُؤَدِّ نَصِيحَةَ رَبِّكَ، فَكَيْفَ تُؤَلِّي عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ (عليه السلام)
مَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ؟ وَشَارِبُ الْمُسْكِرِ مِنَ الْفَاسِقِينَ! وَشَارِبُ الْمُسْكِرِ مِنَ الْأَشْرَارِ!
وَلَيْسَ شَارِبُ الْمُسْكِرِ بِأَمِينٍ عَلَى دِرْهِمٍ، فَكَيْفَ عَلَى الْأُمَّةِ؟!»^(٥).

فشارب الخمر - كما يقول الإمام الحسين (عليه السلام) - ليس أهلاً للثقة
والأمانة حتى لدرهم واحد، فكيف بنولي مقاليد الخلافة للأمة؟!
وقد عاقر يزيد الخمر، ولقب بيزيد الخمرور، وبلغه يوماً أن المسور بن
مخرمة يرميه بشرب الخمرور، فكتب إلى عاملة في المدينة يأمره أن يجلد المسور
حد القذف، ففعل العامل ما أمر به، فقال المسور:

- ١ - فوات الوفيات: الكتبي، ج ٢، ص ٦٤٤. الكنى والألقاب: عباس القمي، ج ٢، ص ٥٢.
- ٢ - مروج الذهب: المسعودي، ج ٣، ص ٦١ - ٦٢.
- ٣ - التفریع: التعنيف والتثريب، وقرَّعه تقريباً: وَبَّخَهُ وَعَذَّلَهُ (تاج العروس: ج ١١ ص ٣٦٦ «قرع»).
- ٤ - التبكييت: التفریع والتوبيخ (النهاية: ج ١ ص ١٤٨ «بكت»).
- ٥ - دعائم الإسلام: ج ٢ ص ١٣٣ ح ٤٦٨، وفي بحار الأنوار: ج ٦٦ ص ٤٩٥ ح ٤١ عن الإمام الحسن (عليه السلام) ولكن مضمون الكتاب بعيد عن زمانه (عليه السلام).

أَيَشْرِبُهَا صُهْبَاءُ كَالْمُسْكِ رِيحُهَا أَبُو خَالِدٍ وَيَضْرِبُ الْحَدَّ مَسُورٌ
وَأَسْرَفَ فِي الْإِدْمَانِ حَتَّى إِنْ بَعْضُ الْمَصَادِرِ تَعَزَّوْا سَبَبَ وَفَاتِهِ إِلَى أَنَّهُ شَرِبَ
كَمِيَّةً كَبِيرَةً مِنْهُ فَأَصَابَهُ انْفِجَارٌ فَهَلَكَ مِنْهُ^(١).

وَمَنْ قَالَ بِذَلِكَ الذَّهَبِيِّ، إِذْ نَقَلَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ مَسْمٍ، قَالَ:
«سَكْرُ يَزِيدٍ، فَقَامَ يَرْقُصُ، فَسَقَطَ عَلَى رَأْسِهِ فَانْشَقَّ وَبَدَأَ دِمَاغَهُ».
وَأَضَافَ الذَّهَبِيُّ عَنْ يَزِيدٍ قَائِلًا: «وَكَانَ نَاصِيئًا، فَظًّا، غَلِيظًّا، جَلْفًا. يَتَنَاوَلُ
الْمُسْكِرَ، وَيَفْعَلُ الْمُنْكَرَ»^(٢).

وَكُتِبَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَارِيخِهِ: «اشْتَهَرَ يَزِيدٌ بِالْمَعَازِفِ وَشَرِبَ الْخُمُورَ وَالْغِنَاءَ
وَالصَّيْدَ، وَاتَّخَذَ الْقِيَانَ وَالْكَلاِبَ، وَالنَّطَاحَ بَيْنَ الْأَكْبَاشِ وَالذَّبَابِ وَالْقُرُودِ
وَمَا مِنْ يَوْمٍ إِلَّا وَيُصْبِحُ فِيهِ مَخْمُورًا»^(٣).

٣- وَلَعَهُ بِالْغِنَاءِ وَالطَّرْبِ:

كَانَ يَزِيدٌ مَوْلَعًا بِالْغِنَاءِ وَالطَّرْبِ وَالْمَجُونِ، وَكَانَ يَشْجَعُ عَلَى نَشْرِهِ بَيْنَ
النَّاسِ حَتَّى ضَعُفَ ارْتِبَاطُهُمُ بِالدِّينِ، وَإِظْهَارُهُمُ لِلْفُسَادِ وَالْمُنْكَرَاتِ مِنْ غِنَاءٍ
وَمَجُونٍ وَطَرْبٍ وَلَهُوَ وَرَقَصَ وَأَمْثَالَ ذَلِكَ مِنَ الْمَوْبَقَاتِ.

وَكَانَ يَزِيدٌ صَاحِبَ طَرْبٍ كَمَا نَصَّ عَلَى ذَلِكَ الْمَسْعُودِيُّ، وَأَضَافَ قَائِلًا:
«وَغَلَبَ عَلَى أَصْحَابِ يَزِيدٍ وَعَمَالِهِ مَا كَانَ يَفْعَلُهُ مِنَ الْفُسُوقِ، وَفِي أَيَّامِهِ ظَهَرَ
الْغِنَاءُ بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، وَاسْتَعْمَلَتِ الْمَلَاهِي»^(٤).

فَالْتَجَاهَرُ بِالْأَغَانِي وَالْمَجُونِ مَا كَانَ لِيُحْدِثَ لَوْلَا تَشْجِيعُ يَزِيدٍ عَلَى ذَلِكَ، مِنْ أَجْلِ
إِضْعَافِ الرُّوحِ الدِّينِيَّةِ عِنْدَ النَّاسِ، وَغَرَسِ حُبِّ الدُّنْيَا وَاللَّهُوِ وَالْغِنَاءِ وَالْفُسَادِ فِي قُلُوبِهِمْ.

١- موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام الحسين بن علي، باقر شريف القرشي، ج ١٣، ص ١٨٥.

٢- سير أعلام النبلاء: الذهبي، ج ٣، ص ٢٩٠، رقم ٤٥٥.

٣- البداية والنهاية: ج ٦، ص ٢٦٩.

٤- مروج الذهب: ج ٣، ص ٦١ - ٦٢.

وقال أبو الفرج الأصفهاني: «كان يزيد بن معاوية أول من سنّ الملاحى فى الإسلام من الخلفاء، وأوى المغنّين، وأظهر الفتك وشرب الخمر، وكان يُنادم عليها سرجونَ النصرانى مولاه، والأخطل - الشاعرَ النصرانىّ - وكان يأتيه من المغنّين (سائب خاثر) فيقيم عنده فيخلع عليه»^(١).

وقال البلاذري: «وكان يزيد بن معاوية أول من أظهر شرب الشراب، والاستهتار بالغناء والصيد، واتّخاذ القيان والغلمان، والتفكّه بما يضحك منه المترفون من القروء، والمُعافرة بالكلاب والديكة»^(٢).

ولانغماسه بالشهوات والملاحى والملاذات، كان يترك أداء الصلاة كما قال ابن كثير الدمشقي عنه: «وكان فيه أيضًا إقبال على الشهوات، وترك بعض الصلوات فى بعض الأوقات»^(٣). قال المحقق الشيخ باقر شريف القرشي (رحمه الله): «واصفى يزيد جماعة من الخلفاء والماجنين؛ فكان يقضى معهم لياليه الحمراء بين الشراب والغناء، وفى طليعة ندمائه الأخطل الشاعر المسيحي الخليع، فكانا يشربان ويسمعان الغناء، وإذا أراد السفر صحبه معه، ولما هلك يزيد وآل أمر الخلافة إلى عبدالمك بن مروان قرّبه فكان يدخل عليه بغير استئذان، وعليه جبة خز، وفى عنقه سلسلة من ذهب، والخمر يقطر من لحيته»^(٤). ووصف المسعودي تجاهر يزيد بالمعاصى فقال: «كان يبادر بلذّته، ويجاهر بمعصيته، ويستحسن خطاه، ويهوّن الأمور على نفسه فى دينه إذا صحّت له دنياه»^(٥).

ولتجاهر يزيد بالفسق والفجور، قال الصبيان فى حقه: «وأما فسقه فقد أجمعوا عليه»^(٦).

١ - الأغاني: ج ١٧، ص ١٩٢.

٢ - أنساب الأشراف: ج ٥، ص ٢٨٦، رقم ٧٦٥.

٣ - البداية والنهاية: ج ٦، ص ٢٦٣.

٤ - موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام الحسين بن علي، باقر شريف القرشي، ج ١٣، ص ١٨٦.

٥ - التنبيه والإشراف: ص ٢٦٤.

٦ - إسعاف الراغبين: ص ١٩٣.

٤ - شغفه بالقرود:

أجمع المؤرخون على شغف يزيد بالقرود، إذ كان له قرد، وكان يكنى بأبي قيس يحضره مجلس منادمته، ويطرح له متكاً، وكان قرداً خبيثاً، وكان يحمله على أتان وحشية قد ريخت وذللت لذلك بسرج ولجام ويسابق بها الخيل يوم الحلبة، فجاء في بعض الأيام سابقاً، فتناول القصبه ودخل الحجرة قبل الخيل، وعلى أبي قيس قباء من الحرير الأحمر والأصفر مشمر، وعلى رأسه قلنسوة من الحرير ذات ألوان بشقائق، وعلى الأتان سرج من الحرير الأحمر منقوش ملمع بأنواع من الألوان، فقال في ذلك بعض شعراء الشام في ذلك اليوم:

تَمَسَّكَ أبا قيس بِفَضْلِ عَنانها فليس عليها إِنْ سَقَطَتْ ضِمانُ

أَلَا مَنْ رَأَى الْقَرْدَ الَّذِي سَبَقَتْ بِهِ جِيادُ أُميرِ الْمُؤْمِنينَ أَتانُ^(١)

ونقل البلاذري عن المدائني والهيثم وغيرهما قالوا: كان ليزيد بن معاوية قرد يجعله بين يديه ويكنيه أبا قيس ويقول: هذا شيخ من بني إسرائيل أصاب خطيئة فمسخ، وكان يسقيه النبيذ ويضحك ممّا يصنع، وكان يحمله على أتان وحشيّة ويرسلها مع الخيل فيسبقها، فحمله عليها يوماً وجعل يقول:

تَمَسَّكَ أبا قيس بِفَضْلِ عَنانها فليس عليها إِنْ هَلَكْتَ ضِمانُ

فقد سبقت خيل الجماعة كلّها وخيل أمير المؤمنين أَتانُ^(٢)

وأرسله مرة في حلبة السباق فطرحته الريح فمات فحزن عليه حزناً شديداً، وأمر بتكفينه ودفنه كما أمر أهل الشام أن يعزوه بمصابه الأليم، وأنشأ رائيًا له: كم من كرام وقوم ذوو محافظة جاؤوا لنا ليعزوا في أبي قيس

١ - مروج الذهب: ج ٣، ص ٦٢.

٢ - أنساب الأشراف: ج ٥، ص ٢٨٧، رقم ٧٦٨.

شيخ العشيرة أمضاها وأجملها على الرؤوس وفي الأعناق والريس
لا يبعد الله قبراً أنت ساكنه فيه جمال وفيه لحة التيس^(١)
وذاع بين الناس هيامه وشغفه بالقرود حتى لقبوه بها، ويقول رجل من
تنوخ هاجياً له:

يزيد صديق القرد مل جوارنا فحن إلى أرض القرود يزيد
فتباً لمن أمسى علينا خليفة صحابته الأدنون منه قرود^(٢)
وأكد المؤرخ المسعودي على هذه الحقيقة بقوله: «وكان يزيد صاحب كلاب
وقرود وفهود»^(٣).

٥ - لهو بالصيد:

كان يزيد يقضي أغلب أوقاته في صيد اللهو، فكان يلهو ويلعب بالصيد
غير مكترث لقضايا الأمة وشؤونها.
يقول المؤرخون: «كان يزيد بن معاوية كلفاً بالصيد لاهياً به، وكان يلبس كلاب
الصيد الأساور من الذهب والجلال المنسوجة منه، ويهب لكل كلب عبداً يخدمه»^(٤).
وهكذا كان يزيد بن معاوية منغمساً في ملاهي الدنيا، ولاهياً في ملذاتها،
وناشراً للفساد والمجون والغناء والطرب، ويتعامل مع الناس بالقسوة
والشدة، ولا يهتمه أمر الأمة، أو الحفاظ على قيم الدين؛ ما جعل توليه
للخلافة لعنة من لعنات الزمن، ووصمة عار في تاريخ المسلمين.

١ - جواهر المطالب: ج ٢، ص ٣٠٤.

٢ - موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام الحسين بن علي، باقر شريف القرشي، ج ١٣، ص ١٨٢ - ١٨٣.

٣ - مروج الذهب: ج ٣، ص ٦١.

٤ - موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام الحسين بن علي، باقر شريف القرشي، ج ١٣، ص ١٨٢.

يزيد والموبقات الكبيرة

ارتكب يزيد بن معاوية بن أبي سفيان أثناء حكمه القصير (٦٨٠ - ٦٨٣ م) عددًا من الجرائم الوحشية والموبقات الكبيرة والمحرمات العظيمة، لكن أكثرها وحشية وأعظمها حرمة الموبقات الثلاث، وهي:

١ - قتل الإمام الحسين عليه السلام:

بدأ يزيد حكمه المشؤوم بجريمة عظيمة اهتز لها الكون كله، وهي جريمة قتل الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه الأخيار في معركة كربلاء المشهورة.

وقتل الإمام الحسين عليه السلام كان بأمر مباشر من يزيد كما يؤكد على ذلك معظم المؤرخين، وليس صحيحًا أنه لم يأمر بقتله كما ذهب لذلك بعض مؤيدي الأمويين وأتباعهم؛ فيزيد هو الذي خير عبيد الله بن زياد بين قتله أو قتل الإمام الحسين عليه السلام، وبين أن يبقى حرًا يحمل اللقب الأموي أو يعود عبدًا روميًا كما هو حقيقته، يقول عبيد الله بن زياد:

«أما قتلي الحسين فإنه أشار إليّ يزيد بقتله أو قتلي فاخترت قتله...»^(١).

وروى اليعقوبي أن يزيد كتب إلى عبيد الله بن زياد قائلاً:

«قد بلغني أن أهل الكوفة قد كتبوا إلى الحسين في القدوم عليهم، وأنه قد خرج من مكة متوجهًا نحوهم، وقد بُلي به بلدك من بين البلدان، وأيامك من بين الأيام، فإن قتلته، وإلا رجعت إلى نسبك وإلى أبيك عبيد، فاحذر أن يفوتك»^(٢).

وجريمة قتل الإمام الحسين عليه السلام وإبادة أهل البيت أعظم موبقة ارتكبتها يزيد في التاريخ، وأكبر جريمة وحشية حدثت على وجه الأرض.

١ - الكامل في التاريخ: ج ٤، ١٤٠.

٢ - تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٦٩.

٢ - استباحة المدينة المنورة:

كانت المدينة المنورة مركز أهل البيت، ففيها ولدوا ونشأوا وعاشوا مع جدهم رسول الله ﷺ، ولذا لما علم أهل المدينة باستشهاد الإمام الحسين (عليه السلام)، ورأوا ظلم بني أمية وجورهم عليهم أيضاً ثاروا ثورة عارمة، وطرّدوا والي يزيد عليها، وجميع بني أمية من المدينة المنورة.

فلما وصل الخبر إلى يزيد أرسل إليهم جيشاً جراراً بقيادة مسلم بن عقبة الذي أسرف في القتل والاغتصاب، واستباحة المدينة المنورة ثلاثة أيام حتى سمي بمسرف لكثرة إسرافه في إراقة الدماء، وانتهاك الحرمات والأعراض. كتب المؤرخ المسعودي عن أحداث المدينة المنورة، وما حدث فيها من قبل الجيش الأموي: «ولما شمل الناس جور يزيد وعماله، وعمّهم ظلمه، وما ظهر من فسقه: من قتله ابن بنت رسول الله ﷺ وأنصاره، وما أظهر من شرب الخمر، وسيرته سيرة فرعون، بل كان فرعون أعدل منه في رعيته، وأنصف منه لخاصته وعامته، أخرج أهل المدينة عامله عليهم (وهو عثمان بن محمد بن أبي سفيان) ومروان بن الحكم، وسائر بني أمية»^(١).

ويتحدث المؤرخ المسعودي عما فعل الجيش الأموي بأهل المدينة فكتب ما نصه: «ونما فعل أهل المدينة ببني أمية وعامل يزيد إلى يزيد، فسير إليهم بالجيوش من أهل الشام عليهم مسلم بن عقبة المري الذي أخاف المدينة ونهبها، وقتل أهلها، وبايعه أهلها على أنهم عبيد ليزيد، وسماها تنّة، وقد سماها رسول الله ﷺ طيبة، وقال: «من أخاف المدينة أخافه الله» فسمي مسلم هذا (لعنه الله) بمجرم ومسرف، لما كان من فعله»^(٢).

١ - مروج الذهب: ج ٣، ص ٦٣.

٢ - مروج الذهب: المسعودي، ج ٣، ص ٦٣.

وقتل الجيش الأموي في الموضع المعروف بالحرّة آلاف الناس شر قتلة وأوغل في القتل والذبح، ومن سلم منهم أمرهم بالبيعة ليزيد، وأن يكونوا عبيدًا له!

وتحدث المؤرخون حول فجائع تلك الواقعة الرهيبة، فكتب المؤرخ الشهير المسعودي: «ولما انتهى الجيش من المدينة إلى الموضع المعروف بالحرّة وعليهم مُسرف خرج إلى حربه أهلها، عليهم عبدالله بن مطيع العدوي وعبدالله بن حنظلة الغسيل الأنصاري، وكانت وقعة عظيمة قُتل فيها خلق كثير من الناس من بني هاشم وسائر قريش والأنصار وغيرهم من سائر الناس، فممن قتل من آل أبي طالب اثنان: عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وجعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب، ومن بني هاشم من غير آل أبي طالب: الفضل بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وحمزة بن عبدالله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، والعباس بن عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب، وبضع وتسعون رجلًا من سائر قريش ومثلهم من الأنصار، وأربعة آلاف من سائر الناس ممن أدركه الإحصاء، دون من لم يعرف. وبايع الناس على أنهم عبيدٌ ليزيد، ومن أبى ذلك أمره مُسرف على السيف»^(١).

وذكر المدايني في كتاب الحرّة عن الزهري، قال: «كان القتلى يوم الحرّة سبع مئة من وجوه الناس من قريش والأنصار والمهاجرين ووجوه الموالي، وأما من لم يعرف من عبد أو حر أو امرأة فعشرة آلاف، وخاض الناس في الدماء حتى وصلت الدماء إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وامتألت الروضة والمسجد». قال مجاهد: «التجأ الناس إلى حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومنبره والسيف يعمل فيهم».

وذكر المدايني عن أبي قرة قال: قال هشام بن حسان: «ولدت ألف امرأة بعد الحرة من غير زوج، وغير المدايني يقول: عشرة آلاف امرأة»^(١).

ونقل جلال الدين السيوطي في كتابه تاريخ الخلفاء ما نصه:

«وفي سنة ثلاث وستين بلغه أن أهل المدينة خرجوا عليه وخلعوه، فأرسل إليهم جيشاً كثيفاً وأمرهم بقتالهم ثم المسير إلى مكة لقتال ابن الزبير، فجاءوا وكانت وقعة الحرة على باب طيبة، وما أدراك ما وقعة الحرة؟ ذكرها الحسن مرة فقال: والله ما كادَ ينجو منهم أحد، قتل فيها خلق من الصحابة ومن غيرهم، ونهبت المدينة، وافتضَّ فيها ألف عذراء، إنا لله وإنا إليه راجعون؛ قال ﷺ: «من أخاف أهل المدينة أخافه الله، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» رواه مسلم»^(٢).

وذكر ابن قتيبة الدينوري عن واقعة الحرة: «قتل يوم الحرة من أصحاب النبي ﷺ ثمانون رجلاً، ولم يبقَ بدريٌّ بعد ذلك، ومن قريش والأنصار سبع مئة، ومن سائر الناس من الموالي والعرب والتابعين عشرة آلاف، وكانت الوقعة في ذي الحجة لثلاث بقين منها سنة ثلاث وستين»^(٣).

وهذا يدل على المحرمات العظيمة والجرائم البشعة التي ارتكبتها الجيش الأموي بأمر مباشر من يزيد بن معاوية بأهل المدينة، وهي جرائم حرب يندى لها جبين الإنسانية، إذ استباح المدينة ثلاثة أيام بلياليها، يقتل ويدمر ويسرق ويسبي من يشاء من الناس، كما افتض ألف حرة من حرائر المسلمين - على أقل تقدير - وقد قاتل مئة من آبائهم في غزوة بدر مع رسول الله ﷺ، وتعامل مع من بقي من أهل المدينة على أنهم عبيد ليزيد!

١ - تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي، ص ٢٤٢.

٢ - تاريخ الخلفاء: ص ٢٣٧.

٣ - الإمامة والسياسة: ج ١، ص ١٨٥.

الإمام زين العابدين (عليه السلام) ومسلم بن عقبة

استثنى مسلم بن عقبة الإمام زين العابدين (عليه السلام) من ذلك بوصية من يزيد نفسه، الذي أمره بإكرام الإمام ومعاملته بالحسنى، وعدم التعرض له بسوء، وذلك بهدف التقليل من ضغوط الرأي العام الإسلامي ضده، وامتصاص النقمة الشعبية ضد حكمه، وتضليل الناس بأن يزيد يراعي حرمة عترة النبي وأهل بيته بعدما فعله من مجزرة رهيبة في كربلاء.

روى الشيخ المفيد: «أن مسرف بن عقبة لما قدم المدينة أرسل إلى علي بن الحسين (عليه السلام) فأتاه، فلما صار إليه قرّبه وأكرمه، وقال له: وصاني أمير المؤمنين ببرك وتمييزك من غيرك، فجزاه خيرًا، ثم قال: أسرجوا له بغلتي، وقال له: انصرف إلى أهلِكَ، فإني أرى أن قد أفزعناهم وأتعبناك بمشيك إلينا، ولو كان بأيدينا ما نقوى به على صلتك بقدر حقك لوصلناك»^(١).

وروى ابن البطريق: «فأنفذ يزيد إليها - أي المدينة - عشرين ألفًا مع مسلم بن عقبة المري فقتل منها ثمانية آلاف من أولاد المهاجرين والأنصار وغيرهم وأباحها ثلاثًا، فلم يبق بها دار الا انتهبت سوى دار علي بن الحسين (عليه السلام)، فإنه حماها رجل من أهل الشام تلك الثلاثة الأيام، فلما كان بعد الثلاثة الأيام أخرج له علي بن الحسين (عليه السلام) ملاءة قد جمع بها حليًا وثيابًا من نسائه، وقال له: خذ هذا من بنات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال له: لم أفعل ذلك لسبب بل أرجو الجنة، فقال: خذه، ولك ما طلبت»^(٢).

وتشير مصادر أخرى إلى أن مسلم بن عقبة كان يتهدد الإمام ويتوعده، وكان يريد به سوءًا مع من أن الإمام لم يشارك لا هو ولا بني هاشم في ثورة أهل المدينة، فقد ذكر المؤرخ المسعودي: أُتِيَ [بِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ السَّجَّادِ عَلَيْهِ

١ - الإرشاد: الشيخ المفيد، ص ٢٥٠.

٢ - عمدة عيون صحاح الاخبار في مناقب إمام الأبرار: ابن البطريق، ص ٣٢١.

السلام] إلى مُسْرِفٍ وَهُوَ مُغْتَاطٌ عَلَيْهِ فَتَبَرَّأَ مِنْهُ وَمِنْ آبَائِهِ، فَلَمَّا رَأَاهُ وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِ ارْتَعَدَ وَقَامَ لَهُ، وَأَقْعَدَهُ إِلَى جَانِبِهِ، وَقَالَ لَهُ: سَلْنِي حَوَائِجَكَ، فَلَمْ يَسْأَلْهُ فِي أَحَدٍ مِمَّنْ قُدِّمَ إِلَى السَّيْفِ إِلَّا شَفَّعَهُ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ. فَقِيلَ لِعَلِيِّ عليه السلام: رَأَيْنَاكَ تَحْرُكُ شَفَّتِكَ، فَمَا الَّذِي قُلْتَ؟

قَالَ: قُلْتُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ، رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ، وَأَدْرَأُ بِكَ فِي نَحْرِهِ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُؤْتِيَنِي خَيْرَهُ وَتَكْفِيَنِي شَرَّهُ». وَقِيلَ لِمُسْلِمٍ: رَأَيْنَاكَ تَسُبُّ هَذَا الْغُلَامَ وَسَلَفَهُ، فَلَمَّا أَتَى بِهِ إِلَيْكَ رَفَعْتَ مَنْزِلَتَهُ؟! فَقَالَ: مَا كَانَ ذَلِكَ لِرَأْيِي مِنْهُ، لَقَدْ مَلِئْتُ قَلْبِي مِنْهُ رُعبًا! ^(١).

وروى القاضي النعمان المغربي: «فلما قدم مسرف إلى المدينة أرسل إلى علي بن الحسين وعنده مروان بن الحكم، وقد علم ما ذكره من وعيده، فجعل يغريه به، فلما دخل عليه، قام إليه، فاعتنقه وقبَّل رأسه، وأجلسه إلى جانبه، وأقبل عليه بوجهه ليسأله عن حاله وأحوال أهله، فلما رأى ذلك مروان جعل يشني على علي بن الحسين عليه السلام ويذكر فضله، فقال مسرف: دعني عن كلامك، فإنني إنما فعلت ما فعلت من برِّه وإكرامه وقضاء حوائجه ما قد أمرني به أمير المؤمنين، ثم قال لعلي بن الحسين عليه السلام: إنما جعلت الاجتماع معك لما سبق إليك عني، لأن لا تستوحش مني، وأنا أحب الاجتماع معك والأنس بك، والتبرك بقربك، والنظر فيما تحب من صلتك وبرك وأنا على ذلك، لكنني أخاف أن يستوحش أهلُك إن طال عندي مقامك، فانصرف إليهم ليسكنوا ويعلموا ويعلم الناس ما لك عند أمير المؤمنين وعندي من الجميل، ثم قال: قدموا دابته.

قالوا: ما له دابة.

قال مسرف: قدموا له دابتي.

فقدموها له بين يديه، وعزم عليه أن يركبها، فركب، وانصرف إلى أهله، وهم والناس ينظرون ما يكون منه فيه»^(١).

وبالرغم من إجبار مسلم بن عقبة كل من استبقاه حيًّا على البيعة ليزيد وأنه عبد قنُّ له وإلا قُتل؛ إلا أن علي بن الحسين امتنع عن مبايعة يزيد، واكتفى منه مسلم على أنه أخو يزيد وابن عمه!

قال ابن أبي الحديد المعتزلي: «أباح [مسلم بن عقبة المري] المدينة ثلاثًا، واستعرض أهلها بالسيف جزرًا كما يجزر القصابُ الغنمَ، حتى ساخت الأقدام في الدم، وقتل أبناء المهاجرين والأنصار وذرية أهل بدر، وأخذ البيعة ليزيد بن معاوية على كل من استبقاه من الصحابة والتابعين، على أنه عبد قنُّ لأمير المؤمنين يزيد بن معاوية!، هكذا كانت صورة المبايعة يوم الحرة، إلا علي بن الحسين بن علي (عليه السلام)، فإنه أعظمه وأجلسه معه على سرير، وأخذ بيعته على أنه أخو أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وابن عمه، دفعًا له عما بايع عليه غيره، وكان ذلك بوصاة من يزيد بن معاوية له»^(٢).

وتدل هذه الروايات وغيرها أن يزيد أراد امتصاص غضب الناس تجاهه، والسيطرة على الأوضاع التي بدأت تخرج عن سيطرته بمنع واليه على المدينة من التعرض للإمام زين العابدين (عليه السلام) وأهل البيت الأطهار حفاظًا على ملكه الذي بدأ يهتز بفعل جريمته الكبرى بقتل سيد الشهداء (عليه السلام). وقام الإمام زين العابدين (عليه السلام) بحماية مجموعة من الناس في داره، كما تكفل

١ - شرح الأخبار: القاضي النعمان المغربي، ج ٣، ص ٢٧٤.

٢ - شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج ٣، ص ٢٥٩.

بأربع مئة امرأة من عبد مناف، وظل ينفق عليهن حتى خرج الجيش الأموي من المدينة، وفعل مثل ذلك عند إخراج ابن الزبير بني أمية من الحجاز^(١).

٣- رمي الكعبة بالمنجنيق:

الموقعة الكبيرة الثالثة التي قام بها يزيد في حكمه القصير هي رمي الكعبة بالمنجنيق، فبعد أن انتهى الجيش الأموي من قتل وسرقة ونهب واغتصاب أهل المدينة توجه إلى مكة المكرمة، وفي أثناء الطريق مات مسرف واستخلف على الجيش الأموي (الحصين بن نمير) فسار بالجيش حتى أتى مكة وأحاط بها...، ونصب الحصين فيمن معه من أهل الشام المجانيق والعرادات على مكة والمسجد من الجبال والفجاج، وابن الزبير في المسجد، ومعه المختار بن أبي عبيد الثقفي داخلاً في جملته، منضافاً إلى بيعته، منقاداً إلى إمامته، على شرائط شرطها عليه لا يخالف له رأياً ولا يعصى له أمراً، فتواردت أحجار المجانيق والعرادات على البيت، ورمي مع الأحجار بالنار والنفط ومشاقات الكتان وغير ذلك من المحروقات، وانهدمت الكعبة، واحترقت البنية^(٢).

وقال المؤرخ السعودي عن فواحش وجرائم يزيد بن معاوية ما نصه: «وليزيد وغيره أخبار عجيبة، ومثالب كثيرة: من شرب الخمر، وقتل ابن بنت الرسول، ولعن الوصي، وهدم البيت وإحراقه، وسفك الدماء، والفسق والفجور، وغير ذلك»^(٣).

وقال الذهبي عن موبقات يزيد: «افتتح دولته بمقتل الشهيد الحسين، واختتمها بواقعة الحرة، فمقتله الناس، ولم يبارك في عمره»^(٤).

١- بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ١٠١.

٢- مرو ج الذهب: ج ٣، ص ٦٥.

٣- مرو ج الذهب: ج ٣، ص ٦٥.

٤- سير أعلام النبلاء: ج ٣، ص ٢٩٠.

وهذه الجرائم والموبقات الكبيرة، بالإضافة إلى سلوكه الشخصي المنحرف كشربه للخمر وهواه بالكلاب والقروء، ونشره للملاهي والأغاني والطرب والرقص...، وغيرها مما يتنافى مع أبسط مؤهلات الحاكم الإسلامي، ومواصفات خليفة المسلمين تؤكد كلها على أنه ليس جديرًا بالخلافة، وليس أهلاً للحكم؛ وإنما فرض على المسلمين بقوة السلاح والسيف، وبسياسة الجزرة والعصى.

ولو لم تكن ليزيد بن معاوية إلا هذه الموبقات الثلاث الكبيرة لكفى في الحكم عليه بفسقه وكفره كما قال بذلك الكثير من العلماء الأعلام من الفريقين^(١).

ولكثرة ارتكابه الكبائر والجرائم، واقترافه الكثير من المحرمات الكبيرة، ثلّبه حتى حكام بني أمية وبني العباس، فقد عزّر الحاكم الأموي عمر بن عبدالعزيز رجلاً سمى يزيد بأنه أمير المؤمنين. حدّث السيوطي عن نوفل بن أبي الفرات قال: «كنت عند عمر بن عبدالعزيز فذكر رجل يزيد، فقال: قال: أمير المؤمنين يزيد بن معاوية! فقال: تقول أمير المؤمنين! وأمر به فضرب عشرين سوطاً»^(٢).

وهذا هو الحاكم العباسي المعتضد عدّه من المارقين من الدين، وممن «لا يؤمن بالله ولا بما جاء من عند الله»^(٣).

وذكر ابن عبد ربه أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ سمع كلاماً كفرياً من يزيد، فقال له: «ارتدّدت عن الإسلام يا أمير

١ - للاطلاع على أقوال العلماء بحق يزيد وفسقه وكفره وجواز لعنه، راجع كتاب: مع الركب الحسيني، ج ٦، ص ٢٩-٥١ و ص ٦٨-٧٧.

٢ - تاريخ الخلفاء: السيوطي، ص ٢٣٦ - ٢٣٧.

٣ - تاريخ الطبري: ج ١٠، ص ٦٠ - ٦١.

المؤمنين؟! قال: بلى، نستغفر الله!، قال: والله لا ساكتك أرضاً أبداً، وخرج عنه»^(١).

إن الجرائم الثلاث الكبرى التي ارتكبتها يزيد فترة حكمه القصير لم يشهد لها التاريخ نظيراً ولا مثيلاً، وقد شوّه تاريخ العالم الإسلامي، وهي جرائم يندى لها جبين الإنسانية؛ فانتهاك حرمة أهل بيت رسول الله ﷺ، وقتل سيد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) ومن معه من أهل بيته وأصحابه، والتكيل بالإمام زين العابدين (عليه السلام) رغم مرضه، وسبي نسائه وأطفاله، وسوقهم أسارى من بلد إلى بلد سنة (٦١ هـ) - وهم ذرية الرسول الأكرم ﷺ - خزي وعار على الأمويين وأتباعهم إلى يوم القيامة.

ثم انتهاك حرمة وقديسية المدينة المنورة، وانتهاك حرم رسول الله ﷺ، واستباحتها ثلاثة أيام بلياليها، وقتل أهلها، وإباحة أعراض الحرائر للجيش الأموي، والقيام بسرقة ونهب ممتلكاتها؛ تعد كلها جرائم ضد الإنسانية. وثلث تلك الجرائم والموبقات الكبيرة بحصار مكة المكرمة، ورمي الكعبة المشرفة بالمنجنيق، وقتل الآلاف من الأبرياء في الحرم الذي جعله الله تعالى حرماً آمناً...، وكل تلك الجرائم والموبقات الكبيرة ستبقى وصمة عار في جبين يزيد وجيشه المتجرد من أي قيم ومبادئ إنسانية وإسلامية، وستلاحقهم اللعنات إلى يوم الدين^(٢).

حكمة مرض الإمام زين العابدين (عليه السلام)

شاء الله تعالى أن يتلى الإمام زين العابدين (عليه السلام) بمرض في أيام عاشوراء ليسلم من القتل على أيدي جلاوزة نظام يزيد، كما أنه لو كان سليماً ومعافى لوجب عليه الجهاد مع أبيه الإمام الحسين (عليه السلام)؛ ولكن الحكمة الإلهية

١ - العقد الفريد: ج ٥، ص ١٣٩.

٢ - للمزيد من التفاصيل راجع كتابنا: سيرة الإمام الحسين (عليه السلام)، ج ٢، ص ٣١ - ٥٤.

اقتضت أن يتلى الإمام بمرض شديد حتى يبقى حيًّا كي تستمر الإمامة في نسله المبارك، وبالفعل تحسنت صحته بعد وصوله للمدينة المنورة، وأصبح يتمتع بصحة جيدة طوال فترة إمامته التي استمرت لأكثر من ثلاثة عقود. ذكر الشيخ المفيد عن حميد بن مسلم قوله: «...، ثم انتهينا إلى علي بن الحسين عليه السلام وهو منبسط على فراش وهو شديد المرض، ومع شمر جماعة من الرجال فقالوا له: ألا نقتل هذا العليل؟

فقلت: سبحان الله! أيقتل الصبيان؟ إنما هو صبي وإنه لما به، فلم أزل حتى رددتهم عنه.

وجاء عمر بن سعد فصاح النساء في وجهه وبكين، فقال لأصحابه: لا يدخل أحد منكم بيوت هؤلاء النسوة، ولا تعرضوا لهذا الغلام المريض»^(١). وقال سبط ابن الجوزي: «وحضر يوم الطفوف مع أبيه؛ وإنما لم يقتل لأنه كان مريضاً، وكان عمره يومئذ ثلاثاً وعشرين سنة»^(٢).

وكتب الذهبي: «وكان معه [أي مع أبيه الحسين] يوم كائنة كربلاء وله ثلاث وعشرون سنة، وكان يومئذ موعوگًا فلم يقاتل، ولا تعرضوا له، بل أحضروه مع آله إلى دمشق، ورده مع آله إلى المدينة»^(٣).

ويتفق المؤرخون على أن الإمام زين العابدين عليه السلام لم يقتل في عاشوراء لشدة مرضه، فأنجاه الله سبحانه من القتل حتى لا ينقطع نسل الإمامة من آله، وكي يكون شاهداً على ما حدث في كربلاء، ومُبلِّغاً لرسالة النهضة الحسينية وأهدافها.

١ - الإرشاد: الشيخ المفيد، ص ٢٣١.

٢ - تذكرة الخواص: سبط ابن الجوزي، ص ٢٧٤.

٣ - سير أعلام النبلاء: الذهبي، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م، ج ٤، ص ٣٨٦.

تحدي ابن زياد

بعد شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) أخذ ما تبقى من ذريته الطاهرة، ومنهم الإمام زين العابدين (عليه السلام) أسارى يطاف بهن من بلد إلى آخر، وأول محطة كانت إدخالهم على ابن زياد في قصره بالكوفة حيث كان والياً عليها، وقد واجه الإمام ابن زياد المغرور بجريمته البشعة وانتهاك حرمة العترة الطاهرة، فعندما هدّده بالقتل، واجهه الإمام بكل شجاعة وعزة وقوة قائلاً له: «أَبِالْقَتْلِ تُهَدِّدُنِي يَا بَنَ زِيَادٍ؟! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْقَتْلَ لَنَا عَادَةٌ وَكَرَامَتَنَا الشَّهَادَةُ؟!»^(١).

فمن لا يخاف الموت لا يخشى أي شيء آخر، وبهذا الأسلوب القوي كسر الإمام جبروت وكبرياء ابن زياد وهو في قصره وأمام قواته وجلاوزته، ولم يخش القتل.

روى السيد ابن طاووس في الملهوف: التفت ابن زياد (لعنه الله) إلى علي بن الحسين (عليه السلام)، فقال: مَنْ هَذَا؟

فَقِيلَ: عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ.

فَقَالَ: أَلَيْسَ قَدْ قَتَلَ اللَّهُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ؟!

فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: «قَدْ كَانَ لِي أَخٌ يُسَمَّى عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ قَتَلَهُ النَّاسُ».

فَقَالَ: بَلِ اللَّهُ قَتَلَهُ.

فَقَالَ عَلِيٌّ (عليه السلام): ﴿اللَّهُ يُتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾^(٢).

فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ: وَبِكَ جُرْأَةٌ عَلَى جَوَابِي؟ اذْهَبُوا بِهِ فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ!

فَسَمِعَتْ بِهِ عَمَّتُهُ زَيْنَبُ (عليها السلام)، فَقَالَتْ: يَا بَنَ زِيَادٍ، إِنَّكَ لَمْ تُبْقِ

مِنَّا أَحَدًا، فَإِنْ كُنْتَ عَزَمْتَ عَلَى قَتْلِهِ فَاقْتُلْنِي مَعَهُ.

١- الملهوف: ص ٢٠٢، بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ١١٧؛ الفتوح: ج ٥ ص ١٢٣ نحوه. مقاتل الطالبين: ص ١١٩.

٢- الزمر: ٤٢.

فَقَالَ عَلِيُّ لِعَمَّتِهِ: اسْكُتِي يَا عَمَّةُ حَتَّى أَكَلِمَهُ. ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْهِ فَقَالَ: «أَبِالْقَتْلِ تَهْدِدُنِي يَا بَنَ زِيَادٍ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْقَتْلَ لَنَا عَادَةٌ وَكَرَامَتَنَا الشَّهَادَةُ»^(١)؟

وهذا الموقف الشجاع من الإمام زين العابدين عليه السلام بالرغم من أنه كان أسيراً، وبعد واقعة كربلاء وما حدث فيها، وتبخر ابن زياد وشعوره بالنصر؛ إلا أن الإمام أراد أن يكسر هذا الشعور بالغرور والتبخر والكبرياء الذي هو من صفات الطغاة عبر التاريخ، فلم يفعل له ابن زياد شيئاً وأمر بحمله مع باقي أهل بيته إلى دار قرب المسجد الأعظم، وخرج من القصر. كتب السيد ابن طاووس: «أَمَرَ ابْنُ زِيَادٍ بَعْلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام وَأَهْلَ بَيْتِهِ فَحَمَلُوا إِلَى بَيْتٍ فِي جَنْبِ الْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ.

فَقَالَتْ زَيْنَبُ ابْنَةُ عَلِيٍّ: لَا يَدْخُلَنَّ عَلَيْنَا عَرِيَّةٌ، إِلَّا أُمٌّ وَلَدٍ أَوْ مَمْلُوكَةٌ؛ فَإِنَّهُنَّ سُبَيْنَ كَمَا سُبِينَا»^(٢).

وروى الطبري عن سعد بن عبيدة: «وَجِيءَ بِنِسَائِهِ [أَيِ بِنِسَاءِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عليه السلام] وَبَنَاتِهِ وَأَهْلِهِ، وَكَانَ أَحْسَنُ شَيْءٍ صَنَعَهُ أَنْ أَمَرَ لَهُنَّ بِمَنْزِلٍ فِي مَكَانٍ مُعْتَزِلٍ، وَأَجْرَى عَلَيْهِنَّ رِزْقًا، وَأَمَرَ لَهُنَّ بِفَقَّةٍ وَكِسْوَةٍ»^(٣).

ولكن تشير بعض المصادر التاريخية إلى أن ابن زياد أمر بحبس أهل البيت في السجن حتى ينظر في أمرهم يزيد بن معاوية، إذ روى الصدوق عن حاجب عبيدالله بن زياد: «أَمَرَ [ابْنُ زِيَادٍ] بَعْلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَغُلَّ وَحُمِلَ مَعَ النِّسْوَةِ وَالسَّبَايَا إِلَى السَّجَنِ، وَكُنْتُ مَعَهُمْ، فَمَا مَرَرْنَا بِرُزْقٍ إِلَّا وَجَدْنَاهُ مُلِئَ رِجَالًا وَنِسَاءً، يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَيَبْكُونَ. فَحَسِبُوا فِي سَجَنِ وَطُبِقَ عَلَيْهِمْ»^(٤).

١ - الملهوف: ص ٢٠٢، بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ١١٧؛ الفتوح: ج ٥ ص ١٢٣. مقاتل الطالبين: ص ١١٩.

٢ - الملهوف: ص ٢٠٢، بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ١١٨.

٣ - تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٣٩٣. البداية والنهاية: ج ٨ ص ١٩٣.

٤ - الأمالي للصدوق: ص ٢٢٩ الرقم ٢٤٢، روضة الواعظين: ص ٢١٠ وفيه «ضيق» بدل «طبق»، بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ١٥٤ الرقم ٣.

وذكر ابن الأثير: «إِنَّ آلَ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) مَا وَصَلُوا إِلَى الْكُوفَةِ حَبَسَهُمْ ابْنُ زِيَادٍ، وَأَرْسَلَ إِلَى يَزِيدَ بِالْخَبَرِ، فَبَيَّنَا هُمْ فِي الْحَبْسِ إِذْ سَقَطَ عَلَيْهِمْ حَجَرٌ فِيهِ كِتَابٌ مَرْبُوطٌ، وَفِيهِ: إِنَّ الْبَرِيدَ سَارَ بِأَمْرِكُمْ إِلَى يَزِيدَ، فَيَصِلُ يَوْمَ كَذَا وَيَعُودُ يَوْمَ كَذَا، فَإِنْ سَمِعْتُمُ التَّكْبِيرَ فَأَيِّقُوا بِالْقَتْلِ، وَإِنْ لَمْ تَسْمَعُوا تَكْبِيرًا فَهُوَ الْأَمَانُ. فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ قُدُومِ الْبَرِيدِ بِيَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ، إِذَا حَجَرٌ قَدْ أُلْقِيَ وَفِيهِ كِتَابٌ، يَقُولُ فِيهِ: أَوْضُوا وَاعْهَدُوا فَقَدْ قَارَبَ وَصُولُ الْبَرِيدِ. ثُمَّ جَاءَ الْبَرِيدُ بِأَمْرِ يَزِيدَ بِإِرْسَالِهِمْ إِلَيْهِ»^(١).

وعندما أدخل الإمام زين العابدين (عليه السلام) مع بقية الأسرى على يزيد واجهه الإمام بكل شجاعة وقوة كما سيأتي.

توبيخ الإمام زين العابدين لأهل الكوفة

ألقى الإمام زين العابدين (عليه السلام) خطبة قوية بعد ثلاثة أيام من واقعة كربلاء في الكوفة أمام الناس الذين احتشدوا لرؤية الأسارى من أهل البيت، وبَّخهم فيها لغدرهم وتحاذلهم عن نصرة أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)، وهو ما أثار فيهم فجعلاًوا ييكون ويتحبون.

وإليكم نص خطبته القوية التي ألقاها في الكوفة:

«أنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أنا ابن المذبوح بشطّ الفرات، من غير ذحل^(١) ولا ترات^(٢)، أنا ابن من انتَهَكَ حريمه، وسلبَ نعيمه، وانتَهَبَ ماله، وسبى عياله، أنا ابن من قُتِلَ صبراً، وكفى بذلك فخراً. أيها الناس! ناشدْتُكم الله، هل تعلمون أنكم كتبتُم إلى أبي وخدعتموه، وأعطيتُموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة، وقاتلتُموه وخذلتُموه؟ فتباً^(٣) لما قدَّمتم لأنفسكم، وسوءاً لرايكم!! بآية عين تنظرون إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، إذ يقول لكم: قتلتم عترتي، وانتَهَكتم حُرمتي، فليستُم من أمتي؟». قال الراوي: فارتفعت أصواتُ الناس من كل ناحية، ويقول بعضهم لبعض:

هَلَكْتُم وما تعلمون.

فقال (عليه السلام): «رَحِمَ الله امرأً قَبِلَ نصيحتي وحَفِظَ وصيَّتي في الله وفي رسولِهِ وأهل بيته، فإن لنا في رسولِ الله أسوةً حسنةً».

فقالوا بأجمعهم: نحنُ كُلُّنا يا بن رسولِ الله سامعونٌ مطيعون، حافظونٌ

١- الذحل: الجفد والعداوة (الصاح: ج ٤ ص ١٧٠١ «ذحل»).

٢- وتره حقه وماله: نقصه إياه. وترث الرجل: إذا قتلت له قتيلاً وأخذت له مالاً (لسان العرب: ج ٥ ص ٢٧٥ «وتر»).

٣- التَّبُّ: الاستمرار في الخسران (مفردات ألفاظ القرآن: ص ١٦٢ «تب»).

لِذِمَامِكَ^(١) غَيْرَ زَاهِدِينَ فِيكَ وَلَا رَاغِبِينَ عَنْكَ، فَأَمَرْنَا بِأَمْرِكَ يَرْحَمَكَ اللَّهُ، فَإِنَّا حَرْبُ حَرْبِكَ وَسِلْمُ لِسْلَمِكَ، لَنَأْخُذَنَّ يَزِيدَ وَنَبْرَأُ مِمَّنْ ظَلَمَكَ وَظَلَمَنَا.

فَقَالَ (عليه السلام): «هِيَهَاتَ هِيَهَاتَ! أَيُّهَا الْغَدْرَةُ الْمَكْرَةُ، حِيلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ شَهَوَاتِ أَنْفُسِكُمْ، أَتُرِيدُونَ أَنْ تَأْتُوا إِلَيَّ كَمَا أَتَيْتُمْ إِلَى أَبِي مِنْ قَبْلُ؟! كَلَّا وَرَبِّ الرَّاقِصَاتِ، فَإِنَّ الْجُرْحَ لَمَّا يَنْدَمِلْ، قُتِلَ أَبِي صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ بِالْأَمْسِ وَأَهْلُ بَيْتِهِ مَعَهُ، وَلَمْ يُنْسِنِي تُكَلِّمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَتُكَلِّمَ أَبِي وَبَنِي أَبِي، وَوَجَدُهُ بَيْنَ لَهَوَاتِي، وَمَرَارَتِهِ بَيْنَ حَنَاجِرِي وَحَلْقِي، وَغُصَصُهُ تَجْرِي فِي فِرَاشِ صَدْرِي، وَمَسْأَلَتِي أَنْ لَا تَكُونُوا لَنَا وَلَا عَلَيْنَا».

ثُمَّ قَالَ:

قَدْ كَانَ خَيْرِ	لَا غَرَوَ إِنْ قُتِلَ الْحُسَيْنُ وَشَيْخُهُ
أَصَابَ حُسَيْنِ	فَلَا تَفْرَحُوا يَا أَهْلَ
جَزَاءُ الَّذِي أَرَادَهُ نَارُ جَهَنَّمَ	قَتِيلٌ بِشَطِّ النَّهْرِ رُوحِي فِدَاؤُهُ

ثُمَّ قَالَ (عليه السلام): «رَضِينَا مِنْكُمْ رَأْسًا بِرَأْسٍ، فَلَا يَوْمَ لَنَا وَلَا عَلَيْنَا»^(٢).

وَقَدْ خَاطَبَهُمُ الْإِمَامُ بـ (أَيُّهَا النَّاسُ) لِأَنَّهُمْ تَخَلَّوْا عَنْ إِيْمَانِهِمْ عِنْدَمَا خَذَلُوا الْإِمَامَ الْحُسَيْنَ (عليه السلام)، وَلَوْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ حَقًّا لَوَقَفُوا مَعَ سَيِّدِ الشَّهَدَاءِ، وَنَصَرُوهُ وَدَافَعُوا عَنْهُ بِالنَّفْسِ وَالنَّفِيسِ.

وَبَعْدَ أَنْ وَبَّخَهُمْ بِأَقْوَى الْعِبَارَاتِ وَأَشَدِّهَا طَرَحُوا عَلَيْهِ أَنْ يُطِيعُوهُ فِيمَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ، وَأَنَّهُمْ تَحْتَ إِرَادَتِهِ وَطُوعِ أَوَامِرِهِ، وَلَكِنَّ الْإِمَامَ لَا يَثِقُ بِهِمْ بَعْدَمَا غَدَرُوا بِأَيِّهِ، فَرَفَضَ مَطْلَبَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ: هِيَهَاتَ هِيَهَاتَ!

١ - الذِّمَّةُ وَالذِّمَامُ: وَهُمَا بِمَعْنَى الْعَهْدِ، وَالْأَمَانِ، وَالضَّمَانِ، وَالْخُرْمَةِ وَالْحَقِّ (النهاية: ج ٢ ص ١٦٨ «ذمم»).
٢ - الملهوف: ص ١٩٩، الاحتجاج: ج ٢ ص ١١٧ ح ١٧١ عن حذيم بن شريك الأسدي، مثير الأحران: ص ٨٩ كلاهما نحوه، بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ١١٢. المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤ ص ١١٥.

وطلب منهم ألا يكونوا معهم ولا عليهم، وهذا يعني الاكتفاء منهم بالحياد، لأنهم - وبعد التجربة والبرهان - لا يمكن أن يكونوا مع الإمام ونهجه، فأدنى ما يمكن طلبه منهم ألا يكونوا مع أعدائهم ضدهم.

الإمام زين العابدين في مجلس يزيد

حافظ الإمام زين العابدين (عليه السلام) على رباطة جأشه، وثبات شخصيته أمام طاغية عصره يزيد بن معاوية، فعندما أُدخل عليه في قصره وهو في غاية التبختر والغرور بأنه انتصر على سيد الشهداء (عليه السلام)، وما علم أن الإمام قد انتصر عليه بمبادئه وقيمه وأهدافه، وهو ما تبين لاحقاً حيث بقي الإمام الحسين (عليه السلام) مخلداً، وتهوى إليه القلوب في كل يوم، وبقيت أهدافه ورسالته مستمرة باقية ومتجددة؛ واجهه الإمام زين العابدين (عليه السلام) مع ظروفه الصحية، ووضع النفسى وهو في الأسر، بكل شجاعة وعنفوان وعزة، ورد عليه بأباطيله وأكاذيبه التي ضلل بها الرأي العام. رُوِيَ أَنَّ يَزِيدَ أَمَرَ بِمَنْبَرٍ وَخَطِيبٍ، لِيَذْكُرَ لِلنَّاسِ مَسَاوِيَ الْحُسَيْنِ وَأَبْيَهُ عَالِيٍّ (عليه السلام)، فَصَعِدَ الْخَطِيبُ الْمَنْبَرَ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَأَكْثَرَ الْوَقِيعَةَ فِي عَالِيٍّ وَالْحُسَيْنِ، وَأَطْنَبَ فِي تَقْرِيطٍ^(١) مُعَاوِيَةَ وَيَزِيدَ.

فَصَاحَ بِهِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام): «وَيْلَكَ أَيُّهَا الْخَاطِبُ! اشْتَرَيْتَ رِضَا الْمَخْلُوقِ بِسَخَطِ الْخَالِقِ، فَتَبَوَّأَ مَقْعَدَكَ مِنَ النَّارِ». ثُمَّ قَالَ: «يَا يَزِيدُ ائْذَنْ لِي حَتَّى أَصْعَدَ هَذِهِ الْأَعْوَادَ، فَاتَّكَلَّمَ بِكَلِمَاتٍ فِيهِنَّ اللَّهُ رَضَى، وَلَهُؤُلَاءِ الْجَالِسِينَ أَجْرٌ وَثَوَابٌ». فَأَبَى يَزِيدُ. فَقَالَ النَّاسُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، ائْذَنْ لَهُ لِيَصْعَدَ، فَلَعَلَّنَا نَسْمَعُ مِنْهُ شَيْئاً، فَقَالَ لَهُمْ: إِنْ صَعِدَ الْمَنْبَرَ هَذَا لَمْ يَنْزِلْ إِلَّا بِفَضِيحَتِي وَفَضِيحَةِ آلِ أَبِي سُفْيَانَ، فَقَالُوا: وَمَا قَدَرُ مَا يُحْسِنُ هَذَا؟ فَقَالَ: إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ قَدْ رُفُّوا الْعِلْمَ رُفًّا. وَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى أَذِنَ لَهُ بِالصُّعُودِ.

فَصَعِدَ الْمَنْبَرَ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ خَطَبَ خُطْبَةً أَبْكَى مِنْهَا الْعُيُونَ؛ وَأَوْجَلَ مِنْهَا الْقُلُوبَ، فَقَالَ فِيهَا:

١ - التقريظ: المدح (النهاية: ج ٤ ص ٤٢ «قرظ»).

«أَيُّهَا النَّاسُ، أُعْطِينَا سِتًّا، وَفُضِّلْنَا بِسَبْعٍ: أُعْطِينَا الْعِلْمَ، وَالْحِلْمَ، وَالسَّامَحَةَ، وَالْفَصَاحَةَ، وَالشَّجَاعَةَ، وَالْمَحَبَّةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ. وَفُضِّلْنَا بِأَنَّ النَّبِيَّ الْمُخْتَارَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِنَّا الصِّدِّيقُ، وَمِنَّا الطَّيَّارُ، وَمِنَّا أَسَدُ اللَّهِ وَأَسَدُ الرَّسُولِ، وَمِنَّا سَيِّدَةُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ فَاطِمَةُ الْبَتُولُ، وَمِنَّا سِبْطُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَسَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ فَمَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفَنِي أَنْبَأْتُه بِحَسْبِي وَنَسْبِي، أَنَا ابْنُ مَكَّةَ وَمَنِي، أَنَا ابْنُ زَمْزَمَ وَالصَّفَا، أَنَا ابْنُ مَنْ حَمَلَ الزَّكَاةَ بِأَطْرَافِ الرِّدَا، أَنَا ابْنُ خَيْرٍ مَنِ انْتَزَرَ وَارْتَدَى، أَنَا ابْنُ خَيْرٍ مَنِ انْتَعَلَ وَاحْتَفَى، أَنَا ابْنُ خَيْرٍ مَنْ طَافَ وَسَعَى، أَنَا ابْنُ خَيْرٍ مَنْ حَجَّ وَلَبَّى، أَنَا ابْنُ مَنْ حُمِلَ عَلَى الْبُرَاقِ^(١) فِي الْهَوَا، أَنَا ابْنُ مَنْ أُسْرِيَ بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، فَسُبْحَانَ مَنْ أُسْرِيَ، أَنَا ابْنُ مَنْ بَلَغَ بِهِ جَبْرَائِيلُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُتَهَيَّ، أَنَا ابْنُ مَنْ دَنَى فَتَدَلَّى فَكَانَ مِنْ رَبِّهِ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، أَنَا ابْنُ مَنْ صَلَّى بِمَلَائِكَةِ السَّمَاءِ، أَنَا ابْنُ مَنْ أَوْحَى لَهُ الْجَلِيلُ مَا أَوْحَى، أَنَا ابْنُ مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى، أَنَا ابْنُ عَلِيٍّ الْمُرْتَضَى، أَنَا ابْنُ مَنْ ضَرَبَ خَرَاطِيمَ الْخَلْقِ حَتَّى قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. أَنَا ابْنُ مَنْ ضَرَبَ بَيْنَ يَدَي رَسُولِ اللَّهِ بِسَيْفَيْنِ، وَطَعَنَ بِرُمَحَيْنِ، وَهَاجَرَ الْهَجْرَتَيْنِ، وَبَايَعَ الْبَيْعَتَيْنِ، وَصَلَّى الْقِبْلَتَيْنِ، وَقَاتَلَ بِدَرٍّ وَحْنَيْنِ، وَلَمْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، أَنَا ابْنُ صَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَارِثِ النَّبِيِّينَ، وَقَامِعِ الْمُلْحِدِينَ، وَيَعْسُوبِ الْمُسْلِمِينَ، وَنُورِ الْمُجَاهِدِينَ، وَزَيْنِ الْعَابِدِينَ، وَتَاجِ الْبَكَائِينَ، وَأَصْبَرَ الصَّابِرِينَ، وَأَفْضَلَ الْقَائِمِينَ مِنْ آلِ يَاسِينَ، وَرَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

أَنَا ابْنُ الْمُؤَيَّدِ بِجَبْرَائِيلَ، الْمَنْصُورِ بِمِيكَائِيلَ، أَنَا ابْنُ الْمُحَامِي عَنْ حَرَمِ الْمُسْلِمِينَ، وَقَاتِلِ النَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ، وَالْمُجَاهِدِ أَعْدَاءَهُ النَّاصِبِينَ، وَأَفْخَرِ مَنْ مَشَى مِنْ قُرَيْشٍ أَجْمَعِينَ، وَأَوَّلِ مَنْ أَجَابَ وَاسْتَجَابَ لِلَّهِ مِنْ

١ - البُرَاق: هِيَ الدَّابَّةُ الَّتِي رَكَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِنُصُوعِ لَوْنِهِ وَشِدَّةِ بَرِيْقِهِ. وَقِيلَ: لِسُرْعَةِ حَرَكَتِهِ شَبَّهَهُ فِيهِمَا بِالْبُرْقِ (النهاية: ج ١ ص ١٢٠ «برق»).

المؤمنين، وأقدم السابقين، وقاصم المعتدين، ومببر^(١) المشركين، وسهم من مرامي الله على المنافقين، ولسان حكمة العابدين، ناصر دين الله، وولي أمر الله، وبستان حكمة الله، وعيبة^(٢) علم الله، سمح سخي، بهلول^(٣) زكي أبطحي رضي ماضي، مقدم همام، صابر صوام، مهذب قوام، شجاع قمقام^(٤)، قاطع الأصاب، ومفرق الأحزاب، أربطهم جنائنا، وأطبقتهم عنائنا، وأجرأهم لساننا، وأمضاهم غزيمتنا، وأشددهم شكيمتنا، أسد باسل، وغيث هاطل، يطحنهم في الحروب - إذا ازدلفت الأسننة، وقربت الأعنة - طحن الرحى، ويذروهم ذرو الرياح الهشيم، ليث الحجاز، وصاحب الإعجاز، وكبش العراق، الإمام بالنص والاستحقاق، مكّي مدني، أبطحي تهامي، خيفي عقبي، بدري أحدي، شجري مهاجري، من العرب سيدها، ومن الوغى ليثها، وارث المشعرين، وأبو السبطين الحسن والحسين، مظهر العجائب، ومفرق الكتائب، والشهاب الثاقب، والنور العاقب، أسد الله الغالب، مطلوب كل طالب، غالب كل غالب؛ ذاك جدي علي بن أبي طالب.

أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيدة النساء، أنا ابن الطهر البتول، أنا ابن بضعة الرسول.

قال: ولم يزل يقول: أنا أنا، حتى ضج الناس بالبكاء والنحيب، وخشي يزيد أن تكون فتنة، فأمر المؤذن أن يؤذن، فقطع عليه الكلام وسكت. فلما قال المؤذن: «الله أكبر» قال علي بن الحسين (عليه السلام): «كبرت كبيراً لا يقاس، ولا يدرك بالحواس، لا شيء أكبر من الله».

١ - مببر: مهلك (النهاية: ج ١ ص ١٦١ «بور»).

٢ - عيبتي: أي خاصتي وموضع سري (النهاية: ج ٣ ص ٣٢٧ «عيب»).

٣ - البهلول: السيد الجامع لكل خير (القاموس المحيط: ج ٣ ص ٣٣٩ «بهل»).

٤ - القمقام: السيد لكثرة خيره (الصاحح: ج ٥ ص ٢٠١٥ «قمم»).

فَلَمَّا قَالَ: «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» قَالَ عَلِيٌّ (عليه السلام): «شَهِدَ بِهَا شَعْرِي وَبَشْرِي، وَلَحْمِي وَدَمِي، وَنَحْيِي وَعَظْمِي».

فَلَمَّا قَالَ: «أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ» التَفَتَ عَلَيَّ (عليه السلام) مِنْ أَعْلَى الْمَنِيرِ إِلَى يَزِيدَ، وَقَالَ: «يَا يَزِيدُ! مُحَمَّدٌ هَذَا جَدِّي أَمْ جَدُّكَ؟ فَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّهُ جَدُّكَ فَقَدْ كَذَبْتَ، وَإِنْ قُلْتَ إِنَّهُ جَدِّي فَلِمَ قَتَلْتَ عِترَتَهُ؟!».

قَالَ: وَفَرَعَ الْمُؤَذِّنُ مِنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ، فَتَقَدَّمَ يَزِيدُ وَصَلَّى صَلَاةَ الظُّهْرِ^(١).

إن هذه الخطبة البليغة والقوية للإمام زين العابدين (عليه السلام) أمام طاغية زمانه يزيد المتبخر بقوته العسكرية وأمام قادة جيشه ووزرائه وأعيان الشام ووجهائها، تدل على الجرأة والشجاعة التي كان يتمتع بها الإمام؛ فليس من السهل أن يتحدث شخص بكلام شجاع وفيه تحدٍ للطاغية وزبائنه، وهو في حالة الأسر، وبعد معركة دامية قتل فيها أعز الناس إليه، ولكنه ابن الحسين، وابن أمير المؤمنين (عليه السلام) المعروفين بالشجاعة والإقدام والبطولة.

وقد بدأ الإمام بتعريف نفسه، وأنه ينتسب إلى أهل البيت (عليهم السلام)، وأن رسول الله (ﷺ) هو جده، وأن فاطمة الزهراء (عليها السلام) هي جدته، وأن الإمام علي (عليه السلام) هو جده لأبيه، ليكشف للناس أكاذيب الإعلام الأموي الذي كان يصور أن هؤلاء الأسرى من الخوارج والبغاة، وأن يزيد وجيشه انتصر عليهم! ثم تحدث الإمام بشيء من التفصيل عن جهاد جده أمير المؤمنين (عليه السلام)، وأسبقته في الإسلام، ووقوفه مع رسول الله (ﷺ) في كل الغزوات والمواقف المفصلية في تاريخ الإسلام، وبيان مناقبه وفضائله، وأنه الإمام بالنص، ووصي رسول الله (ﷺ) وخليفته، وتبيين دوره البارز في نشر

١ - مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: ج ٢ ص ٦٩. بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ١٣٧. الفتوح: ج ٢ ص ١٣٢. المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤ ص ١٦٨. الحقائق الوردية: ج ١ ص ١٢٧.

الإسلام؛ ليؤكد للحاضرين من أهل الشام موقعية الإمام علي عليه السلام ومكانته في تاريخ الإسلام، لأن شخصية أمير المؤمنين عليه السلام قد تم تشويهها من قبل الأمويين لعقود من الزمن، فبين الإمام زين العابدين عليه السلام لهم الحقائق الجليلة عن جده أمير المؤمنين عليه السلام.

ولما رأى يزيد تأثر الناس بكلام الإمام، وأن بعضهم أخذ بالبكاء والنحيب، وخاف أن تنقلب عليه الأمور، وتخرج الأوضاع عن السيطرة، قطع عليه خطبته، وأمر المؤذن أن يؤذن، ولكن الإمام استغل هذا الموقف أيضاً، فلما قال المؤذن:

«أشهد أن محمداً رسول الله» التفت علي عليه السلام من أعلى المنبر إلى يزيد، وقال: «يا يزيد! محمد هذا جدي أم جدك؟! فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت، وإن قلت إنه جدي فلم تقتل عترته؟!».

سؤال في الصميم، فلا يمكن ليزيد أن يدعي أن النبي جده، وإذا كان هو جد الإمام - كما هي الحقيقة - فلماذا يا يزيد قتلت عتره النبي وأهل بيته؟! لا شك أن هذا السؤال المنطقي سيثير المزيد من التساؤلات، وسيحرك الأدمغة والعقول، وسيجعل حتى مؤيدي يزيد أو المضللين منهم يعرفون أن يزيد ارتكب جريمة كبرى بحق عتره النبي وأهل بيته الأطهار؛ وهذا ما حدث بالفعل بعد ذلك، فقد قامت الانتفاضات والثورات والاحتجاجات ضد الحكم الأموي في كل مكان.

وروى الطبرسي في الاحتجاج: لما أدخل علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام في جملته من حبل إلى الشام سبائاً من أولاد الحسين بن علي عليه السلام وأهاليه على يزيد - لعنه الله -، قال له: يا علي، الحمد لله الذي قتل أباك! قال علي عليه السلام: «قتل أبي الناس».

قَالَ يَزِيدُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَتَلَهُ فَكَفَانِيهِ!
 قَالَ عَلِيُّ (عليه السلام): «عَلَى مَنْ قَتَلَ أَبِي لَعْنَةُ اللَّهِ، أَفْتَرَانِي لَعْنَتُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟!».
 قَالَ يَزِيدُ: يَا عَلِيُّ، اصْعَدِ الْمَنْبَرَ فَأَعْلِمِ النَّاسَ حَالَ الْفِتْنَةِ، وَمَا رَزَقَ اللَّهُ
 أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الظَّفَرِ!

فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام): «مَا أَعْرَفَنِي بِمَا تُرِيدُ».
 فَصْعَدَ الْمَنْبَرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثُمَّ قَالَ:
 «أَيُّهَا النَّاسُ! مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفَنِي فَأَنَا أَعْرَفُهُ بِنَفْسِي، أَنَا
 ابْنُ مَكَّةَ وَمَنَى، أَنَا ابْنُ الْمَرْوَةِ وَالصَّفَا^(١)، أَنَا ابْنُ مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى، أَنَا ابْنُ
 مَنْ لَا يَخْفَى، أَنَا ابْنُ مَنْ عَلَا فَاسْتَعْلَى فَجَارَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى، فَكَانَ مِنْ رَبِّهِ
 قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى».

فَضَجَّ أَهْلُ الشَّامِ بِالْبُكَاءِ حَتَّى خَشِيَ يَزِيدُ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْ مَقْعَدِهِ، فَقَالَ
 لِلْمُؤَذِّنِ: أَذِّنْ.

فَلَمَّا قَالَ الْمُؤَذِّنُ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ» جَلَسَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) عَلَى
 الْمَنْبَرِ، فَقَالَ:

«أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ»، بَكَى عَلِيُّ بْنُ
 الْحُسَيْنِ (عليه السلام) ثُمَّ التَفَتَ إِلَى يَزِيدَ فَقَالَ: «يَا يَزِيدُ، هَذَا أَبُوكَ أَمْ أَبِي؟».
 قَالَ: بَلْ أَبُوكَ، فَانْزِلْ، فَتَزَلَّ (عليه السلام) فَأَخَذَ نَاحِيَةَ بَابِ الْمَسْجِدِ^(٢).

وهكذا استطاع الإمام زين العابدين (عليه السلام) بخطبه القوية أن يقلب الأمور
 رأساً على عقب ضد يزيد وجماعته، ويحدث ضجة وصيحة في مجلس يزيد،
 فلما خاف من تداعيات كلام الإمام وتأثيراته على الحاضرين أمر المؤذن أن
 يؤذن ليقطع عليه خطبته! ولكن الإمام واصل توجيه ضرباته القاضية ضد

١ - في بعض النسخ: «أنا ابن زمزم والصفاء» (هامش المصدر).

٢ - الاحتجاج: ج ٢ ص ١٣٢ ح ١٧٥، بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ١٦١.

يزيد عندما سأله: هل النبي أبي أم أبوك؟ جدي أم جدك؟! وإذا كان هو جدي فلماذا قتلت عترته، وأحب الناس إليه، وقمت بأسر نسائه وأطفاله؟!!

التحريض على قتل الإمام زين العابدين (عليه السلام)

لم يكتفِ أهل الشام بمعاداة أهل البيت (عليهم السلام) نتيجة التضليل الإعلامي للأمويين، وتشويه صورة أهل البيت الناصعة، ووضع الأحاديث المختلقة، ولم تشفِ صدورهم قتل الإمام الحسين (عليه السلام) حتى أخذ بعضهم بتحريض يزيد على قتل الإمام زين العابدين (عليه السلام) حتى لا يبقى من ذرية الحسين أحد، ولا تقوم لهم قائمة!

روى ابن كثير الدمشقي: أَنَّ يَزِيدَ اسْتَشَارَ النَّاسَ فِي أَمْرِهِمْ، فَقَالَ رِجَالٌ مِّنْ قَبَحَهُمُ اللَّهُ: ...، اقْتُلْ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْ ذُرِّيَّةِ الْحُسَيْنِ أَحَدٌ! فَسَكَتَ يَزِيدُ، فَقَالَ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اْعْمَلْ مَعَهُمْ كَمَا كَانَ يَعْمَلُ مَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَوْ رَأَاهُمْ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ. فَرَقَّ عَلَيْهِمْ يَزِيدُ، وَبَعَثَ بِهِمْ إِلَى الْحَمَّامِ، وَأَجْرَى عَلَيْهِمُ الْكَسَاوَى وَالْعَطَايَا وَالْأَطْعَمَةَ، وَأَنْزَلَهُمْ فِي دَارِهِ^(١).

وعن أبي حمزة الحضرمي: لَقَدْ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ [أَيُّ لِيَزِيدَ]: قَدْ أَمَكَّنَكَ اللَّهُ مِنْ عَدُوِّ اللَّهِ وَابْنِ عَدُوِّ أَبِيكَ، فَاقْتُلْ هَذَا الْغُلَامَ يَنْقُطِعَ هَذَا النَّسْلُ، فَإِنَّكَ لَا تَرَى مَا تُحِبُّ وَهُمْ أَحْيَاءُ، آخِرُ مَنْ يُنَازِعُ فِيهِ يَعْنِي عَلِيٌّ بْنُ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، لَقَدْ رَأَيْتَ مَا لَقِيَ أَبُوكَ مِنْ أَبِيهِ وَمَا لَقِيتَ أَنْتَ مِنْهُ، وَقَدْ رَأَيْتَ مَا صَنَعَ مُسْلِمُ بْنُ عَقِيلٍ، فَاقْطَعْ أَصْلَ هَذَا

١ - البداية والنهاية: ج ٨ ص ١٩٦، العقد الفريد: ج ٣ ص ٣٦٨ عن الضحَّاك بن عثمان الخزاعي، الإمامة والسياسة: ج ٢ ص ١٣ عن محمد بن الحسين بن عليٍّ، المحن: ص ١٤٩ عن محمد بن الحسن بن عليٍّ وكلَّها نحوه. لباب الأنساب: ج ١ ص ٣٥٠.

الْبَيْتِ، فَإِنَّكَ إِنْ قَتَلْتَ هَذَا الْغُلَامَ انْقَطَعَ نَسْلُ الْحُسَيْنِ خَاصَّةً، وَإِلَّا فَالْقَوْمُ مَا بَقِيَ مِنْهُمْ أَحَدٌ طَالِبُكَ بِهِمْ، وَهُمْ قَوْمٌ ذَوُو مَكْرٍ، وَالنَّاسُ إِلَيْهِمْ مَائِلُونَ وَخَاصَّةً غَوَغَاءُ أَهْلِ الْعِرَاقِ، يَقُولُونَ: ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ابْنُ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ! اقْتُلْهُ، فَلَيْسَ هُوَ بِأَكْرَمَ مِنْ صَاحِبِ هَذَا الرَّأْسِ.

فَقَالَ: لَا قُوتَ وَلَا قَعْدَتَ، فَإِنَّكَ ضَعِيفٌ مَهِينٌ، بَلْ أَدْعُهُمْ كُلَّمَا طَلَعَ مِنْهُمْ طَالِعٌ أَخَذَتْهُ سُيُوفُ آلِ أَبِي سُفْيَانَ^(١).

ويزيد الذي سفك دم الإمام الحسين عليه السلام ليس بحاجة لمن يحرضه على قتل الإمام زين العابدين عليه السلام، فهو ارتكب أعظم جريمة في التاريخ بقتل سبط رسول الله ﷺ، ولكنه أراد تهدئة الأوضاع والسيطرة على الأمور بعدما فعله بأهل البيت في يوم عاشوراء.

وقد أنجى الله سبحانه وتعالى الإمام زين العابدين عليه السلام من القتل أيضًا عندما كان في مجلس ابن زياد في الكوفة وأراد قتله، لكن السيدة زينب (عليها السلام) تصدّت له حتى خلصته من القتل.

روى الطبري عن عمّار الدهني عن أبي جعفر [الباقر] (عليه السلام) قال: «سَرَّحَ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ بِحَرَمِهِ وَعِيَالِهِ إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ، وَلَمْ يَكُنْ بَقِيَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ (عليه السلام) إِلَّا غُلَامٌ كَانَ مَرِيضًا مَعَ النِّسَاءِ، فَأَمَرَ بِهِ عُبَيْدُ اللَّهِ لِيُقْتَلَ، فَطَرَحَتْ زَيْنَبُ نَفْسَهَا عَلَيْهِ، وَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَا يُقْتَلُ حَتَّى تَقْتُلُونِي! فَرَقَّ لَهَا، فَتَرَكَهُ وَكَفَّ عَنْهُ»^(٢).

وروى الشيخ المفيد: وعُرِضَ عَلَيْهِ [أَيُّ ابْنِ زِيَادٍ] عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟

١ - تاريخ دمشق: ج ٦٩ ص ١٦٠. الأُمالي للشجري: ج ١ ص ١٧٥. سير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٣١٩.

٢ - تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٣٩٠، تهذيب الكمال: ج ٦ ص ٤٢٩، تهذيب التهذيب: ج ١ ص ٥٩٢، سير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٣٠٩؛ الأُمالي للشجري: ج ١ ص ١٩٢.

فَقَالَ: «أَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ».

فَقَالَ: أَلَيْسَ قَدْ قَتَلَ اللَّهُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ؟

فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ (عليه السلام): «قَدْ كَانَ لِي أَخٌ يُسَمَّى عَلِيًّا قَتَلَهُ النَّاسُ».

فَقَالَ لَهُ ابْنُ زِيَادٍ: بَلِ اللَّهُ قَتَلَهُ.

فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام): ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾^(١).

فَغَضِبَ ابْنُ زِيَادٍ وَقَالَ: وَبِكَ جُرْأَةٌ لِحَوَايِ؟ وَفِيكَ بَقِيَّةٌ لِلرَّدِّ عَلَيَّ!

اذْهَبُوا بِهِ فَاصْرِبُوا عُنُقَهُ.

فَتَعَلَّقَتْ بِهِ زَيْنَبُ عَمَّتُهُ، وَقَالَتْ: يَا ابْنَ زِيَادٍ، حَسْبُكَ مِنْ دِمَائِنَا، وَاعْتَنَقَتْهُ

وَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَا أَفَارِقُهُ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَأَقْتُلْنِي مَعَهُ.

فَنَظَرَ ابْنُ زِيَادٍ إِلَيْهَا وَإِلَيْهِ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: عَجَبًا لِلرَّحِمِ! وَاللَّهِ إِنِّي لَأَظُنُّهَا وَدَّتْ

أَنِّي قَتَلْتُهَا مَعَهُ، دَعَوْهُ فَإِنِّي أَرَاهُ لَمَّا بِهِ. ثُمَّ قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الْقَصْرِ^(٢).

لقد حفظ الله الإمام زين العابدين (عليه السلام) من القتل في عدة مواطن:

في واقعة كربلاء، وعندما أراد ابن زياد قتله، وكذا لما حرَّض عليه

بعض رجالات أهل الشام يزيد كي يقتله، وعندما استباح جيش يزيد

المدينة المنورة وقتل فيها الآلاف من الناس بمن فيهم الصحابة والقراء

وغيرهم، وفي كل مرة يخلصه الله تعالى من القتل حتى تستمر الإمامة في

نسله المبارك ولا تنقطع.

وأراد مسلم بن عقبة أن يقتل الإمام ولكن الله أنجاه منه أيضًا، وكان

للدعاء أثر في دفع البلاء عنه، فقد روى المفيد، عن داوود بن القاسم قال:

١ - سورة الزمر: الآية ٤٢.

٢ - الإرشاد: ج ٢ ص ١١٦، مثير الأحران: ص ٩١، إعلام الوری: ج ١ ص ٤٧٢، كشف الغمّة:

ج ٢ ص ٢٧٨، بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ١١٧؛ الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٥٧٥ نحوه. تاريخ

الطبري: ج ٥ ص ٤٧٥.

حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ عَمِّهِ عُمَرَ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ (عليهما السلام)، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «لَمْ أَرْ مِثْلَ التَّقَدُّمِ فِي الدُّعَاءِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ لَيْسَ تَحْضُرُهُ الْإِجَابَةُ فِي كُلِّ وَقْتٍ».

وكانَ مِمَّا حَفِظَ عَنْهُ (عليه السلام) مِنَ الدُّعَاءِ حِينَ بَلَغَهُ تَوَجُّهُ مُسْرِفِ بْنِ عُقْبَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ:

«رَبِّ كَمْ مِنْ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ قَلَّ لَكَ عِنْدَهَا شُكْرِي؟ وَكَمْ مِنْ بَلِيَّةٍ ابْتَلَيْتَنِي بِهَا قَلَّ لَكَ عِنْدَهَا صَبْرِي؟ فَيَا مَنْ قَلَّ عِنْدَ نِعْمَتِهِ شُكْرِي فَلَمْ يَحْرِمْ نِي، وَقَلَّ عِنْدَ بَلَائِهِ صَبْرِي فَلَمْ يَحْذُلْنِي، يَا ذَا الْمَعْرُوفِ الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ أَبَدًا، وَيَا ذَا النِّعَمَاءِ الَّتِي لَا تُحْصَى عَدَدًا، صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَادْفَعْ عَنِّي شَرَّهُ، فَإِنِّي أَدْرَأُ بِكَ فِي نَحْرِهِ، وَأَسْتَعِذُّ بِكَ مِنْ شَرِّهِ».

فَقَدِمَ مُسْرِفُ بْنُ عُقْبَةَ الْمَدِينَةَ، وَكَانَ يُقَالُ: لَا يُرِيدُ غَيْرَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام)، فَسَلِمَ مِنْهُ، وَأَكْرَمَهُ وَحَبَّاهُ وَوَصَلَّهُ^(١).

التنصل من المسؤولية وإقامة المآثم في البلاط الأموي

أدرك يزيد بن معاوية حجم الجريمة التي ارتكبها بحق سبط رسول الله ﷺ، وما فعله بأهل بيته، وتصرفاته القبيحة تجاه الرأس الشريف، ومواجهته لمعارضة حتى من أقرب الناس إليه كزوجاته وأقاربه، ومن في البلاط الأموي لفعلته الشنيعة، وما سمعه من شدة غضب الناس عليه في كل مكان، ومقتهم له؛ وبهدف تهدئة الأمور، والسيطرة على الأوضاع، حاول التنصل من المسؤولية، واتهام ابن زياد بفعل الجريمة النكراء، فقد لقي معارضة شديدة وانتقادات لاذعة من المقربين إليه فضلاً عن البعيدين

١ - الإرشاد: ص ٢٤٩، المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤ ص ١٦٤ نحوه، بحار الأنوار: ج ٩٢ ص ٢٢١ ح ١٩.

عنه، فقد روى الطبري عن القاسم بن بخيت، قال: «دَخَلُوا عَلَى يَزِيدَ فَوَضَعُوا الرَّأْسَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَحَدَّثُوهُ الْحَدِيثَ.

قال: فَسَمِعَت دَوْرَ الْحَدِيثِ هِنْدُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ كُرَيْزٍ - وَكَانَتْ تَحْتَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ - فَتَقَنَّعَتْ بِثَوْبِهَا وَخَرَجَتْ، فَقَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَرَأَيْتَ الْحُسَيْنَ بْنَ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ؟!

قال: نَعَمْ، فَأَعُولِي عَلَيْهِ، وَحُدِّي^(١) عَلَى ابْنِ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَرِيحَةِ قُرَيْشٍ، عَجَّلَ عَلَيْهِ ابْنُ زِيَادٍ فَقَتَلَهُ، فَقَتَلَهُ اللَّهُ^(٢).

وروى ابن سعد: «بَكَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ كُرَيْزٍ عَلَى حُسَيْنٍ (عليه السلام)، وَهِيَ يَوْمَئِذٍ عِنْدَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ. فَقَالَ يَزِيدُ: حَقٌّ لَهَا أَنْ تُعُولَ عَلَى كَبِيرِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهَا»^(٣).

ولما عرف يزيد بغض الناس إليه وكراهيتهم له حاول أن يتنصل من قتل الإمام الحسين (عليه السلام) وإلقاء المسؤولية على ابن زياد.

روى الطبري عن يونس بن حبيب الجرمي: «لَمَّا قَتَلَ عبيد الله بن زياد الحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ (عليه السلام) وَبَنِي أَبِيهِ، بَعَثَ بُرْؤَ وَسِهِمْ إِلَى يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَسَرَّ بِقَتْلِهِمْ أَوَّلًا وَحَسُنْتَ بِذَلِكَ مَنَزَلُهُ عِنْدَهُ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى نَدِمَ عَلَى قَتْلِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام)، فَكَانَ يَقُولُ: وَمَا كَانَ عَلَيٌّ لَوْ احْتَمَلْتُ الْأَذَى وَأَنْزَلْتُهُ مَعِيَ فِي دَارِي وَحَكَمْتُهُ فِيمَا يُرِيدُ، وَإِنْ كَانَ عَلَيٌّ فِي ذَلِكَ وَكَفَّ^(٤) وَوَهَنٌ فِي سُلْطَانِي، حِفْظًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرِعَايَةً لِحَقِّهِ وَقَرَابَتِهِ!

١ - حَدَّثَتِ الْمَرْأَةَ عَلَى زَوْجِهَا: إِذَا حَزَنْتَ عَلَيْهِ وَلَبِستَ ثِيَابَ الْحُزْنِ (النهاية: ج ١ ص ٣٥٢ «حدد»).

٢ - تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٤٦٥، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٥٧٦ وفيه «تحب» بدل «تحت»، تاريخ دمشق: ج ٦٢ ص ٨٥، جواهر المطالب: ج ٢ ص ٢٩٣.

٣ - الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة): ج ١ ص ٤٨٩، سير أعلام النبلاء: ج ٣ ص ٣٠٤.

٤ - الْوَكْفُ: الْوُقُوعُ فِي الْمَأْثَمِ وَالْعَيْبِ (النهاية: ج ٥ ص ٢٢١ «وكف»).

لَعَنَ اللَّهُ ابْنَ مَرْجَانَةَ فَإِنَّهُ أَخْرَجَهُ وَاضْطَرَّهُ... وَقَتَلَهُ، فَبَغَّضَنِي بِقَتْلِهِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، وَزَرَعَ لِي فِي قُلُوبِهِمُ الْعَدَاوَةَ، فَبَغَّضَنِي الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ بِمَا اسْتَعْظَمَ النَّاسُ مِنْ قَتْلِي حُسَيْنًا، مَالِي وَلِابْنِ مَرْجَانَةَ! لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ»^(١).

وفي سبيل تضليل الرأي العام، وامتصاص غضب الناس عليه، ومقتهم له، ونفورهم منه؛ سمح بإقامة النياحة والبكاء على الإمام الحسين عليه السلام في قصره كما تشير إلى ذلك بعض المصادر التاريخية، فقد روى الطبري عن الحارث بن كعب: «فَخَرَجْنَا حَتَّى دَخَلْنَا دَارَ يَزِيدَ، فَلَمْ تَبَقْ مِنْ آلِ مُعَاوِيَةَ امْرَأَةٌ إِلَّا اسْتَقْبَلَتْهُنَّ تَبْكِي وَتَنُوحُ عَلَى الْحُسَيْنِ عليه السلام، فَأَقَامُوا عَلَيْهِ الْمَنَاحَةَ ثَلَاثًا»^(٢).

وروى السيد ابن طاووس في الملهوف: «جَعَلَتْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ - كَانَتْ فِي دَارِ يَزِيدَ - تَنْدُبُ الْحُسَيْنَ عليه السلام وَتُنَادِي: يَا حُسَيْنَاهُ، يَا حَبِيبَاهُ، يَا سَيِّدَاهُ، يَا سَيِّدَ أَهْلِ بَيْتَاهُ، يَا بَنَ مُحَمَّدَاهُ، يَا رَبِيعَ الْأَرَامِلِ وَالْيَتَامَى، يَا قَتِيلَ أَوْلَادِ الْأَدْعِيَاءِ»^(٣).

قال الراوي: «فَأَبْكَتْ كُلُّ مَنْ سَمِعَهَا»^(٤).

وذكر البلاذري: «قَالَ يَزِيدُ حِينَ رَأَى وَجْهَ الْحُسَيْنِ عليه السلام: مَا رَأَيْتُ وَجْهًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ! فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُ كَانَ يَشْبُهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. فَسَكَتَ. وَصَيَّحَ نِسَاءُ مِنْ نِسَاءِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ وَوَلَوْلَنَ حِينَ أُدْخِلَ نِسَاءُ الْحُسَيْنِ عليه السلام عَلَيْهِنَّ، وَأَقَمْنَ عَلَى الْحُسَيْنِ عليه السلام مَأْتَمًا»^(٥).

١ - تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٥٠٦، تاريخ دمشق: ج ١٠ ص ٩٤، تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٥ ص ٢٠، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٣٩٣ و أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٤٢٥ و تذكرة الخواص: ص ٢٦١ و ص ٢٦٥ و الإرشاد: ج ٢ ص ١١٨.

٢ - تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٤٦٢، تاريخ دمشق: ج ٦٩ ص ١٧٧، المنتظم: ج ٥ ص ٣٤٤ وليس فيه ذيله.

٣ - الدَّعْيُ: الْمُتَّهَمُ فِي نَسَبِهِ، وَالْجَمْعُ: الْأَدْعِيَاءُ (تاج العروس: ج ١٩ ص ٤٠٧ «دعو»).

٤ - الملهوف: ص ٢١٣، بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ١٣٢.

٥ - أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٤١٧.

ما طلبه الإمام زين العابدين من يزيد

طلب الإمام زين العابدين (عليه السلام) من يزيد عدة مطالب، وهي: رؤية وجه الإمام الحسين (عليه السلام)، وإرجاع ما أخذ منهم، وإرجاعهم إلى المدينة المنورة.

روى السيد ابن طاووس في الملهوف: «قال [يزيد] لِعَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام): اذكر حاجاتك الثلاث التي وعدتك بقضائهنَّ.

فقال له: الأولى: أن تُريني وجه سيدي ومولاي الحسين (عليه السلام)، فَاتَزَوَّدَ مِنْهُ وَأَنْظَرَ إِلَيْهِ وَأَوْدَعَهُ.

وَالثَّانِيَّةُ: أَنْ تَرُدَّ عَلَيْنَا مَا أَخَذَ مِنَّا.

وَالثَّالِثَةُ: إِنْ كُنْتَ عَزَمْتَ عَلَى قَتْلِي، أَنْ تُوجِّهَ مَعَ هَؤُلَاءِ النِّسْوَةِ مَنْ يَرُدُّهُنَّ إِلَى حَرَمِ جَدِّهِنَّ (عليه السلام) وَالرَّسُولِ.

فقال: أمَّا وجه أبيك فلن تراه أبداً، وأمَّا قتلك فقد عفوت عنك، وأمَّا النساءُ فما يرُدُّهُنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ غَيْرُكَ، وأمَّا ما أخذ منكُم فإني أعوضُكم عنه أضعافَ قيمته.

فقال (عليه السلام): أمَّا مالك فلا تُريدُهُ، وهو موفَّرُ عليك، وإنما طلبتُ ما أخذتُ مِنَّا؛ لِأَنَّ فِيهِ مِغْزَلُ فَاطِمَةَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ (عليه السلام) وَمِقْنَعَتَهَا وَقِلَادَتَهَا وَقَمِيصَهَا.

فأمر برَدِّ ذلك، وزاد عليه مئتي دينار، فأخذها زين العابدين (عليه السلام) وفرَّقها عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ.

ثُمَّ أَمَرَ بِرَدِّ الْأَسَارَى وَسَبَايَا الْبَتُولِ إِلَى أوطانهم بِمَدِينَةِ الرَّسُولِ»^(١).

وروى الطبرسي في الاحتجاج: «رَوَتْ ثِقَاتُ الرُّوَاةِ: أَنَّهُ لَمَّا أُدْخِلَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ زَيْنُ الْعَابِدِينَ (عليه السلام) فِي جُمْلَةٍ مَن حُمِلَ إِلَى الشَّامِ سَبَايَا مِنْ أَوْلَادِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ (عليه السلام) وَأَهَالِيهِ عَلَى يَزِيدَ... قَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام): يَا يَزِيدُ بَلَّغْنِي

أَنَّكَ تُرِيدُ قَتْلِي، فَإِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ قَاتِلِي، فَوَجَّهْ مَعَ هَؤُلَاءِ النِّسْوَةَ مَنْ يَرُدُّهُنَّ إِلَى حَرَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ لَعَنَهُ اللَّهُ: لَا يَرُدُّهُنَّ غَيْرُكَ^(١).

وفي شرح الأخبار: «أَمَرَ [يَزِيدُ] بِإِطْلَاقِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام)، وَخَيْرَتِهِ بَيْنَ الْمَقَامِ عِنْدَهُ أَوِ الْإِنْصِرَافِ، فَاخْتَارَ الْإِنْصِرَافَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَسَرَّحَهُ»^(٢).

وفي كتاب مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: «رُويَ أَنَّ يَزِيدَ عَرَضَ عَلَيْهِمْ [أَيَّ عَلَى سَبَايَا أَهْلِ الْبَيْتِ] الْمَقَامَ بِدِمَشْقَ فَأَبَوْا ذَلِكَ، وَقَالُوا: رُدُّنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِأَنَّهُمَا مُهَاجِرَةٌ جَدَّنَا»^(٣).

ومن أجل تبييض سمعة يزيد وتحسين صورته أمام الرأي العام الذي بدأ يتنفض ضده كما حدث في ثورة أهل المدينة ثم في مكة المكرمة، وبهدف تهدئة الأحداث التي بدأت بالتوتر عقب استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) أخذ يزيد يظهر عدم موافقته على قتله، وأن المسؤولية تقع على ابن زياد، وبدأ بتغيير تعامله مع الأسارى من أهل البيت، إذ أمر - كما تشير بعض المصادر التاريخية - بالإحسان إليهم وإكرامهم ظاهرياً حتى يمتص غضب الناس عليه، بعد أن حبسهم في محبس لا يقيهم من حرٍّ ولا بردٍ حَتَّى تَقَشَّرَتْ وُجُوهُهُمْ.

روى الشيخ المفيد: «أَمَرَ [يَزِيدُ] بِالنِّسْوَةِ أَنْ يُنْزَلْنَ فِي دَارٍ عَلَى حِدَةٍ مَعَهُنَّ أَخُوهُنَّ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام)، فَأَفْرَدَهُمْ دَارٌ تَتَّصِلُ بِدَارِ يَزِيدَ، فَأَقَامُوا أَيَّامًا ثُمَّ نَدَبَ يَزِيدُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ، وَقَالَ لَهُ: تَجَهَّزْ لِتَخْرُجَ بِهِؤُلَاءِ النِّسْوَانِ إِلَى الْمَدِينَةِ.

١- الاحتجاج: ج ٢ ص ١٣٢-١٣٥ ح ١٧٥، تفسير القمي: ج ٢ ص ٣٥٢ عن علي بن إبراهيم عن الإمام الصادق عنه (عليهما السلام) نحوه، بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ١٦٢ ح ٦.

٢- شرح الأخبار: ج ٣ ص ١٥٩ ح ١٠٨٩.

٣- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: ج ٢ ص ٧٤؛ بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ١٤٥.

ولما أراد أن يُجهّزهم دعا عليّ بن الحسين (عليه السلام) فاستخلاه، ثم قال له: لعن الله ابنَ مَرَجَانَةَ، أما والله لو أني صاحبُ أهلك ما سألتني خصلةً أبدًا إلا أعطيتها إياها، ولدَفَعْتُ الحَتَفَ عنه بِكُلِّ ما استطعتُ، ولكنَّ الله قَضَى ما رَأَيْتَ، كاتِبني مِنَ المَدِينَةِ وأنه كُلُّ حاجَةٍ تكونُ لَكَ.

وتقدّم بِكِسْوَتِهِ وَكِسْوَةِ أَهْلِهِ، وأنفذَ مَعَهُمْ في جُمْلَةِ النُّعْمانِ بنِ بَشِيرٍ رَسولًا تَقَدَّمَ إِلَيْهِ أن يَسِيرَ بِهِمْ في اللَّيْلِ، ويكونوا أَمامَهُ حَيْثُ لا يَفوتونَ طَرَفَهُ، فإذا نَزَلُوا تَنَحَّى عَنْهُمْ وَتَفَرَّقَ هُوَ وَأَصْحابُهُ حَوْلَهُمْ كَهَيئَةِ الحَرَسِ لَهُمْ، وَيَنْزِلُ مِنْهُمْ حَيْثُ إذا أرادَ إنسانٌ مِنَ جَماعَتِهِمْ وُضوءًا وَقضاءَ حاجَةٍ لَمْ يَحْتَشِم. فَسارَ مَعَهُمْ في جُمْلَةِ النُّعْمانِ، وَلَمْ يَزَلْ يُنازِلُهُمْ في الطَّرِيقِ وَيَرْفُقُ بِهِمْ كَمَا وَصَّاهُ يَزِيدُ وَيَرَعُونَهُمْ، حَتَّى دَخَلُوا المَدِينَةَ»^(١).

وفي سياق التضليل الأموي للرأي العام الإسلامي أبدى يزيد أسفه على قتل الإمام الحسين (عليه السلام) أمام الإمام زين العابدين، وأنه كان على استعداد لدفع الموت عنه ولو ببعض ولده، وهو الذي أمر بقتله!

روى الطبري عن أبي مخنف عن الحارث بن كعب: «لما أرادوا أن يخرجوا، دعا يزيدُ عليّ بنَ الحسين (عليه السلام)، ثُمَّ قال: لعنَ اللهُ ابنَ مَرَجَانَةَ، أما والله لو أني صاحبُهُ ما سألني خصلةً أبدًا إلا أعطيتها إياها، ولدَفَعْتُ الحَتَفَ عنه بِكُلِّ ما استطعتُ ولو بهلاكِ بعضِ وُلدي، ولكنَّ الله قَضَى ما رَأَيْتَ. كاتِبني وأنه كُلُّ حاجَةٍ تكونُ لَكَ. قال: وكَساهُمْ وأوصى بِهِم ذلِكَ الرَّسولَ. قال: فَخَرَجَ بِهِم [الرَّسولُ]، وكان يُسائِرُهُم بِاللَّيْلِ فَيَكُونونَ أَمامَهُ حَيْثُ لا يَفوتونَ طَرَفَهُ، فإذا نَزَلُوا تَنَحَّى عَنْهُمْ وَتَفَرَّقَ هُوَ وَأَصْحابُهُ حَوْلَهُمْ كَهَيئَةِ الحَرَسِ لَهُمْ، وَيَنْزِلُ مِنْهُمْ بِحَيْثُ إذا أرادَ إنسانٌ مِنْهُمْ وُضوءًا أو قُضاءَ حاجَةٍ لَمْ يَحْتَشِم.

فَلَمْ يَزَلْ يُنَازِلُهُمْ فِي الطَّرِيقِ هَكَذَا وَيَسْأَلُهُمْ عَنْ حَوَائِجِهِمْ وَيُلَطِّفُهُمْ، حَتَّى دَخَلُوا الْمَدِينَةَ»^(١).

وصول آل الرسول إلى المدينة

بعد رحلة شاقة ومضنية، وقلوبهم تتفطر ألماً وحزناً على شهادة مولاهم وسيدهم الإمام الحسين عليه السلام ومن معه، وصل الإمام زين العابدين عليه السلام ومن كان معه إلى المدينة المنورة موطنهم الأصلي، وما إن سمع أهل المدينة بالخبر، وسماعهم نعي الإمام الحسين عليه السلام وشهادته حتى ضجَّ الناس ضجة واحدة، وخرج الجميع إلى مكان تواجد الإمام وأهل بيته وهم يكون أشد البكاء و ينتحبون أشد النحيب.

روى السيد ابن طاووس في الملهوف عن بشير بن حذلم^(٢): «فَلَمَّا قَرَّبْنَا مِنْهَا [أَيِ مِنَ الْمَدِينَةِ] نَزَلَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَحَطَّ رَحْلَهُ، وَضَرَبَ فُسْطَاطَهُ وَأَنْزَلَ نِسَاءَهُ، وَقَالَ: يَا بَشِيرُ! رَحِمَ اللَّهُ أَبَاكَ لَقَدْ كَانَ شَاعِرًا، فَهَلْ تَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ؟ قُلْتُ: بَلَى - يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ - إِنِّي لَشَاعِرٌ.

قَالَ: فَادْخُلِ الْمَدِينَةَ وَانْعَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ بَشِيرٌ: فَرَكِبْتُ فَرَسِي وَرَكَّضْتُ حَتَّى دَخَلْتُ الْمَدِينَةَ، فَلَمَّا بَلَغْتُ مَسْجِدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله رَفَعْتُ صَوْتِي بِالْبُكَاءِ، وَأَنْشَأْتُ أَقُولُ:

قُتِلَ الْحُسَيْنُ فَأَدْمَعِي مِدْرَارُ

وَالرَّأْسُ مِنْهُ عَلَى الْقَنَاءِ يُدَارُ

يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ بِهَا

الْجِسْمُ مِنْهُ بِكَرْبَلَاءَ مُضَرَّجٌ

١ - تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٤٦٢، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٥٧٨، الفصول المهمة: ص ١٩٣، البداية والنهاية: ج ٨ ص ١٩٥ وكلاهما نحوه.

٢ - وقع في اسمه اختلاف، فذكر مرة «بشر» وأخرى «بشير»، وكذا في اسم أبيه حيث ذكر «حذلم» و«جنلم» و«خديم».

قال: ثُمَّ قُلْتُ: هَذَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ مَعَ عَمَّاتِهِ وَأَخَوَاتِهِ قَدْ حَلَّوْا بِسَاحَتِكُمْ وَنَزَلُوا بِفَنَائِكُمْ، وَأَنَا رَسُولُهُ إِلَيْكُمْ أُعَرِّفُكُمْ مَكَانَهُ.

قال: فَمَا بَقِيَتْ فِي الْمَدِينَةِ مُحَدَّرَةٌ وَلَا مُحَجَّبَةٌ إِلَّا بَرَزْنَ مِنْ خُدُورِهِنَّ، مَكْشُوفَةً شُعُورِهِنَّ، مُحَمَّشَةً وَجُوهَهُنَّ، ضَارِبَاتٍ خُدُودَهُنَّ، يَدْعُونَ بِالْوَيْلِ وَالْثُبُورِ، فَلَمْ أَرِ بَاكِيًا وَلَا بَاكِيًا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَلَا يَوْمًا أَمَرَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْهُ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَسَمِعْتُ جَارِيَةً تَنُوحُ عَلَى الْحُسَيْنِ (عليه السلام) وتقول:

نَعَى سَيِّدِي نَاعٍ نَعَاهُ فَأَوْجَعَا	فَأَمْرَضَنِي نَاعٍ نَعَاهُ فَأَفْجَعَا
أَعَيْنَيَّ جُودًا بِالْمَدَامِيعِ	وَجُودًا بِدَمْعٍ بَعْدَ دَمْعِكُمَا مَعَ
عَلَى مَنْ دَهَى عَرْشَ الْجَلِيلِ فَزَعَزَعَا	وَأَصْبَحَ أَنْفُ الدِّينِ وَالْمَجْدُ أَجْدَعَا
عَلَى ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ وَابْنِ وَصِيِّهِ	وَإِنْ كَانَ عَنَّا شَاحِطًا

ثُمَّ قَالَتْ: أَيُّهَا النَّاعِي! جَدَّدْتَ حُزْنَنا بِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام)، وَخَدَشْتَ مِنَّا قُرُوحًا لَمَّا تَنْدَمِلُ، فَمَنْ أَنْتَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ؟

قُلْتُ: أَنَا بَشِيرُ بْنُ حَدَلَمٍ، وَجَّهَنِي مَوْلَايَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) وَهُوَ نَازِلُ مَوْضِعَ كَذَا وَكَذَا مَعَ عِيَالِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) وَنِسَائِهِ.

قال: فَتَرَكُونِي مَكَانِي وَبَادَرُوا، فَضَرَبْتُ فَرَسِي حَتَّى رَجَعْتُ إِلَيْهِمْ، فَوَجَدْتُ النَّاسَ قَدْ أَخَذُوا الطُّرُقَ وَالْمَوَاضِعَ، فَزَلْتُ عَنْ فَرَسِي وَتَحَطَّيْتُ رِقَابَ النَّاسِ حَتَّى قَرُبْتُ مِنْ بَابِ الْفُسْطَاطِ، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) دَاخِلًا، فَخَرَجَ وَمَعَهُ خِرْقَةٌ يَمْسَحُ بِهَا دُمُوعَهُ، وَخَلْفَهُ خَادِمٌ مَعَهُ كُرْسِيُّ فَوَضَعَهُ لَهُ وَجَلَسَ عَلَيْهِ، وَهُوَ لَا يَتِمَّالِكُ مِنَ الْعَبْرَةِ، فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُ النَّاسِ بِالْبُكَاءِ، وَحَنِينِ الْجَوَارِي وَالنِّسَاءِ، وَالنَّاسُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ يُعَزِّوْنَهُ، فَضَجَّتْ تِلْكَ الْبُقْعَةُ ضَجَّةً شَدِيدَةً، فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ أَنْ اسْكُتُوا، فَسَكَتَ فَوْرَتُهُمْ.

فَقَالَ عليه السلام: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ،
 بَارِيِ الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ، الَّذِي بَعْدَ فَارْتَفَعَ فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَى، وَقَرُبَ فَشَهَدَ
 النَّجْوَى، نَحَمَدُهُ عَلَى عَظَائِمِ الْأُمُورِ، وَفَجَائِعِ الدُّهُورِ، وَأَلَمِ الْفَوَاجِعِ،
 وَمَضَاضَةِ ^(١) اللَّوَاذِعِ ^(٢)، وَجَلِيلِ الرُّزْءِ، وَعَظِيمِ الْمَصَائِبِ الْفَاطِعَةِ، الْكَاطِطَةِ
 الْفَادِحَةِ الْجَائِحَةِ ^(٣).

أَيُّهَا الْقَوْمُ! إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى (وَلَهُ الْحَمْدُ) ابْتَلَانَا بِمَصَائِبَ جَلِيلَةٍ، وَثُلْمَةٍ فِي
 الْإِسْلَامِ عَظِيمَةٍ، قُتِلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَعَتَرَتْهُ، وَسُيِّي نِسَاؤُهُ وَصِبْيَتُهُ، وَدَارُوا
 بِرَأْسِهِ فِي الْبُلْدَانِ مِنْ فَوْقِ عَامِلِ السَّنَانِ، وَهَذِهِ الرِّزْيَةُ الَّتِي لَا مِثْلَهَا رِزْيَةٌ.
 أَيُّهَا النَّاسُ! فَأَيُّ رِجَالَاتٍ مِنْكُمْ يُسَرُّونَ بَعْدَ قَتْلِهِ، أَمْ آيَةُ عَيْنٍ مِنْكُمْ تَحْسُسُ
 دَمْعَهَا وَتَضْنُ عَنْ انْهَالِهَا؟ فَلَقَدْ بَكَتِ السَّبْعُ الشَّدَادُ لِقَتْلِهِ، وَبَكَتِ الْبِحَارُ
 بِأَمْوَاجِهَا، وَالسَّمَاوَاتُ بِأَرْكَانِهَا، وَالْأَرْضُ بِأَرْجَائِهَا، وَالْأَشْجَارُ بِأَغْصَانِهَا،
 وَالْحَيْتَانُ فِي جُجِ الْبِحَارِ، وَالْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ، وَأَهْلُ السَّمَاوَاتِ أَجْمَعُونَ.
 أَيُّهَا النَّاسُ! أَيُّ قَلْبٍ لَا يَنْصَدِعُ لِقَتْلِهِ، أَمْ أَيُّ فُؤَادٍ لَا يَحْنُ إِلَيْهِ، أَمْ أَيُّ سَمْعٍ
 يَسْمَعُ هَذِهِ الثُّلْمَةَ الَّتِي ثَلَمَتْ فِي الْإِسْلَامِ وَلَا يُصَمُّ؟!

أَيُّهَا النَّاسُ! أَصْبَحْنَا مَطْرُودِينَ مُشَرَّدِينَ، مَذُودِينَ شَاسِعِينَ عَنْ
 الْأَمْصَارِ كَأَنَّا أَوْلَادُ ثُرَكٍ أَوْ كَابُلٍ ^(٤)، مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ اجْتَرَمْنَاهُ، وَلَا مَكْرُوهِ
 ارْتَكَبْنَاهُ، وَلَا ثُلْمَةٍ فِي الْإِسْلَامِ ثَلَمْنَاهَا، مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ
 ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ ^(٥).

١ - الْمَضَضُ: وَجَعُ الْمَصِيبَةِ (الصَّحاح: ج ٣ ص ١١٠٦ «مضض»).

٢ - اللَّذْعُ: حَرَقَةُ كَحَرَقَةِ النَّارِ (لسان العرب: ج ٨ ص ٣١٧ «لذع»).

٣ - الْجَائِحَةُ: كُلُّ مَصِيبَةٍ عَظِيمَةٍ وَفِتْنَةٍ مَبِيرَةٍ (النهاية: ج ١ ص ٣١٢ «جوح»).

٤ - لَمْ يَكُنِ الثُّرُكُ وَالْأَفَاغِنَةُ عِنْدَئِذٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

٥ - ص: ٧.

وَاللَّهُ لَوَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ فِي قِتَالِنَا كَمَا تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ فِي الْوَصَايَةِ بِنَا،
لَمَا زَادُوا عَلَى مَا فَعَلُوا بِنَا، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، مِنْ مُصِيبَةٍ مَا أَعْظَمَهَا،
وَأَوْجَعَهَا وَأَفْجَعَهَا، وَأَكْظَهَا^(١)، وَأَفْظَعَهَا، وَأَمَرَّهَا، وَأَفْدَحَهَا، فَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُ
فِيهَا أَصَابَنَا وَأَبْلَغَ بِنَا، إِنَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ.

قَالَ الرَّاوي: فَقَامَ صَوْحَانُ بْنُ صَعْصَعَةَ بْنِ صَوْحَانَ - وَكَانَ زَمَنًا - فَاعْتَذَرَ
إِلَيْهِ [أَيَّ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ] صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ بِمَا عِنْدَهُ مِنْ زَمَانَةِ رَجُلَيْهِ، فَأَجَابَهُ
بِقَبُولِ مَعْذَرَتِهِ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِهِ، وَشَكَرَ لَهُ وَتَرَحَّمَ عَلَى أَبِيهِ^(٢).

وَرَوَى الشَّيْخُ الْمَفِيدُ عَنْ أَبِي هِيَاجٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ: «لَمَّا أَتَى نَعِيَّ الْحُسَيْنِ
ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، خَرَجَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عَقِيلٍ بِنِ أَبِي طَالِبٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) فِي
جَمَاعَةٍ مِنْ نِسَائِهَا حَتَّى انْتَهَتْ إِلَى قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَاذَتْ بِهِ وَشَهِقَتْ
عِنْدَهُ، ثُمَّ التَفَّتْ إِلَى الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَهِيَ تَقُولُ:

مَاذَا تَقُولُونَ إِنْ قَالَ النَّبِيُّ لَكُمْ	يَوْمَ الْحِسَابِ وَصِدْقُ الْقَوْلِ مَسْمُوعٌ
خَذَلْتُمْ عِزِّي أَوْ كُنْتُمْ غِيَّبٌ	وَالْحَقُّ عِنْدَ وَلِيِّ الْأَمْرِ مَجْمُوعٌ
أَسَلَّمْتُمُوهُمْ بِأَيْدِي الظَّالِمِينَ فَمَا	مِنْكُمْ لَهُ الْيَوْمَ عِنْدَ اللَّهِ مَشْفُوعٌ
مَا كَانَ عِنْدَ غَدَاةِ الطُّفِّ إِذْ حَضَرُوا	تِلْكَ الْمَنَايَا وَلَا عَنْهُمْ مَدْفُوعٌ

قَالَ: فَمَا رَأَيْنَا بَاكِيًا وَلَا بَاكِيَةً أَكْثَرَ مِمَّا رَأَيْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ^(٣).

١ - كَظُّهُ: بَهْظُهُ وَكَرْبُهُ وَجَهْدُهُ (القاموس المحيط: ج ٢ ص ٣٩٨ «كظ»).

٢ - الملهوف: ص ٢٢٦، مثير الأحزان: ص ١١٢ نحوه، بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ١٤٧.

٣ - الأمالي للمفيد: ص ٣١٩ الرقم ٥، الأمالي للطوسي: ص ٨٩ الرقم ١٣٩، المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤ ص ١١٦، بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ١٨٨ الرقم ٣٤.

وانتصر الحسين عليه السلام

ظن يزيد أنه انتصر على الإمام الحسين عليه السلام بقتله، ولكن الحقيقة أن الانتصار المادي والعسكري لا يعني تحقيق النصر المعنوي، فأهداف سيد الشهداء عليه السلام بقيت مخلدة، والحفاظ على مبادئ الدين وقيمه التي دافع عنها بقيت موجودة، وهذا ما أشار إليه الإمام زين العابدين عليه السلام عندما سأله سائل: مَنْ غَلَبَ؟ أجابه: إذا سمعت الأذان والإقامة، أو إذا قمت للصلاة وأذنت وأقمت فهذا هو الغالب؛ أي أن الإمام الحسين الذي حافظ على الصلاة وبقيّة الفرائض من بدع بني أمية هو الذي غلب وانتصر.

روى الشيخ الطوسي عن عبدالله بن سيابة عن أبي عبدالله [الصادق] عليه السلام: «لَمَّا قَدِمَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ وَقَدْ قُتِلَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا)، اسْتَقْبَلَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ طَلْحَةَ بْنُ عبيدالله وَقَالَ: يَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ، مَنْ غَلَبَ؟ وَهُوَ مُغَطَّى رَأْسُهُ وَهُوَ فِي الْمَحْمِلِ.

قَالَ: فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ مَنْ غَلَبَ وَدَخَلَ وَقْتُ الصَّلَاةِ، فَأَذِّنْ ثُمَّ أَقِمِ»^(١).

وفي جواب الإمام عليه السلام إشارة مهمة إلى أن الصراع بين بني هاشم ومن معهم من الصفوة الخيرة وبني أمية ومن حذا حذوهم ليس صراعاً على الكراسي والمناصب الدنيوية والمغانم المادية، بل هو صراع بين الحق والباطل، بين الإسلام والجاهلية، فالغالب في الحقيقة هو من حافظ بشهادته على فرائض الإسلام وأحكامه، وهو الإمام الحسين عليه السلام.

هلاك يزيد

انتقم الله تعالى من يزيد بن معاوية سريعاً لما فعله من موبقات كبرى، وأعظمها قتل سبط النبي ﷺ وسيد شباب أهل الجنة، الإمام الحسين بن علي عليه السلام، فلم يتهنأ بملكه، بل عاجله الأجل ومات وهو عطشان.

ذكر السيد محسن الأمين: «هلك يزيد بن معاوية في سنة أربع وستين، وكان بين قتل الحسين (عليه السلام) وموت يزيد ثلاث سنين وشهران وأربعة أيام»^(١).

وقد سلبه الله الملك لما فعله من قتله للإمام الحسين (عليه السلام)، فقد ورد في رواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) يخاطب فيها المنصور الدوانيقي: «إِنَّ هَذَا الْمَلِكَ كَانَ فِي آلِ أَبِي سُفْيَانَ، فَلَمَّا قَتَلَ يَزِيدُ حُسَيْنًا سَلَبَهُ اللَّهُ مُلْكَهُ، فَوَرَّثَهُ آلَ مَرْوَانَ»^(٢).

وعن تاريخ هلاك يزيد، كتب المؤرخ المسعودي: «وهلك يزيد بحواريين من أرض دمشق لسبع عشرة ليلة خلت من صفر سنة أربع وستين، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة»^(٣).

لقد انتقم الله عز وجل من يزيد سريعاً، فلم يدم عمره بعد معركة كربلاء أكثر من ثلاث سنوات، ليذهب بعارها وشنارها، كما انتقم الله عز وجل من جميع من قاتلوا الإمام الحسين سريعاً.

روى عبدالله بن بدر الخطمي، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبَارَكَ فِي أَجَلِهِ، وَأَنْ يُمَتَّعَ بِمَا خَوَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَلْيَخْلُفْنِي فِي أَهْلِي خِلَافَةً حَسَنَةً، وَمَنْ لَمْ يَخْلُفْنِي فِيهِمْ بُتَيْكَ»^(٤) عُمُرُهُ، وَوَرَدَ عَلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُسَوِّدًا وَجْهَهُ»^(٥).

قال: «فكان كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فإن يزيد بن معاوية لم يخلفه في أهله خلافة حسنة، فبُتِكَ عمره، وما بقي بعد الحسين (عليه السلام) إلا قليلاً، وكذلك عبيد الله بن زياد (لعنهما الله)»^(٦).

١ - أصدق الأخبار: السيد محسن الأمين، ص ٧.

٢ - أصول الكافي: ج ٢ ص ٥٦٣ ح ٢٢، بحار الأنوار: ج ٤٧ ص ٢٠٩ ح ٥١.

٣ - مروج الذهب: ج ٣، ص ٥٠.

٤ - البتة: القطع، بتكه: قطعه (الصاح: ج ٤ ص ١٥٧٤ «بتك»).

٥ - مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: ج ٢ ص ٨٥، كنز العمال: ج ١٢ ص ٩٩ ح ٣٤١٧١.

٦ - مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: ج ٢ ص ٨٥، كنز العمال: ج ١٢ ص ٩٩ ح ٣٤١٧١.

وهلك يزيد - كما تشير بعض المصادر التاريخية - وهو في الثامنة والثلاثين من عمره، وقُتل ابن زياد وهو في السابعة والثلاثين، واستناداً لروايات معتبرة فقد أُصيب كثير من المجرمين والجناة في كربلاء بالأمراض الخطيرة، مثل الجنون والجذام والبرص، إذ يقول عبدالرحمن الغنوي: «ما بقي أحد مِمَّن تابعه [يزيد] على قتله، أو كان في محاربتة [الحسين عليه السلام] إلا أصابه جنون، أو جذام، أو برص، وصار ذلك وراثته في نسلهم»^(١).

وذكرت بعض المصادر التاريخية أن سبب هلاك يزيد هو إدمانه على معاقرة الخمر، وإسرافه في تناوله؛ ما أدى إلى انفجار في دماغه فهلك منه، وممن قال بذلك الذهبي إذ نقل عن محمد بن أحمد بن مسمع قال: «سكر يزيد، فقام يرقص، فسقط على رأسه فانشق وبدا دماغه»^(٢).

وهلك يزيد في السنة الثالثة من إمامة الإمام زين العابدين عليه السلام. قال المؤرخ المسعودي: «وفي السنة الثالثة من إمامته مات يزيد اللعين، وبويع لابنه معاوية بن يزيد، فأقام في الملك ثلاثة أشهر ومات»^(٣).

وقد استراح المسلمون من حكم يزيد وجرائمه الكبرى التي ارتكبتها بحق أهل البيت الأطهار عليه السلام، وما فعله من جرائم منكرة في استباحة مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ورمي الكعبة بالمنجنيق، فعجل الله الانتقام منه في الدنيا قبل الآخرة، وسلب منه الحكم لتبقى اللعنات تلاحقه إلى يوم القيامة.

١ - كامل الزيارات: ص ١٣٢ ح ١٤٩، بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٢٣٦ ح ٢٧.

٢ - سير أعلام النبلاء: الذهبي، ج ٣، ص ٢٩٠، رقم ٤٥٥.

٣ - إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب: المسعودي، ص ١٧١.

معاوية بن يزيد بن معاوية

(٦٤هـ - ٦٤هـ / ٦٨٣ - ٦٨٤م)

تولّى معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الحكم بعد هلاك أبيه يزيد وبوصية منه، فبايعه الناس في دمشق مقر الخلافة الأموية في سنة ٦٤ هـ، وهو الحاكم الأموي الثالث الذي تولّى مقاليد الحكم، ولكن سرعان ما تنازل عن العرش ولم يوص لأحد من بعده، فبايع الأمويون مروان بن الحكم ليكون الحاكم الأموي الرابع. كتب اليعقوبي في تاريخه: «مَلِكٌ مُعَاوِيَةُ بْنُ يُزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ - وَأُمُّهُ أُمُّ هَاشِمٍ بِنْتُ أَبِي هَاشِمٍ بِنِ عُبَيْةَ بْنِ رَبِيعَةَ - أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَقِيلَ: بَلْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ»^(١).

وقال المسعودي: «وَمَلِكٌ مُعَاوِيَةُ بْنُ يُزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بَعْدَ أَبِيهِ، فَكَانَتْ أَيَّامُهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا إِلَى أَنْ مَاتَ، وَقِيلَ شَهْرَيْنِ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ، وَكَانَ يَكْنَى بِأَبِي يُزِيدَ، وَكُنِيَ حِينَ وَلِيَ الْخِلَافَةَ بِأَبِي لَيْلَى، وَكَانَتْ هَذِهِ الْكُنْيَةُ لِلْمُسْتَضْعَفِ مِنَ الْعَرَبِ»^(٢). وذكر ابن كثير الدمشقي حول مدة حكمه قائلاً: «بُويعَ لَهُ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ - وَكَانَ وَلِيَ عَهْدَهُ مِنْ بَعْدِهِ - فِي رَابِعِ عَشْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَتِينَ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا نَاسِكًا، وَلَمْ تَطُلْ مَدَّتُهُ، قِيلَ: إِنَّهُ مَكَثَ فِي الْمَلِكِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَقِيلَ: عَشْرِينَ يَوْمًا، وَقِيلَ: شَهْرَيْنِ، وَقِيلَ: شَهْرًا وَنِصْفَ شَهْرٍ، وَقِيلَ: ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرُونَ يَوْمًا، وَقِيلَ: أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ»^(٣).

وأما الدميري فقال: «ثُمَّ قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ [أَيَ بَعْدَ يُزِيدَ] ابْنُهُ مُعَاوِيَةُ، وَكَانَ خَيْرًا مِنْ أَبِيهِ، فِيهِ دِينٌ وَعَقْلٌ، بُويعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ يَوْمَ مَوْتِ أَبِيهِ، فَأَقَامَ فِيهَا أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَقِيلَ: أَقَامَ فِيهَا خَمْسَةَ أَشْهُرٍ وَأَيَّامًا، وَخَلَعَ نَفْسَهُ»^(٤).

١ - تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ١٧٧.

٢ - مروج الذهب ومعادن الجوهر: المسعودي، ج ٣، ص ٦٦.

٣ - البداية والنهاية: ابن كثير، المكتبة العصرية، بيروت، ج ٦، ص ٢٧٠.

٤ - حياة الحيوان الكبرى: ج ١ ص ٥٧.

وتشير المصادر التاريخية إلى أن معاوية بن يزيد كان رجلاً فيه خير وصلاح، فقد ألقى خطاباً مهماً عندما أراد ترك الحكم، وذكر فيه عدم أحقية جده معاوية بالخلافة، وأن الإمام علي عليه السلام هو الأحق بها، وأن أباه يزيد ليس مؤهلاً للحكم، وأنه ارتكب فظائع شديدة، وكان من أعظمها قتل الإمام الحسين عليه السلام والصفوة من أهله وأصحابه، وأنه لا يريد ارتكاب أي شيء من الموبقات، فخلع نفسه من الحكم.

كتب المؤرخ اليعقوبي ما نصه: «وكان له (أي معاوية بن يزيد) مذهبٌ جميلٌ، فخطب الناس، فقال:

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّا بُلِينَا بِكُمْ، وَبُلِيتُمْ بِنَا، فَمَا نَجْهَلُ كَرَاهَتِكُمْ لَنَا، وَطَعْنَكُمْ عَلَيْنَا، أَلَا وَإِنَّ جَدِّي مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ نَازَعَ الْأَمْرَ مَنْ كَانَ أَوْلَى بِهِ مِنْهُ فِي الْقِرَابَةِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَحَقَّ فِي الْإِسْلَامِ، سَابِقَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ، وَابْنَ عَمِّ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَبَا بَقِيَّةٍ خَاتَمِ الْمُرْسَلِينَ، فَركبَ مِنْكُمْ مَا تَعْلَمُونَ، وَركبْتُمْ مِنْهُ مَا لَا تُنْكِرُونَ، حَتَّى أَتَتْهُ مَنِيَّتُهُ وَصَارَ رَهْنًا بِعَمَلِهِ.

ثُمَّ قَلَدَ أَبِي وَكَانَ غَيْرَ خَلِيقٍ لِلْخَيْرِ، فَركبَ هَوَاهُ، وَاسْتَحْسَنَ خَطَاؤَهُ، وَعَظَّمَ رَجَاؤَهُ، فَأَخْلَفَهُ الْأَمَلُ، وَقَصُرَ عَنْهُ الْأَجَلُ، فَقُلْتُ مَنَعْتُهُ، وَانْقَطَعَتْ مُدَّتُّهُ، وَصَارَ فِي حُفْرَتِهِ، رَهْنًا بِذَنْبِهِ، وَأَسِيرًا بِجُرْمِهِ.

ثُمَّ بَكَى، وَقَالَ: إِنَّ أَعْظَمَ الْأُمُورِ عَلَيْنَا عِلْمُنَا بِسُوءِ مَصْرَعِهِ، وَقُبْحِ مُنْقَلَبِهِ، وَقَدْ قَتَلَ عِتْرَةَ الرَّسُولِ، وَأَبَاحَ الْحُرْمَةَ، وَحَرَقَ الْكَعْبَةَ، وَمَا أَنَا الْمُتَقَلِّدُ أُمُورَكُمْ، وَلَا الْمُتَحَمِّلُ تَبِعَاتِكُمْ، فَشَأْنُكُمْ أُمُورُكُمْ، فَوَاللَّهِ، لَئِنْ كَانَتِ الدُّنْيَا مَغْنَمًا لَقَدْ نَلْنَا مِنْهَا حَظًّا، وَإِنْ تَكُنْ شَرًّا فَحَسْبُ آلِ أَبِي سُفْيَانَ مَا أَصَابُوا مِنْهَا»^(١).

وذكر الدميري في كتابه حياة الحيوان الكبرى: «وذكر غير واحد أن معاوية بن يزيد لما خلع نفسه صعد المنبر، فجلس طويلاً، ثم حمد الله وأثنى عليه بأبلغ ما يكون من الحمد والثناء، ثم ذكر النبي ﷺ بأحسن ما يذكر به، ثم قال:

يا أيها الناس! ما أنا بالراغب في الائتمار عليكم لعظيم ما أكرهه منكم، وإني لأعلم أنكم تكرهوننا أيضاً؛ لأننا بلينا بكم وبليتم بنا، ألا إن جدي معاوية قد نازع في هذا الأمر من كان أولى به منه ومن غيره، لقرابته من رسول الله ﷺ، وعظم فضله وسابقته، أعظم المهاجرين قدراً، وأشجعهم قلباً، وأكثرهم علماً، وأولهم إيماناً، وأشرفهم منزلةً، وأقدمهم صحبةً، ابن عم رسول الله ﷺ، وصهره وأخوه، وزوجه ابنته فاطمة، وجعله لها بعلاً باختياره لها، وجعلها له زوجة باختيارها له، أبو سبطيه سيدي شباب أهل الجنة، وأفضل هذه الأمة، تربية الرسول، وابني فاطمة البتول، من الشجرة الطيبة الطاهرة الزكية، فركب جدي معه ما تعلمون، وركبتم معه ما لا تجهلون، حتى انتظمت لجدي الأمور، فلما جاءه القدر المحتوم واخترمته^(١) أيدي المنون، بقي مريضاً بعمله، فريداً في قبره، ووجد ما قدّمت يده، ورأى ما ارتكبه واعتداه.

ثم انتقلت الخلافة إلى يزيد أبي، فتقلد أمركم هوى كان أبوه فيه، ولقد كان أبي يزيد - بسوء فعله وإسرافه على نفسه - غير خليق بالخلافة على أمة محمد ﷺ، فركب هواه، واستحسن خطاه، وأقدم على ما أقدم من جرأته على الله، وبغيه على من استحل حرمته من أولاد رسول الله ﷺ، فقلت مدته، وانقطع أثره، وضاجع عمله، وصار حليف حفرته، رهين خطيئته،

١ - اخترمهم الدهر: أي اقتطعهم واستأصلهم (النهاية: ج ٢ ص ٢٧ «خرم»).

وَبَقِيَتْ أَوْزَارُهُ وَتَبِعَاتُهُ، وَحَصَلَ عَلَى مَا قَدَّمَ، وَنَدِمَ حَيْثُ لَا يَنْفَعُهُ النَّدَمُ، وَشَغَلَنَا الْحُزْنُ لَهُ عَنِ الْحُزْنِ عَلَيْهِ، فَلَيْتَ شِعْرِي مَاذَا قَالَ، وَمَاذَا قِيلَ لَهُ؟ هَلْ عَوْقَبَ بِإِسَاءَتِهِ وَجُوزِي بِعَمَلِهِ؟ وَذَلِكَ ظَنِّي، ثُمَّ اخْتَنَقَتُهُ الْعِبْرَةُ، فَبَكَى طَوِيلًا وَعَلَا نَحِيْبُهُ.

ثُمَّ قَالَ: وَصِرْتُ أَنَا ثَالِثَ الْقَوْمِ، وَالسَّاحِطُ عَلَيَّ أَكْثَرُ مِنَ الرَّاضِي، وَمَا كُنْتُ لِأَتَحَمَّلَ آثَامَكُمْ، وَلَا يَرَانِي اللَّهُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ مُتَقَلِّدًا أَوْزَارَكُمْ، وَأَلْقَاهُ بِتَبِعَاتِكُمْ، فَشَأْنُكُمْ أَمْرُكُمْ فَخُذُوهُ، وَمَنْ رَضِيْتُمْ بِهِ عَلَيْكُمْ فَوَلُّوهُ، فَلَقَدْ خَلَعْتُ بَيْعَتِي مِنْ أَعْنَاقِكُمْ....

وَاللَّهُ، لَئِنْ كَانَتِ الْخِلَافَةُ مَغْنَمًا لَقَدْ نَالَ أَبِي مِنْهَا مَغْرَمًا وَمَأْثَمًا، وَلَئِنْ كَانَتْ سُوءًا فَحَسْبُهُ مِنْهَا مَا أَصَابَهُ.

ثُمَّ نَزَلَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَقَارِبُهُ وَأُمُّهُ، فَوَجَدُوهُ يَبْكِي، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: لَيْتَكَ كُنْتَ حَيْضَةً وَلَمْ أَسْمَعْ بِخَبْرِكَ، فَقَالَ: وَدِدْتُ - وَاللَّهِ - ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: وَيْلِي إِنْ لَمْ يَرْحَمْنِي رَبِّي.

ثُمَّ إِنَّ بَنِي أُمِّيَّةَ قَالُوا لِمُؤَدِّبِهِ عُمَرَ الْمَقْصُوصِ: أَنْتَ عَلَّمْتَهُ هَذَا وَلَقَّيْتَهُ إِيَّاهُ، وَصَدَدْتَهُ عَنِ الْخِلَافَةِ، وَزَيَّنْتَ لَهُ حُبَّ عَلِيٍّ وَأَوْلَادِهِ، وَحَمَلْتَهُ عَلَى مَا وَسَمْنَا^(١) بِهِ مِنَ الظُّلْمِ، وَحَسَنْتَ لَهُ الْبِدْعَ، حَتَّى نَطَقَ بِمَا نَطَقَ، وَقَالَ مَا قَالَ.

فَقَالَ: وَاللَّهِ، مَا فَعَلْتُهُ، وَلَكِنَّهُ مَجْبُولٌ وَمَطْبُوعٌ عَلَى حُبِّ عَلِيٍّ عليه السلام، فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ ذَلِكَ، وَأَخَذُوهُ وَدَفَنُوهُ حَيًّا حَتَّى مَاتَ^(٢).

وَفِي الصَّوَاعِقِ الْمَحْرَقَةِ: «لَمَّا وَلِيَ [مُعَاوِيَةُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ] صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ الْخِلَافَةَ حَبْلُ اللَّهِ، وَإِنَّ جَدِّي مُعَاوِيَةَ نَازِعَ الْأَمْرِ أَهْلَهُ، وَمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنْهُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَرَكِبَ بِكُمْ مَا تَعْلَمُونَ،

١ - يقال: وَسَمَهُ يَسْمُهُ: إِذَا أَثَّرَ فِيهِ بِكَيٍّْ (النهاية: ج ٥ ص ١٨٦ «وسم»).

٢ - حياة الحيوان الكبرى: ج ١ ص ٥٧.

حَتَّى أَتَتْهُ مَيِّتُهُ، فَصَارَ فِي قَبْرِهِ، رَهِينًا بِذُنُوبِهِ، ثُمَّ قَلَدَ أَبِي الْأَمْرِ، وَكَانَ غَيْرَ أَهْلٍ لَهُ، وَنَارَعَ ابْنَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُصِفَ^(١) عُمُرُهُ، وَانْبَتَرَ عَقِبُهُ، وَصَارَ فِي قَبْرِهِ، رَهِينًا بِذُنُوبِهِ.

ثُمَّ بَكَى وَقَالَ: إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأُمُورِ عَلَيْنَا عِلْمَنَا بِسُوءِ مَصْرَعِهِ، وَبَيْسَ مُنْقَلَبُهُ، وَقَدْ قَتَلَ عِتْرَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَبَاحَ الْحَمَرَ، وَخَرَّبَ الْكَعْبَةَ، وَلَمْ أَذُقْ حَلَاوَةَ الْخِلَافَةِ، فَلَا أَتَقَلَّدُ مَرَارَتَهَا، فَشَأْنُكُمْ أَمْرُكُمْ، وَاللَّهِ، لَئِنْ كَانَتْ الدُّنْيَا خَيْرًا فَقَدْ نَلْنَا مِنْهَا حَظًّا، وَلَئِنْ كَانَتْ شَرًّا فَكَفَى ذُرِّيَّةَ أَبِي سُفْيَانَ مَا أَصَابُوا مِنْهَا»^(٢).

وَفِي تَنْبِيهِ الْخَوَاطِرِ: «لَمَّا نَزَعَ مُعَاوِيَةُ بْنُ يُزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ نَفْسَهُ مِنَ الْخِلَافَةِ، قَامَ خَطِيبًا فَقَالَ:

أَيُّهَا النَّاسُ! مَا أَنَا بِالرَّائِبِ فِي التَّأْمُرِ عَلَيْكُمْ، وَلَا بِالْأَمِينِ لِكِرَاهَتِكُمْ، بَلْ بُلِينَا بِكُمْ، وَبُلَيْتُمْ بِنَا، أَلَا إِنَّ جَدِّي مُعَاوِيَةَ نَارَعَ الْأَمْرَ مَنْ كَانَ أَوْلَى بِالْأَمْرِ مِنْهُ فِي قَدِيمِهِ^(٣) وَسَابِقَتِهِ، عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالتَّحِيَّةُ وَالْإِكْرَامُ، فَكَرِبَ جَدِّي مِنْهُ مَا تَعْلَمُونَ، وَرَكِبْتُمْ مَعَهُ مَا لَا تَجْهَلُونَ، حَتَّى صَارَ رَهِينَ عَمَلِهِ، وَضَجِيعَ حُفْرَتِهِ، تَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثُمَّ صَارَ الْأَمْرُ إِلَى أَبِي، وَلَقَدْ كَانَ خَلِيقًا أَنْ لَا يَرْكَبَ سَيِّئَةً، إِذْ كَانَ غَيْرَ خَلِيقٍ بِالْخِلَافَةِ، فَكَرِبَ رَدْعُهُ^(٤)، وَاسْتَحْسَنَ خَطَأَهُ، فَقَلَّتْ مُدَّتُهُ، وَانْقَطَعَتْ آثَارُهُ، وَخَدَّتْ نَارُهُ، وَلَقَدْ أَنَسْنَا الْحُزْنَ بِهِ الْحُزْنَ عَلَيْهِ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، ثُمَّ أَخَفَّتْ يَتَرَحُّمُ عَلَى أَبِيهِ.

١- الْقَصْفُ: الْكَسْرُ (الصَّحاح: ج ٤ ص ١٤١٦ «قصف»).

٢- الصَّوَاعِقُ الْمَحْرَقَةُ: ص ٢٢٤.

٣- هَكَذَا فِي الْمَصْدَرِ، وَفِي بَحَارِ الْأَنْوَارِ: «فِي قَدِيمِهِ».

٤- رَكِبَ رَدْعُهُ: أَي لَمْ يَرُدَّعْهُ شَيْءٌ فَيَمْنَعُهُ عَنْ وَجْهِهِ (لِسَانُ الْعَرَبِ: ج ٨ ص ١٢٢ «ردع»).

ثُمَّ قَالَ: وَصِرْتُ أَنَا الثَّالِثَ مِنَ الْقَوْمِ، الزَّاهِدُ فِيمَا لَدَيَّ أَكْثَرُ مِنَ الرَّاغِبِ، وَمَا كُنْتُ لِأَتَحْمَلَ آثَامَكُمْ، شَأْنَكُمْ وَأَمْرَكُمْ خُذُوهُ، وَمَنْ شِئْتُمْ وَلَايَتَهُ فَوَلُّوهُ»^(١).

وشكّل هذا الخطاب السياسي انقلاباً على الحكم الأموي، وأدّى إلى اضطراب الأمويين وتزلزل حكمهم المستبد، فهذا هو الحاكم الأموي الثالث يطعن في سيرة جده معاوية وفي سيرة أبيه يزيد بأقبح العبارات وأشدّها، ويعلن أحقية أهل البيت بالخلافة.

وأدّى هذا إلى انشقاق الأمويين، واستغل عبدالله بن الزبير ما حدث لتوسيع سلطته وسيطرته على الأقاليم الإسلامية، فنجح في انتزاع الحجاز وما حولها من الحكم الأموي إلى حكمه، وبايعته الأغلبية الساحقة من أهل الحجاز خليفةً للمسلمين، ففي حين بايع أهل الشام معاوية بن يزيد في سنة ٦٤ هـ، بايع أهل الحجاز عبدالله بن الزبير خليفةً للمسلمين^(٢).

وبعد تنازل معاوية بن يزيد انتقل الحكم من البيت السفيفاني إلى البيت المرواني في الأسرة الأموية ليكون مروان بن الحكم أول حكام بني مروان، إذ سارع الأمويون لترتيب بيتهم الداخلي من أجل استعادة الحكم، وعدم خروجه عن الأسرة الأموية التي بدأت تواجه معارضة شديدة من عدة جهات كابن الزبير، وحدوث انتفاضات وثورات ضد الحكم الأموي الذي ارتكب أفضع جريمة في التاريخ بقتله لسيد شباب أهل الجنة.

١ - تنبيه الخواطر: ج ٢ ص ٢٩٩، بحار الأنوار: ج ٤٦ ص ١١٨؛ جواهر المطالب: ج ٢ ص ٢٦١ نحوه.

٢ - راجع كتاب: الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ج ٣، ص ٤٦٧ (أحداث سنة ٦٤ هـ).

اغتيال معاوية بن يزيد

بعد انقلاب معاوية بن يزيد على المؤسسة الأموية الحاكمة وأفكارها، وإقراره بأحقية أمير المؤمنين (عليه السلام) بالخلافة، وانتقاده اللاذع لسيرة جده وأبيه، انتاب القلق نفوس الأمويين، وخافوا أن ينتقل الحكم إلى غيرهم، فبادروا للتخلص منه جسدياً عبر اغتياله، فقد أشارت بعض المصادر التاريخية إلى ذلك، فمنهم من قال: مات بالسم، ومنهم من قال: مات طعناً، فقد روى الطبري في تاريخه: «ثم دخل منزله - بعد الانتهاء من الخطبة - ولم يخرج إلى الناس وتغيب حتى مات، فقال بعض الناس: دس إليه فسقى سماً، وقال بعضهم: طعن»^(١).

وكتب المؤرخ المعروف المسعودي ما نصه: «قد تنوزع في سبب وفاته، فمنهم من رأى أنه سقي شربة، ومنهم من رأى أنه مات حَتَفَ أنفه، ومنهم من رأى أنه طعن، وقبض وهو ابن اثنتين وعشرين سنة، ودفن بدمشق، وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وليكون الأمر له من بعده، فلما كبر الثانية طعن فسقط ميتاً قبل تمام الصلاة!»^(٢).

والأرجح بملاحظة القرائن المتعددة كاستياء بني أمية منه، وغضب أمه عليه، وانشقاق الأمويين بعد خطابه التاريخي، وموته وهو في ريعان شبابه من دون أن يذكر أنه كان مريضاً، وعدم خروجه من المنزل منذ دخوله بعد إلقاء خطابه، وطعن من صلى عليه حتى سقط ميتاً؛ كلها قرائن تدل على أن معاوية بن يزيد لم يمت حتف أنفه، بل مات عن طريق الاغتيال، إما عن طريق دس السم إليه، أو عن طريق الطعن للتخلص منه نهائياً بعد الصدمة

١ - تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٤٠٩.

٢ - مروج الذهب: المسعودي، ج ٣، ص ٦٦.

التي أحدثها جراء خطابه السياسي المتضمن عدة دلالات دينية وسياسية، والمغايرة في مجملها للحزب الأموي الحاكم، والإعلان الصريح في خطابه أن أهل البيت هم الأحق بالخلافة والحكم؛ هذه الأمور كافية - من منظور بني أمية - لاغتياله والتخلص منه جسدياً ومعنوياً.

عبدالله بن الزبير بن العوام

(٦٤ - ٧٣ هـ / ٦٨٣ - ٦٩٢ م)

بويع عبدالله بن الزبير بن العوام بالخلافة في سنة (٦٤ هـ - ٦٨٣ م)، وقد دعا الناس لبيعته بالخلافة بعد هلاك يزيد بن معاوية، فبايعه أهل الحجاز وما حولها، وامتد حكمه لمصر والعراق واليمن وخراسان، فأصبح للمسلمين خليفتان: أحدهما في الشام حيث بايعوا مروان بن الحكم، والآخر في الحجاز حيث بايعوا ابن الزبير بالخلافة، لتبدأ مرحلة سياسية اتسمت بالفتن والحروب الداخلية والاضطراب السياسي في أغلب بلاد المسلمين، ودارت معارك شديدة بين الأمويين وابن الزبير، ولم تتوقف إلا بمقتل ابن الزبير سنة (٧٣ هـ - ٦٩٢ م) في عهد عبد الملك بن مروان وبسط سيطرته على كافة الأقاليم الإسلامية.

كتب ابن الأثير (وغيره) في ترجمته ما نصه: «عبدالله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة القرشي الأسدي، أبوبكر، وله كنية أخرى أبو خبيب (بالحاء المعجمة المضمومة) وهو اسم أكبر أولاده، وقيل: كان يكنيه بذلك من يعيبه، وأمه أسماء بنت أبي بكر، وجدته لأبيه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ، وخديجة بنت خويلد عمة أبيه الزبير بن العوام بن خويلد»^(١).

ولخص الزركلي ترجمته بما نصه: «عبدالله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبوبكر: فارس قریش في زمنه، وأول مولود في المدينة بعد الهجرة. شهد فتح إفريقية زمن عثمان، وبويع له بالخلافة سنة ٦٤ هـ، عقيب موت يزيد بن معاوية، فحكم مصر والحجاز واليمن وخراسان والعراق وأكثر

١ - أسد الغابة: ابن الأثير، ج ٣، ص ١٦١. تاريخ الخلفاء: السيوطي، ص ٢٤٠.

الشام، وجعل قاعدة ملكه المدينة. وكانت له مع الأمويين وقائع هائلة، حتى سيروا إليه الحجاج الثقفي، في أيام عبد الملك بن مروان، فانتقل إلى مكة، وعسكر الحجاج في الطائف. ونشبت بينهما حروب أتى المؤرخون على تفصيلها انتهت بمقتل ابن الزبير في مكة، بعد أن خذله عامة أصحابه وقاتل قتال الأبطال، وهو في عشر الثمانين، وكان من خطباء قريش المعدودين. مدة خلافته تسع سنين»^(١).

وقد استفاد ابن الزبير من قتل الأمويين للإمام الحسين عليه السلام، وغضب الناس ضد الأمويين، وتعاطفهم مع أهل البيت، وقد استثمر ابن الزبير ذلك سياسيًا لصالحه، بالرغم من موقفه المعادي لأهل البيت عليهم السلام، فمال أغلب الناس إليه وبايعوه، وانتفض أهل المدينة على بني أمية وطردهم منها.

كتب اليعقوبي عن سيطرة ابن الزبير على معظم البلاد الإسلامي ما نصه: «وكان عبدالله بن الزبير بن العوام، وأمه أسماء بنت أبي بكر، قد تغلب على مكة، وتسمى بأمر المؤمنين، ومال إليه أكثر النواحي، وكان ابتداء أمره في أيام يزيد بن معاوية...، فلما توفي يزيد بن معاوية مال الناس من البلدان جميعًا إلى ابن الزبير، وكان بمصر عبدالرحمن بن جحدم الفهري عاملًا لابن الزبير، وأهل مصر في طاعته، وبفلسطين ناتل بن قيس الجذامي، وبدمشق الضحاك بن قيس الفهري، وبحمص النعمان بن بشير الأنصاري، وبقنسرين والعواصم زفر بن الحارث الكلابي، وبالكوفة عبدالله بن مطيع، وبالبصرة الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة، وبخراسان عبدالله بن خازم السلمي، ولم تبق ناحية إلا مالَت إلى ابن الزبير خلا الأردن، ورئيسها يومئذ حسان بن بحدل الكلبي. وأخرج ابن الزبير بني أمية من المدينة»^(٢).

١ - الأعلام: خير الدين الزركلي، ج ٤، ص ٨٧.

٢ - تاريخ اليعقوبي: اليعقوبي، ج ٢، ص ١٧٨.

وهذا يعني أن ابن الزبير استطاع في بداية أمره أن يحكم معظم بلاد المسلمين، وأما الأمويون فلم يتبق لهم سوى بعض المناطق في بلاد الشام؛ ولذا اعتبر بعض الأعلام في مدرسة الخلفاء أن حكم ابن الزبير كان شرعياً رغم مساوئه ومثالبه، وأن بيعة مروان وابنه عبد الملك حتى موت ابن الزبير لم تكن شرعية.

ومن ذهب إلى ذلك الذهبي، إذ قال ما نصه: «عبد العزيز بن مروان أبو الأصبح الأموي، أمير مصر وولي عهد المؤمنين بعد أخيه عبد الملك بعهد من مروان، إن صححنا خلافة مروان، فإنه خارج على ابن الزبير باغٍ، فلا يصح عهده إلى ولديه، إنما تصح إمامة عبد الملك من يوم قتل ابن الزبير!»^(١).

وذهب السيوطي إلى ما ذهب إليه الذهبي قائلاً: «ولم يبق خارجاً عنه (أي ابن الزبير) إلا الشام ومصر فإنه بويع بهما معاوية بن يزيد فلم تطل مدته، فلما مات أطاع أهلها ابن الزبير وبايعوه، ثم خرج مروان بن الحكم فغلب على الشام ثم مصر واستمر إلى أن مات سنة خمس وستين، وقد عهد إلى ابنه عبد الملك. والأصح ما قاله الذهبي أن مروان لا يعد في أمراء المؤمنين، بل هو باغٍ خارجاً على ابن الزبير ولا عهده إلى ابنه بصحيح، وإنما صححت خلافة عبد الملك من حين قتل ابن الزبير، وأما ابن الزبير فإنه استمر بمكة خليفة إلى أن تغلب عبد الملك، فجهز لقتاله الحجاج في أربعين ألفاً فحصره بمكة أشهراً ورمى عليه بالمنجنيق، وخذل ابن الزبير أصحابه، وتسلبوا إلى الحجاج فظفر به وقتله وصلبه، وذلك يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من جمادى الأولى، وقيل: الآخرة سنة ثلاث وسبعين»^(٢).

١- تاريخ الإسلام: الذهبي، ج ٦، ص ١٣٢.

٢- تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطي، ص ٢٤١.

وانتهت بمقتل ابن الزبير دولته، واستطاع الأمويون استعادة السيطرة على باقي مناطق الشام ومصر ثم العراق والحجاز، ولم تقم لسلالة ابن الزبير بعد ذلك دولة كغيرهم من البيوت الحاكمة كالأمويين والعباسيين الذين حكموا لفترة طويلة.

شدة العداوة لبني هاشم

اتسم ابن الزبير بشدة العداوة لبني هاشم، مع أنه كان العدو اللدود للأمويين إلا أن عداؤه لبني هاشم كان أشد، حتى إنه ترك الصلاة على النبي في خطبه وصلاته كرهاً لهم، فقد كتب اليعقوبي: «وتحامل عبدالله بن الزبير على بني هاشم تحاملاً شديداً، وأظهر لهم العداوة والبغضاء، حتى بلغ ذلك منه أن ترك الصلاة على محمد في خطبته، ف قيل له: لم تركت الصلاة على النبي؟ فقال: إن له أهل سوء يشربون لذكره، ويرفعون رؤوسهم إذا سمعوا به»^(١).

وكان ابن الزبير يعيب على بني هاشم، فرد عليه ابن عباس بقوله: «واعجباً كلّ العجب لابن الزبير! يعيب بني هاشم وإنما شرف هو وأبوه وجده بمصاهرتهم، أما والله إنه لمسلوب قريش! ومتى كان العوام بن خويلد يطمع في صفية بنت عبد المطلب؟! قيل للبغل: من أبوك يا بغل؟ فقال: خالي الفرس. ثم نزل»^(٢).

وأخذ ابن الزبير مجموعة من أعيان ووجوه بني هاشم ممن كانوا في مكة المكرمة، وهددهم بالحرق إن لم يبايعوه بالخلافة، روى اليعقوبي في تاريخه: «وأخذ ابن الزبير محمد بن الحنفية، وعبدالله بن عباس، وأربعة وعشرين رجلاً من بني هاشم ليبايعوا له، فامتنعوا، فحبسهم في حجرة زمزم، وحلف

١- تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٨٢.

٢- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد ج ٢٠، ص ١٢٩.

بالله الذي لا إله إلا هو ليبايعن أو ليحرقنهم بالنار، فكتب محمد بن الحنفية إلى المختار بن أبي عبيد: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن علي ومن قبله من آل رسول الله إلى المختار بن أبي عبيد ومن قبله من المسلمين، أما بعد، فإن عبدالله بن الزبير أخذنا، فحبسنا في حجرة زمزم، وحلف بالله الذي لا إله إلا هو لنبايعنه، أو ليضر منها علينا بالنار، فيا غوثا! فوجه إليهم المختار بن أبي عبيد بأبي عبدالله الجدلي في أربعة آلاف راكب، فقدم مكة، فكسر الحجرة^(١). وأخرجهم منها ونجوا من القتل والحرق.

وقد أقر ابن الزبير ببغض بني هاشم منذ أربعين سنة لكنه كان يكتُم ذلك، فقال لابن عباس: «لقد كتمت بغضك وبغض أهل بيتك مذ أربعين سنة!». فقال ابن عباس: «ذلك والله أبلغ إلى حاعرَيْتِكَ^(٢) بغضي والله ضرك وأثمك إذ دعاك إلى ترك الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في خطبك، فإذا عوتبت على ذلك، قلت: إن له أهيل سوء! فإذا صليت عليه تناولت أعناقهم وسمت رؤوسهم!».

فقال ابن الزبير: «أخرج عني فلا تقربني». قال: «أنا أزهديك من أن أقربك. ولأخرجن عنك خروج من يذمك ويقلبك، فلحق بالطائف فلم يلبث إلا يسيراً حتى توفي»^(٣).

وذكر اليعقوبي: «ولما لم يكن بابن الزبير قوة على بني هاشم، وعجز عما دبره فيهم، أخرجهم عن مكة، وأخرج محمد بن الحنفية إلى ناحية رضوى، وأخرج عبدالله بن عباس إلى الطائف إخراجاً قبيحاً، وكتب محمد بن الحنفية إلى عبدالله بن عباس: أما بعد، فقد بلغني أن عبدالله بن الزبير

١ - تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٨٢.

٢ - معنى جاعرَيْتِكَ: أنه لا يشبه خؤولته بني هاشم فهو كجعور التمر.

٣ - أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى بن جابر (البلاذري)، ج ٣، ص ٢٩١.

سَيَّرَكَ إِلَى الطَّائِفِ، فَرَفَعَ اللَّهُ بِكَ أَجْرًا، وَاحْتِطَ عَنْكَ وَزَرًا، يَا بَنَ عَمٍّ، إِنَّمَا يَبْتَلِي الصَّالِحُونَ، وَتَعْدُ الْكِرَامَةُ لِلْأَخْيَارِ، وَلَوْ لَمْ تُؤْجَرْ إِلَّا فِيمَا نَحِبُ وَتَحِبُّ قَلَّ الْأَجْرُ، فَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَ الصَّابِرِينَ خَيْرًا، وَالسَّلَامَ»^(١).

وأضاف اليعقوبي: «وروى بعضهم: أن محمد بن الحنفية صار أيضًا إلى الطائف، فلم يزل بها، وتوفي ابن عباس بها في سنة ٦٨، وهو ابن إحدى وسبعين سنة، وصلى عليه محمد ابن الحنفية، ودفن عبدالله بن عباس بالطائف في مسجد جامعها، وضرب عليه فسطاط»^(٢).

الانتقاص من أمير المؤمنين عليه السلام

كان ابن الزبير ينتقص من أمير المؤمنين عليه السلام، وينال منه من على المنابر كما كان يفعل الأمويون. قد خطب يومًا في المسجد الحرام، وتعرض فيه لأمر المؤمنين عليه السلام ونال منه، فبلغ ذلك محمد بن الحنفية، فجاء إليه، وقطع عليه خطبته، وقال: - بعد أن حمد الله وأثنى عليه، وصلى على محمد -: «شاهت الوجوه، يا معشر قريش، أيقال هذا بين أظهركم وأنتم تسمعون، ويذكر علي فلا تغضبون؟! ألا إن عليًا كان سهماً صائباً من مرامي الله أعداءه، يضرب وجوههم، ويهوعهم مآكلهم، ويأخذ بحناجرهم. ألا وإننا على سنن ونهج من حاله، وليس علينا في مقادير الأمور حيلة، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾»^(٣)^(٤).

١ - تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٨٣.

٢ - تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٨٣.

٣ - الشعراء: ٢٢٧.

٤ - تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٨٣. مروج الذهب: المسعودي، ج ٣، ص ٧٢، مع بعض الاختلاف في النص.

الإمام زين العابدين عليه السلام وابن الزبير

كان الإمام زين العابدين عليه السلام يتخوف من بطش ابن الزبير وطغيانه؛ لما عرف عنه من قساوة وعداوة شديدة لبني هاشم، فقد كان أكثر عداوة وبغضاً وبطشاً من عتاة بني أمية، وقد عبّر الإمام عن ذلك بنفسه. روى أبو حمزة الثمالي، قال: «أتيت باب علي بن الحسين فكرهت أن أضرب، فقعدت حتى خرج فسلمت عليه ودعوت له فرد عليّ السلام ودعالي، ثم انتهى إلى حائط له فقال: يا أبا حمزة، ترى هذا الحائط؟ قلت: بلى يا بن رسول الله. قال: فلاني اتكأت عليه يوماً وأنا حزين، فإذا رجل حسن الوجه، حسن الثياب، ينظر في تجاه وجهي، ثم قال: يا علي بن الحسين، مالي أراك كئيّاً حزيناً؟!، أعلى الدنيا فهو رزق حاضر يأكل منها البر والفاجر؟ فقلت: ما عليها أحزن لأنه كما تقول، فقال: أعلى الآخرة، هو وعد صادق يحكم فيها ملك قاهر؟ قلت: ما على هذا أحزن لأنه كما تقول، فقال: وما حزنك يا علي بن الحسين؟ قلت: ما أتخوف من فتنة ابن الزبير! فقال لي: يا علي، هل رأيت أحداً سأل الله فلم يعطه؟ قلت: لا، ثم قال: فخاف الله فلم يكفه؟ قلت: لا. ثم غاب عني، فقل لي: يا علي هذا الخضر عليه السلام ناجاك»^(١).

وتخوف الإمام عليه السلام من ابن الزبير إنما يعبر عن أن عهد ابن الزبير الذي حكم فيه كان يتسم بالشدة والقسوة والأخذ بالظنة، واتباع سياسة البطش والقمع والقتل، وهو الذي هدّد أعيان ووجوه بني هاشم في مكة بعد أن سجنهم بالحرق إن لم يبايعوه! وهدم الكعبة المشرفة، وقتل أثناء عهده المشؤوم الآلاف من الناس في الحروب الداخلية مع بني أمية، والثوار الذين انتفضوا ضده كثورة المختار، وقتل المعارضين لحكمه.

وكانت أيام ابن الزبير في فترة حكمه أيام شر وسوء، ولم يقم بأي خير للناس، حتى قال مطرف بن عبد الله: «لَبِثْتُ فِي فِتْنَةِ بَنِ الزَّبِيرِ تِسْعًا أَوْ سَبْعًا مَا أُخْبِرْتُ فِيهَا بِخَيْرٍ، وَلَا اسْتَخْبِرْتُ فِيهَا عَنْ خَيْرٍ»^(١).

ولهذا كله، كان الإمام زين العابدين عليه السلام يتجنب لقاء ابن الزبير، لما عُرف عنه من بغض ونصب لأهل البيت عليهم السلام، ولم يستقر الإمام في مكة عندما اتخذها ابن الزبير عاصمة له، كما فعل ابن عباس وابن الحنفية وابن عمر وغيرهم، بل اتخذ من المدينة مقرًا دائمًا له.

١ - الطبقات الكبرى: ابن سعد، ج ٧، ص ١٤٢. تاريخ مدينة دمشق: ابن عساکر، ج ٥٨، ص ٣١٤.

مروان بن الحكم بن أبي العاص

(٦٤ - ٦٥ هـ / ٦٨٤ / ٦٨٥ م)

تولى مروان بن الحكم بن أبي العاص الحكم بالشام بعد تنحي معاوية بن يزيد بن معاوية في سنة ٦٤ هـ^(١)، وهو أول من تولى مقاليد الحكم من بني الحكم بن أبي العاص، وإليه ينسب (بنومروان) ودولتهم (المروانية). والظريف في الأمر أن مبايعة أهل الشام لمروان تمت بناء على ما ادّعاه الحصين أنه رأى رؤية في المنام أن مروان هو الأحق بالخلافة، فقال: «إني رأيت في المنام قنديلاً معلقاً من السماء وأن من يلي الخلافة يتناوله فلم ينله أحد إلا مروان!»^(٢) فاستجاب أهل الشام له، واختاروا مروان خليفة عليهم.

ثم قام روح بن زنباع الجذامي فقال: «أيُّها الناس... وأمّا مروان بن الحكم فوالله ما كان في الإسلام صدع إلا كان ممّن يشعبه، وهو الذي قاتل علي بن أبي طالب يوم الجمل، وإنّا نرى للناس أن يبايعوا الكبير ويستشيروا الصغير، يعني بالكبير مروان، وبالصغير خالد بن يزيد؛ فاجتمع رأيهم على البيعة لمروان بن الحكم»^(٣).

ولم تكن الأمور مهيأة بالكامل لمبايعة مروان، فقد دبّ الخلاف بين أهل الشام في مبايعة خالد بن يزيد بن معاوية أو مروان بن الحكم أو عمرو بن سعيد بن العاص، لينتهي الأمر بمبايعة مروان على أن يكون بعده خالد بن يزيد ثم عمرو بن سعيد، ولكن ما إن استتب الحكم لمروان حتى عهد بالحكم لابنه عبد الملك ليكون الخليفة من بعده.

١ - راجع الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ج ٣، ص ٤٧٧.

٢ - الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ج ٣، ص ٤٧٩.

٣ - الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ج ٣، ص ٤٧٩.

وكتب المؤرخ المعروف اليعقوبي ما نصه: «وقدم مروان، وقد مات معاوية بن يزيد، وأمر الشام مضطرب، فدعا إلى نفسه، واجتمع الناس بالجابية من أرض دمشق... وتناظروا في خالد بن يزيد بن معاوية، وفي عمرو بن سعيد بن العاص بعده، وكان روح بن زنباع الجذامي يميل مع مروان، فقام خطيباً، فقال: يا أهل الشام! هذا مروان بن الحكم شيخ قريش، والطالب بدم عثمان، والمقاتل لعلي بن أبي طالب يوم الجمل، ويوم صفين، فبايعوا الكبير، واستنابوا للصغير، ثم لعمر بن سعيد. فبايعوا مروان بن الحكم، ثم لخالد بن يزيد، ثم لعمر بن سعيد»^(١).

وتسابق أهل الشام وأصحاب الأهواء والمصالح على مبايعة مروان، لتبدأ حقبة جديدة بقيادة المروانيين الذين أذاقوا المسلمين في فترة حكمهم شتى أنواع الظلم والجور والقهر والاستبداد، وبدأ مروان عهده بالحروب الداخلية مع ابن الزبير من جهة ومع السفينيين من جهة أخرى.

سببه لأمر المؤمنين (عليه السلام)

عرف مروان بن الحكم بعدائه الشديد لأمر المؤمنين (عليه السلام) ولأبنائه الأَطهار، فهو الذي كان يشتم أمير المؤمنين (عليه السلام) عندما كان والياً على المدينة المنورة، وحاربه في وقعة إجلال وفي وقعة صفين، وهو الذي حرض على منع دفن الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) بجوار جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو الذي كان يشجع والي المدينة على قتل الإمام الحسين (عليه السلام) إن رفض البيعة ليزيد، وهو الذي كان يتبع شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) لقتلهم ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم. وبالرغم من الموقف الإنساني النبيل لأمر المؤمنين (عليه السلام) مع أعدائه في واقعة الجمل عندما أمر أصحابه بعدم قتل المدبرين أو الإجهاز على

الجرحي، إلا أن مروان تنكر لكل ذلك مع اعترافه أمام الإمام زين العابدين (عليه السلام) بالموقف النبيل لأمير المؤمنين (عليه السلام)، لكنه مع ذلك كان من أشد المبغضين له، فقد روي عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) أنه قال: دَخَلْتُ عَلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْرَمَ غَلْبَةً مِنْ أَيْبِكَ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ وَلَيْنَا يَوْمَ الْجَمَلِ، فَنَادَى مُنَادِيهِ: «لَا يُقْتَلُ مُدَبِّرٌ، وَلَا يُذَفَّفُ»^(١) عَلَى جَرِيحٍ»^(٢).

والتقى به الإمام زين العابدين (عليه السلام) أيضًا عندما كان واليًا على يثرب، فبادر مروان الإمام قائلاً له: «ما كان أحد أكفّ (أدفع) عن صاحبنا (أي عثمان) من صاحبكم (يعني عليًا)».

قال له الإمام زين العابدين (عليه السلام): «فلم تشتمونه على المنابر؟!».

قال مروان: «لا يستقيم لنا هذا إلا بهذا!»^(٣).

وهذا يدل على أن سياسة الأمويين بالانتقاص من أمير المؤمنين (عليه السلام)، وشتمه على المنابر، والمطالبة بدم عثمان؛ إنما كان بهدف السيطرة على الحكم، لأنه لا شرعية لهم بالاستيلاء على الخلافة، وإنما كان الأحق بها هم أهل البيت، وبالتالي حاول الأمويون ومن حذا حذوهم تشويه شخصية أمير المؤمنين (عليه السلام)، وطمس فضائله، وتتبع شيعته، حتى يصفو لهم الجوب بالسيطرة على الحكم تحت شعارات كاذبة، وادعاءات واهية.

١ - الذَّفُّ: الإجهاز على الجريح، وكذلك الذفاف. وقد ذَفَّتْ عَلَى الْجَرِيحِ تَذْفِيقًا: إِذَا أَسْرَعَتْ فِي قَتْلِهِ (الصحاح: ج ٤ ص ١٣٦٢ «ذفف»).

٢ - السنن الكبرى: ج ٨ ص ٣١٤ ح ١٦٧٤٦ عن إبراهيم بن محمد عن الإمام الصادق عن أبيه (عليه السلام)، معرفة السنن: ج ٦ ص ٢٨٢ ح ٥٠٠٠ عن الإمام الصادق عن أبيه عنه (عليه السلام)، فتح الباري: ج ١٣ ص ٥٧ ذيل ح ٧١٠٥؛ المبسوط للطوسي: ج ٧ ص ٢٦٤ عن الإمام الصادق عن أبيه (عليه السلام) وفيه «يدنف» بدل «يذفف».

٣ - أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى بن جابر (البلاذري)، ج ٢، ص ١٨٤. تاريخ دمشق: ج ٤٢، ص ٤٣٩. شرح نهج البلاغة: ج ١٣، ص ٢٢٠.

مطاردة الشيعة

في أيام مروان بن الحكم أمر جلاوزته بمطاردة الشيعة وتتبعهم في كل مكان، وهدر دمائهم وسلب أموالهم وهتك أعراضهم، فاخفى المؤمنون خوفًا على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم من بطشه وظلمه.

روى المؤرخ الشهير المسعودي: «فاستخفى في أيامه المؤمنون وصعب الزمان واشتد على أهله، وكانت الشيعة تطلب في أقطار الأرض.. تهدر دماؤهم وأموالهم. وأظهروا لعن أمير المؤمنين عليه السلام على منابرهم»^(١).

هلاك مروان

كانت خلافة مروان قصيرة جدًا، فهي أقل من سنة على رأي معظم المؤرخين، ولكنها كانت مليئة بالنزاعات والحروب بين المسلمين أنفسهم، وخاصة مع ابن الزبير، وقد تنبأ أمير المؤمنين عليه السلام بقصر خلافته وسوء سيرته وأفعاله، فقد روي عنه عليه السلام أنه قال عن حكم مروان: «أما إن له إمرة كلعة الكلب أنفه، وهو أبو الأكبش الأربعة»^(٢)، وستلقى الأمة منه ومن ولده موتًا أحمر»^(٣)، وهذا ما حصل بالفعل.

وذكر المؤرخون أن سبب وفاته أن زوجته أم خالد بن يزيد بن معاوية هي التي أمرت جواربها بقتله لأنه عير ابنها خالد بها، وقال عنها كلامًا بذيئًا وفاحشًا. كتب ابن عبد ربه الأندلسي (وغیره): «قال مروان [خالد]، وكان فحاشًا: يا بن رطبة الإست! قال: فدخل إلى أمه فبكى عندها وشكا

١ - إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب: المسعودي، ص ١٧١.

٢ - المقصود بذلك هم بنو عبد الملك: الوليد، سليمان، يزيد، هشام. وأما ابن أبي الحديد فقال هم أولاد مروان: عبد الملك، بشر، محمد، عبد العزيز.

٣ - إعلام الوری بأعلام الهدی: الشيخ الطبرسي، ج ١، ص ٣٤١.

إليها ما قاله مروان على رؤوس أهل الشام، فقالت له: لا عليك، فإنه لا يعود إليك بمثلها. فلبث مروان بعد ما قال لخالد ما قال أياماً، ثم جاء إلى أم خالد فرقد عندها فأمرت جوارها فطرحن عليه الوسائد ثم غطته حتى قتلتها، ثم خرجن فصحن وشققن ثيابهن: يا أمير المؤمنين! يا أمير المؤمنين!

ثم قام عبد الملك بالأمر بعده، فقال لفاخته أم خالد: والله لولا أن يقول الناس إني قتلت بأبي امرأة لقتلتك بأمر المؤمنين»^(١).

وفي رواية اليعقوبي أنها قتلتها بلبن مسموم انتقاماً منه لتعييره ابنها أمام حاشيته، فقد كتب اليعقوبي ما نصه: «وكان سبب وفاته، أنه تزوج أم خالد بن يزيد بن معاوية، فدخل إليه يوماً فأفحش له في القول، ثم أعاد عليه في يوم آخر مثل ذلك، فدخل خالد إلى أمه مغضباً، فخبرها، فقالت: والله لا يشرب البارد بعدها! فصيرت له سماً في لبن، فلما دخل سقته إياه»^(٢).

وعن مدة حكمه قال اليعقوبي: «وكانت ولاية مروان تسعة أشهر، فتوفي في شهر رمضان سنة ٦٥، وهو ابن إحدى وستين سنة»^(٣).

وكتب المسعودي: «وهلك مروان وهو ابن ثلاث وستين سنة... ومولده لسنتين خلتماً من الهجرة، وهلك بعد أخذ البيعة لولده بثلاثة أشهر»^(٤)، وفي إثبات الوصية قال: «وأقام في ملكه عشرة أشهر وأياماً»^(٥).

١ - العقد الفريد: أحمد بن محمد ابن عبد ربه الأندلسي، ج ٥، ص ١٤٨. الطبقات الكبرى: ابن سعد، ج ٥، ص ٤٢. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ابن الجوزي، ج ٦، ص ٤٩. مروج الذهب: المسعودي: ج ٣، ص ٧٨.

٢ - تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٧٩ - ١٨٠.

٣ - تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٨٠.

٤ - مروج الذهب ومعادن الجوهر: المسعودي، ج ٣، ص ٨٩.

٥ - إثبات الوصية: المسعودي، ص ١٧١.

وانطوت بهلاكه صفحة مظلمة من تاريخ المسلمين، تميزت بالفتن والظلم والحروب والقتل وكثرة المشاكل والاضطرابات والقلق في بلاد المسلمين لتبدأ صفحة أخرى مظلمة مع تولي ابنه عبدالملك لمقاليد الحكم.

عبد الملك بن مروان بن الحكم

(٦٥ - ٨٦ هـ / ٦٨٥ - ٧٠٥ م)

تولى عبد الملك بن مروان بن الحكم مقاليد الحكم بعد قتل أبيه بعد أن أخذ له البيعة قبل وفاته بثلاثة أشهر، واستمر حكمه أكثر من عشرين عامًا، وامتد حكمه للحجاز بعد مقتل ابن الزبير الذي كان حاكمًا عليها.

كتب المسعودي: «وبويع عبد الملك بن مروان ليلة الأحد غرة شهر رمضان من سنة خمس وستين... توفي عبد الملك بن مروان بدمشق يوم السبت لأربع عشرة مضت من شوال سنة ست وثمانين، وكانت ولايته منذ بويع إلى أن توفي إحدى وعشرين سنة وشهرًا ونصفًا، وبقي بعد عبدالله بن الزبير واجتماع من اجتمع عليه من الناس ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر إلا سبع ليال، وقبض وهو ابن ست وستين سنة، وقيل أكثر من ذلك»^(١). وكان عبد الملك بن مروان فضا غليظًا، وظالمًا غشومًا، قال عنه المسعودي: «وكان له إقدام على الدماء، وكان عمّاله على مثل مذهبه، كالحجاج بالعراق، والمهلب بخراسان، وهشام بن إسماعيل بالمدينة، وغيرهم غيرها، وكان الحجاج من أظلمهم وأسفكهم للدماء»^(٢).

وكان عبد الملك يتظاهر أمام العامة بالعبادة والتنسك وتلاوة القرآن قبل توليه الحكم، فلما تولى مقاليد السلطة أخذ يشرب الخمر ويسفك الدماء، قال ابن سعد: «كان عابدًا زاهدًا ناسكًا بالمدينة قبل الخلافة، وكان عبد الملك بن مروان كثيرًا ما يجلس إلى أم الدرداء، فقالت له مرة: بلغني يا أمير المؤمنين أنك شربت الطلاء (يعني الخمر) بعد النسك والعبادة؟ قال: إي،

١ - مروج الذهب ومعادن الجوهر: المسعودي، ج ٣، ص ٨٠.

٢ - مروج الذهب ومعادن الجوهر: المسعودي، ج ٣، ص ٨٠.

والله، والدماء قد شربتها»^(١). فلم يكتفِ بشرب الخمر، بل أسرف في سفك دماء المسلمين، وإراقة دمائهم بغير حق.

وكان عبد الملك طاغية جباراً وظالماً غشوماً، وكان يهدّد ويتوعّد كل من يعارضه ولو بكلمة بالقتل؛ بل إنه كان يتوعد كل من يدعوه إلى تقوى الله بضرب عنقه!

روى المؤرخون عنه أنه قال في إحدى خطبه: «والله لا يأمرني أحدٌ بتقوى الله بعد مقامي هذا إلاّ ضربت عنقه»^(٢).

وهو القائل: «ألا وإني لا أدأوي هذه الأمة إلاّ بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم»^(٣). وكان عبد الملك إذا قعد للحكم قيم على رأسه بالسيوف^(٤)؛ كي ييث الرعب والخوف في نفوس الناس.

وكان عبد الملك يقرأ القرآن قبل توليه الخلافة، فلما بويع بالحكم أطبقه وهجره، قال ابن أبي عائشة: «أفضى الأمر إلى عبد الملك والمصحف في حجره فأطبقه، وقال: هذا آخر العهد بك!»^(٥)، وورد أنه قال: «هذا فراق بيني وبينك!»^(٦).

١- تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطي، ص ٢٤٥.

٢- الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ج ٤، ص ٣٩٢. الأوائل: أبو هلال العسكري، ص ٢٥٠. الوافي بالوفيات: الصفدي، ج ١٩، ص ١٣٧. نهاية الأرب في فنون الأدب: النويري، ج ٢١، ص ٢٢٣. تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطي، ص ٢٤٧.

٣- الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ج ٤، ص ٣٩١. الوافي بالوفيات: الصفدي، ج ١٩، ص ١٣٦. نهاية الأرب في فنون الأدب: النويري، ج ٢١، ص ٢٢٣. تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطي، ص ٢٤٧.

٤- تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطي، ص ٢٤٩.

٥- تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطي، ص ٢٤٧.

٦- الأوائل: أبو هلال العسكري، ص ١٥٨. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ابن الجوزي، ج ٦، ص ٤٠.

ومن طغيانه وجبروته أيضًا «أنه كان أول من غدر في الإسلام، إذ قتل عمرو بن سعيد بن العاص بعد أن منحه الأمان، وأول من نهى عن الكلام بحضرة الخلفاء، وأول من نهى عن الأمر بالمعروف!»^(١).

وبالإضافة إلى كل تلك المساوئ والمثالب التي اتصف بها عبد الملك بن مروان، فقد كان شديد البخل على رعيته، حتى إنه كان يسمى (رشح الحجارة) لبخله^(٢). قال عنه المسعودي: «وكان الغالب عليه البخل»^(٣)، فكان يستأثر بأموال بيت مال المسلمين، ويتمتع بالخيرات، ويتصرف بها وكأنها ملكه الخاص، بينما كان المسلمون أيام حكمه يعانون من الفقر والجوع والعوز والحاجة.

ولادة عبد الملك

عَيَّن عبد الملك بن مروان ولادة طغاة على أهم الأقاليم الإسلامية، وعانى منهم المسلمون معاناة شديدة، فتعاملوا مع الناس بقسوة وشدة وغلظة، وقتلوا كثيرًا من العلماء والأخيار، وسجنوا الآلاف من الأبرياء في السجون المظلمة، ولم يسلم منهم حتى النساء والأطفال.

وسار ولادة عبد الملك على سيرته التي اتصفت بالظلم والجور، وكان أشدهم الحجاج، فقد كتب المؤرخ الشهير المسعودي ما نصه: «وكان له إقدام على الدماء، وكان عُمَّاله على مثل مذهبه، كالحجاج بالعراق، والمهلب بخراسان، وهشام بن إسماعيل بالمدينة، وغيرهم بغيرها، وكان الحجاج من أظلمهم وأسفكهم للدماء»^(٤).

١ - تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطي، ص ٢٤٨.

٢ - تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطي، ص ٢٤٨.

٣ - مروج الذهب ومعادن الجوهر: المسعودي، ج ٣، ص ٨٠.

٤ - مروج الذهب ومعادن الجوهر: المسعودي، ج ٣، ص ٨٠.

واستعمل على المدينة هشام بن إسماعيل المخزومي، فعامل الناس بقساوة شديدة، وساءت سيرته، وأظهر العداوة والحقد على أهل البيت، وتعامل مع الفقيه سعيد بن المسيّب تعاملاً غير إنساني، فضربه ستين سوطاً، وطيف به في الشوارع، ثم زجّ به في السجن لأنه رفض البيعة لابن عبد الملك بن مروان، وهما: الوليد وسليمان^(١).

وتولى هشام بن إسماعيل المدينة من سنة ٨٢ حتى ٨٦ هـ، وقد تعامل تعاملاً سيئاً مع الإمام زين العابدين عليه السلام ومع بني هاشم، فقد روى الواقدي، قال: حدّثني عبدالله بن محمّد بن عمر بن علي، قال: «كان هشام بن إسماعيل يسيء جوارنا، ولقي منه عليّ بن الحسين عليه السلام أذى شديداً»^(٢). ولما عُزل من قبل الوليد عن ولاية المدينة كان يخشى من الإمام زين العابدين عليه السلام أن ينتقم منه لسوء أفعاله معه ومع أهل بيته، فقد أظهر لهم العداوة والبغضاء، وكان ينال من أمير المؤمنين عليه السلام، ولكن الإمام لم يعامله بالمثل، بل سلّم عليه، وأمر أصحابه ألا يتعرضوا له.

كتب المؤرخ المعروف اليعقوبي ما نصه: «وولى الوليد عمر بن عبدالعزيز المدينة، وأمر أن يقف هشام بن إسماعيل للناس، وكان هشام بن إسماعيل المخزومي قد أساء السيرة، وجار في الأحكام، وتحامل على آل رسول الله ﷺ، فلما قدم عمر قال هشام: ما أخاف إلا علي بن الحسين! فمر به، وهو موقوف، فسلم عليه، فناداه هشام: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾»^(٣)^(٤).

-
- ١ - راجع: الطبقات الكبرى: ابن سعد، ج ٥، ص ١٢٦. الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٥١٤.
 - ٢ - الإرشاد: الشيخ المفيد، ص ٢٤٨. حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار: السيد هاشم البحراني، ج ٣، ص ٢٧٧.
 - ٣ - سورة الأنعام: الآية ١٢٤.
 - ٤ - تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٩٨.

ولما اتصف به هشام من ظلم وجور وطغيان أخذ أهل المدينة يشكونه إلى عبد الملك، لكنه لم يستجب لطلباتهم بعزله، بل كان يلوم ويقرع من يشتكي عليه! ولما بلغت إساءات هشام وتعامله القاسي مع أهل المدينة حدًّا لا يُطاق، قام الوليد بن عبد الملك لما تسلم الحكم بعد هلاك أبيه بعزله سنة (٨٧ هـ) حتى لا يثور الناس عليه من شدة ظلمه وبطشه، وأمر بتوقيفه للناس ليأخذوا حقهم منه، بهدف امتصاص غضب الجماهير ضد الحكم الأموي الظالم^(١).

وكان الأسوأ من هشام وغيره من الولاة الطغاة هو الحجاج الذي عرف بشدة الإجرام وسفك الدماء والتعامل غير الإنساني مع الناس، وقد ولاه عبد الملك بن مروان ولاية الحجاز (مكة والمدينة والطائف) واليمن واليامة ثلاث سنين بعد أن قضى على حكم ابن الزبير وقتله، ولم يسلم من بشاعة حكمه حتى الصحابة كجابر بن عبد الله الأنصاري، وأنس بن مالك، وسهل بن سعد الساعدي، وغيرهم، وختم على أعناقهم استخفافاً بهم ليذلهم أمام الناس بحجة أنهم من قتل عثمان!^(٢).

وحين غادر الحجاج المدينة قال كلاماً غير لائق بأهلها، وهذا نصه:

«الحمد لله الذي أخرجني من أمّ نتن، أهلها أخبث بلد وأغشّه لأمر المؤمنين وأحسدّهم له على نعمة الله، والله لو ما كانت تأتيني كتب أمير المؤمنين فيهم لجعلتها مثل جوف الحمار أعواداً يعودون بها ورمّة قد بليت، يغولون^(٣) منبر رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم)، وقبر رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم)»^(٤).

١ - راجع: تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٩٨.

٢ - مروج الذهب: المسعودي، ج ٣، ص ٩٨. الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ج ٤، ص ٣٥٩. تاريخ الخلفاء: السيوطي، ص ٢٥٠.

٣ - في بعض المصادر: يقولون.

٤ - الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ج ٤، ص ٣٥٩.

وهذا الكلام يكشف عن مدى استخفافه بالناس، وبالمقدسات الإسلامية وأعظمها كقبر رسول الله ﷺ، ونزعتة للعدوان والظلم والجور، وإيغاله في دماء المسلمين، وانتهاك حرمتهم، ولم يسلم من جوره حتى صحابة النبي ﷺ.

الحجاج واليًّا على العراق

بعد أن أخضع الحجاج مكة والمدينة لحكم عبد الملك بن مروان، وقتل ابن الزبير ثم صلبه، وقضى على دولته، وبعد أن ولاه الحجاز ثلاث سنين، رأى عبد الملك أن الحجاج هو الأقدر على حكم العراق، والقضاء على الثورات والانتفاضات التي كانت تقوم ضد الحكم الأموي؛ عينه واليًّا على العراق (الكوفة والبصرة) سنة ٧٥ هـ، وقد دخل الكوفة متنكرًا، وبعد أن دخل مسجدها وأمر أصحابه بالجلوس عند أبواب المسجد بسيوفهم مخفية حتى إذا وضع عمامته أظهر أصحابه سيوفهم ومنع الناس من الخروج، وجلس على المنبر ساعة لا يتكلم! والناس يتهامسون: من هذا؟! ولماذا جالس صامت لا يتكلم بأي كلمة! فقال بعضهم: لنحصبه، وقال آخرون: نصبر حتى نسمع ما يقول!

وبعد أن غصَّ المسجد بالناس أَمَاط اللثام عن وجهه، وأخذ أصحابه بإبراز سيوفهم التي كانت مخفية تحت لباسهم، ومنع أي رجل من الخروج من المسجد، بدأ كلامه بالتهديد والوعيد، وأنه سينفذ مجزرة رهيبة بحقهم، فقال:

«يا أهل الكوفة، إني لأرى رؤوسًا قد أينعت وحان قطافها، وإني لصاحبها، وكأني أنظر إلى الدماء بين العمام والمحي»^(١)، ثم أخذ يهدد ويرعد ويتوعد أهل العراق بسفك دمائهم، وحز رؤوسهم، وهكذا فعل.

وعندما ذهب الحجاج إلى البصرة اتبع الطريقة المربعة نفسها في تعامله مع الناس، إذ وصف ابن قتيبة ذلك، فكتب ما نصه:

«توجه الحجاج ومعه ألفا رجل من مقاتلة أهل الشام وحماهم، وأربعة آلاف من أخلاط الناس وتقدم بألفي رجل، وتحريّ دخول البصرة يوم الجمعة في حين أوان الصلاة، فلما دنا من البصرة، أمرهم أن يتفرّقوا على أبواب المسجد، على كل باب مئة رجل بأسياقهم تحت أريدتهم، وعهد إليهم أن إذا سمعتم الجلبة في داخل المسجد، والواقعة فيهم، فلا يخرجن خارج من باب المسجد حتى يسبقه رأسه إلى الأرض، وكان المسجد له ثمانية عشر باباً، يدخل منها إليه.

فافترق القوم عن الحجاج فبدروا إلى الأبواب، فجلسوا عندها مرتدين ينتظرون الصلاة، ودخل الحجاج وبين يديه مئة رجل، وخلفه مئة كل رجل منهم مرتد بردائه، وسيفه قد أفضى به إلى داخل إزاره. فقال لهم: إني إذا دخلت فسأكلم القوم في خطبتي، وسيحبسونني، فإذا رأيتوني قد وضعت عمامتي على ركبتي، فضعوا أسياقكم، واستعينوا بالله، ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١)، فلما دخل المسجد، وقد حانت الصلاة، صعد المنبر فحمد الله ثم قال: أيها الناس إن أمير المؤمنين عبد الملك أمير استخلفه الله عز وجل في بلاده، وارتضاه إماماً على عباده، وقد ولّاني مصركم، وقسمة فيئكم، وأمرني بإنصاف مظلومكم، وإمضاء الحكم على ظالمكم، وصرف الثواب إلى المحسن البريء، والعقاب إلى العاصي المسيء، وأنا متبع فيكم أمره، ومنفذ عليكم عهده، وأرجو بذلك من الله عز وجل المجازاة، ومن خليفته المكافأة، وأخبركم أنه قلّدي بسيفين حين توليته إياي عليكم: سيف رحمة، وسيف

عذاب ونقمة، فأما سيف الرحمة فسقط مني في الطريق، وأما سيف النقمة فهو هذا فحصبه الناس، فلما أكثروا عليه خلع عمامته، فوضعها على ركبته، فجعلت السيوف تברי الرقاب، فلما سمع الخارجون الكائنون على الأبواب وقية الداخلين، ورأوا تسارع الناس إلى الخروج، تلقوهم بالسيوف، فردعوا الناس إلى جوف المسجد، ولم يتركوا خارجاً يخرج، فقتل منهم بضعة وسبعين ألفاً، حتى سالت الدماء إلى باب المسجد، وإلى السكك»^(١).

وقد خيم الرعب والإرهاب على أهل العراق بفعل سياسة الحجاج الظالمة، فقتل الصالحين والأخيار والقراء وغيرهم، وسجن الآلاف من الناس في سجونهم المرعبة، ومات منهم فيها من مات كمدًا وظلمًا. كتب المؤرخ المعروف المسعودي ما نصه: «وكان تأثره على الناس عشرين سنة، وأُحصي من قتله صبراً سوى من قتل في عساكره وحروبه فوجد مئة وعشرين ألفاً، ومات وفي حبسه خمسون ألف رجل، وثلاثون ألف امرأة، منهن ستة عشر ألفاً مجردة، وكان يحبس النساء والرجال في موضع واحد، ولم يكن للحبس ستر يستر الناس من الشمس في الصيف ولا من المطر والبرد في الشتاء، وكان له غير ذلك من العذاب.

وذكر أنه ركب يوماً يريد الجمعة، فسمع ضجة، فقال: ما هذا؟ فقل له: المحبسون يضجون ويشكون ما هم فيه من البلاء، فالتفت إلى ناحيتهم وقال: ﴿اٰخْسَوْا فِيْهَا وَلَا تُكَلِّمُوْنَ﴾^(٢)، فيقال: إنه مات في تلك الجمعة، ولم يركب بعد تلك الركبة»^(٣).

وقال المؤرخون عن ولوغ الحجاج بسفك الدماء: «فكان لا يصبر عن سفك الدماء لما كان منه في أول أمره، وكان الحجاج يخبر عن نفسه أن أكبر لذاته

١ - الإمامة والسياسة: ابن قتيبة الدينوري، ج ٢، ص ٣٩ - ٤٠.

٢ - المؤمنون: ١٠٨.

٣ - مروج الذهب ومعادن الجوهر: المسعودي، ج ٣، ص ١٣٨.

سفك الدماء، وارتكاب أمور لا يقدم عليها غيره، ولا سبق إليها سواه»^(١). واعترف الحجاج نفسه بأنه أكثر الحكام سفكاً للدماء وقتلاً للأبرياء، إذ قال: «إني والله ما أعلم اليوم رجلاً على وجه الأرض هو أجراً على دم مني!»^(٢).

اقترح الحجاج بقتل الإمام زين العابدين (عليه السلام)

واصل الحجاج نزعته الشريرة إلى القتل وسفك الدماء، ولما كان يتمتع به الإمام زين العابدين (عليه السلام) من موقعية متقدمة عند المسلمين كافة، ومحبة عظيمة عندهم؛ لأنه يمثل الامتداد الروحي والمادي للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولتعاطف الناس معه بعد استشهاد أبيه وأهل بيته، لم يستطع الحجاج الإقدام على اقتراف جريمة كبرى بقتل سيد الساجدين وزين العابدين (عليه السلام) من دون أخذ إذن مسبق من الخليفة نفسه، فكتب كتاباً إلى عبد الملك بن مروان يقترح عليه القيام بقتل الإمام زين العابدين (عليه السلام) إن أراد تثبيت حكمه، لكن عبد الملك كان يعلم أن قتله سيسبب اهتزاز حكمه وليس تثبيته، فرفض ذلك، وذكر له أن آل أبي سفيان سقط حكمهم لما قتلوا الإمام الحسين (عليه السلام)، وأن قتل ابنه سيؤدي إلى النتيجة نفسها، فنهاه عن فعل ذلك.

روي أن الحجاج بن يوسف كتب إلى عبد الملك بن مروان: «إن أردت أن يثبت ملكك فاقتل علي بن الحسين!»، فكتب عبد الملك إليه: «أما بعد؛ فجنبني دماء بني هاشم واحققها، فإنني رأيت آل أبي سفيان لما أولعوا فيها لم يلبثوا أن أزال الله الملك عنهم»^(٣).

١ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان، ج ٢، ص ٢٢. مروج الذهب: المسعودي، ج ٣، ص ١٠٦. حياة الحيوان الكبرى: الدميري، ج ١، ص ٢٤٣. شذرات الذهب: ابن العماد الحنبلي، ج ١، ص ١٠٧. الوافي بالوفيات: الصفدي، ج ١١، ص ٢٣٤.
٢ - العقد الفريد: أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، ج ٥، ص ٢٩٢. تاريخ مدينة دمشق: ج ٢٣، ص ١٨٢.
٣ - الخرائج والجرائح: ج ١ ص ٢٥٦ رقم ٢. إثبات الهداة: ج ٥ ص ٢٣٤ رقم ٢٦. الصراط المستقيم: علي بن يونس العاملي، ج ٢، ص ١٨٠، رقم ٢. بحار الأنوار: ج ٤٦ ص ٢٨ ح ١٩. تاريخ يعقوبي: ج ٢، ص ٢١٣.

عداؤه لأمر المؤمنين عليه السلام

عُرف الحجاج ببغضه وعدائه الشديدين لأمر المؤمنين عليه السلام، وكان أفضل وسيلة للتقرب منه هو النيل من شخصية الإمام علي عليه السلام وفضائله، وإظهار البغض والعداوة له؛ حتى وصل الحال «إن إنساناً وقف للحجاج (ويقال إنه جد الأصمعي عبد الملك بن قريب) فصاح به: أيها الأمير إن أهلي عقوني، فسموني علياً، وإني فقير بائس، وأنا إلى صلة الأمير محتاج! فتضاحك له الحجاج، وقال: للطف ما توسلت به، قد وليتك موضع كذا»^(١).

وكان الحجاج يُسرّ ويفرح عندما يأتيه أحد وينتقص من أمر المؤمنين عليه السلام وينال منه، ويعدّ ذلك إعلاناً صريحاً لموالاته، ووسيلة لنيل جوائزه وهداياه وعطاياه!

ومما يدل على ذلك ما رواه هشام بن السائب الكلبي عن أبيه أنه قال: أدركت بني أود^(٢) وهم يعلمون أبناءهم وخدمهم سبّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وفيهم رجل من رهط عبد الله بن إدريس بن هاني، فدخل على الحجاج بن يوسف يوماً، فكلمه بكلام فأغلظ له الحجاج في الجواب، فقال له: لا تقل هذا أيها الأمير؛ فلا لقریش ولا لثقيف منقبة يعتدون بها إلا ونحن نعتد بمثلها.

قال له: وما مناقبكم؟

قال: ما ينقص عثمان ولا يذكر بسوء في نادينا قط.

قال: هذه منقبة!

قال: وما رأيي منّا خارجي قط.

قال: ومنقبة!

١ - شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج ١١، ص ٤٦. جمهرة النسب: ابن الكلبي، ص ٤٦٠.

٢ - كان بنو أود من القحطانية، عرفوا بعدائهم للإمام علي عليه السلام وأولاده. شاركوا في صفين إلى جانب معاوية، لازموا الأمويين وناووا أهل البيت عليهم السلام.

قَالَ: وَمَا شَهِدَ مِنَّا مَعَ أَبِي تُرَابٍ مَشَاهِدَهُ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ؛ فَاسْقَطَهُ ذَلِكَ عِنْدَنَا وَأَحْمَلَهُ، فَمَا لَهُ عِنْدَنَا قَدْرٌ وَلَا قِيَمَةٌ.

قَالَ: وَمَنْقَبَةٌ!

قَالَ: وَمَا أَرَادَ مِنَّا رَجُلٌ قَطُّ أَنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأَةً إِلَّا سَأَلَ عَنْهَا: هَلْ تُحِبُّ أَبَا تُرَابٍ أَوْ تَذْكُرُهُ بِخَيْرٍ؟ فَإِنْ قِيلَ: إِنَّهَا تَفْعَلُ ذَلِكَ، اجْتَنَبَهَا فَلَمْ يَتَزَوَّجْهَا.

قَالَ: وَمَنْقَبَةٌ!

قَالَ: وَمَا وُلِدَ فِينَا ذَكَرٌ فَسُمِّيَ عَلِيًّا وَلَا حَسَنًا وَلَا حُسَيْنًا، وَلَا وُلِدَتْ فِينَا جَارِيَةٌ فَسُمِّيَتْ فَاطِمَةً.

قَالَ: وَمَنْقَبَةٌ!

قَالَ: وَنَذَرْتُ مِنَّا امْرَأَةً حِينَ أَقْبَلَ الْحُسَيْنُ إِلَى الْعِرَاقِ إِنْ قَتَلَهُ اللَّهُ أَنْ تَنْحَرَ عَشْرَ جُزُرٍ، فَلَمَّا قُتِلَ وَفَتْ بِنَدْرِهَا.

قَالَ: وَمَنْقَبَةٌ!

قَالَ: وَدُعِيَ رَجُلٌ مِنَّا إِلَى الْبَرَاءَةِ مِنْ عَلِيٍّ وَلَعْنِهِ، فَقَالَ: نَعَمْ، وَأَزِيدُكُمْ حَسَنًا وَحُسَيْنًا.

قَالَ: وَمَنْقَبَةٌ، وَاللَّهِ!!

قَالَ: وَقَالَ لَنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمَلِكِ: أَنْتُمْ الشُّعَارُ دُونَ الدُّثَارِ^(١)، وَأَنْتُمْ الْأَنْصَارُ بَعْدَ الْأَنْصَارِ.

قَالَ: وَمَنْقَبَةٌ!

قَالَ: وَمَا بِالْكُوفَةِ إِلَّا مَلَا حَةَ بَنِي أَوْدٍ، فَضَحِكَ الْحَجَّاجُ.

قَالَ هِشَامُ بْنُ السَّائِبِ الْكَلْبِيُّ: قَالَ لِي أَبِي: فَسَلَبَهُمُ اللَّهُ مَلَا حَتَهُمُ^(٢).

١ - الدُّثَارُ: الثُّوبُ الَّذِي يُسْتَدْفَأُ بِهِ مِنْ فَوْقِ الشُّعَارِ (لسان العرب: ج ٤ ص ٢٧٦ «دثر»).

٢ - فرحة الغري: ص ٢٢، بحار الأنوار: ج ٤٦ ص ١١٩ ح ١٠. الغارات: إبراهيم الثقفي الكوفي، ج ٢، ص ٤٧١.

وحسب الإمام علي عليه السلام فخراً وشرفاً وعزاً أنه لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق، وأنه لا يبغضه إلا من لا عهد له بالتقوى والفضيلة والشرف كالحجاج بن يوسف وأضرابه من المجرمين.

قتل كميل بن زياد النخعي

كان كميل بن زياد بن ثُمَيْك النخعي الكوفي من خيار الشيعة وأعلامهم، ومن خواص أمير المؤمنين عليه السلام وثقاتهم، شارك في حرب صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام، ومن القراء المعروفين، طلبه الحجاج فهرب منه، فحرم قومه عطاءهم، فلما رأى ذلك قال: أنا شيخ كبير، وقد نفذ عمري، فذهب للحجاج بنفسه، ولما رآه قال له: كنت أحب أن أجد عليك سيلاً.

فقال له كميل: لا تبرق ولا ترعد، فوالله ما بقي من عمري إلا مثل الغبار، فاقض ما أنت قاضٍ، فإن الموعد الله عز وجل.

ولم يتردد الحجاج من سفك دم كميل بن زياد، فقد ختم الله على قلبه وعقله، فارتكب جريمة أخرى من جرائمه الكثيرة بحق أعلام الشيعة وخيارهم.

روى الشيخ المفيد عن المغيرة: لما وُيِّ الحجاج طلب كميل بن زياد، فهرب منه، فحرم قومه عطاءهم، فلما رأى كميل ذلك قال: أنا شيخ كبير قد نفذ عمري؛ لا ينبغي أن أحرِم قومي عطياتهم، فخرج فدفع بيده إلى الحجاج، فلما رآه قال له: لقد كنت أحب أن أجد عليك سيلاً!

فقال له كميل: لا تصرف^(١) عليّ أنيابك، ولا تهدم^(٢) عليّ، فوالله ما بقي من

١ - الصَّريْف: صوت الأنياب. وصَرَف نابَه ونَبَاهِه: حَرَقَه [حَقَّه] فسمعت له صوتاً (لسان العرب: ج ٩ ص ١٩١ «صرف»).

٢ - من المجاز: تَهَدَّم عليه غَضَباً؛ إِذَا تَوَعَّدَهُ. وفي الصِّحاح: اشْتَدَّ غَضَبُهُ (تاج العروس: ج ١٧ ص ٧٤٤ «هدم»).

عُمري إِلَّا مِثْلَ كَوَاسِلٍ^(١) الْغُبَارِ، فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ، فَإِنَّ الْمَوْعِدَ اللَّهُ، وَبَعْدَ الْقَتْلِ الْحِسَابُ، وَلَقَدْ خَبَّرَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام) أَنَّكَ قَاتِلِي.

فَقَالَ لَهُ الْحَجَّاجُ: الْحُجَّةُ عَلَيْكَ إِذَا!

فَقَالَ كُمَيْلٌ: ذَاكَ إِنْ كَانَ الْقَضَاءُ إِلَيْكَ!

قَالَ: بَلَى، قَدْ كُنْتَ فِي مَن قَتَلَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ! اضْرِبُوا عُنُقَهُ. فَضَرَبَتْ عُنُقُهُ^(٢).

واستشهد كميل والذي كان من جملة العباد الثمانية المشهورين في الكوفة^(٣) في سنة ٨٢ هـ^(٤)، ودفن بالثوية بظهر الكوفة إلى النجف، وله مزار معروف ومشهور، وقد تشرفت بزيارته عدة مرات، والحمد لله على هذا التوفيق.

قتل قبر مولى أمير المؤمنين (عليه السلام)

واصل الحجاج الثقفي حقه الدفين ضد أمير المؤمنين (عليه السلام) وأصحابه، وفي يوم من الأيام سأل أصحابه: عن رجل من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) كي يهدر دمه!

فأشاروا عليه بقبر الذي كان ملازمًا لأمر المؤمنين (عليه السلام) ومرافقًا له، ومقيمًا لحدوده، ومُنْقِذًا لأوامره، وبقي ثابتًا على ولايته، ووفيًا له حتى آخر لحظة من حياته.

استدعاه الحجاج وأمر بقتله، بسبب وفائه وولائه للإمام علي (عليه السلام)، ولما أخبره الحجاج بأنه سيقتله، قال له: أسعد أنا وتشقى أنت!

روى الشيخ المفيد في كتاب الإرشاد: ما رواه أصحاب السيرة من طرق

١ - كأنها بقايا الغبار التي كسلت عن أوائله.

٢ - الإرشاد: ج ١ ص ٣٢٧؛ الإصابة: ج ٥ ص ٤٨٦ الرقم ٧٥١٦ نحوه. تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٤٠٤؛ تاريخ دمشق: ج ٥٠ ص ٢٥٦.

٣ - تهذيب الكمال: ج ٢٤ ص ٢١٩ الرقم ٤٩٩٦، تاريخ دمشق: ج ٥٠ ص ٢٥٠.

٤ - الطبقات لخليفة بن خياط: ص ٢٤٩ الرقم ١٠٥٨، تاريخ دمشق: ج ٥٠ ص ٢٥٧، تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٣٦٥ وفيه «سنة ٨٣ هـ».

مُخْتَلِفَةٍ: إِنَّ الْحَجَّاجَ بْنَ يَوْسُفَ الثَّقَفِيَّ، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ: أَحَبُّ أَنْ أُصِيبَ رَجُلًا
مِنْ أَصْحَابِ أَبِي تُرَابٍ فَأَتَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ بِدَمِهِ!
فَقِيلَ لَهُ: مَا نَعْلَمُ أَحَدًا كَانَ أَطْوَلَ صُحْبَةً لِأَبِي تُرَابٍ مِنْ قَنْبَرٍ مَوْلَاهُ،
فَبَعَثَ فِي طَلَبِهِ فَاتَى بِهِ، فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ قَنْبَرٌ؟
قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: أَبُو هَمْدَانَ قَنْبَرٍ (مولى أمير المؤمنين عليه السلام)؟
قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: مَوْلَى عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ؟
قَالَ: اللَّهُ مَوْلَايَ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ وَلِيُّ نِعْمَتِي.
قَالَ: اِبْرَأْ مِنْ دِينِهِ!

قَالَ: فَإِذَا بَرِئْتُ مِنْ دِينِهِ تَدُلُّنِي عَلَى دِينٍ غَيْرِهِ أَفْضَلَ مِنْهُ؟!
فَقَالَ: إِنِّي قَاتِلُكَ، فَاخْتَرِ أَيَّ قِتْلَةٍ أَحَبَّ إِلَيْكَ.
قَالَ: قَدْ صَيَّرْتُ ذَلِكَ إِلَيْكَ.

قَالَ: وَلَمْ؟

قَالَ: لِأَنَّكَ لَا تَقْتُلُنِي قِتْلَةً إِلَّا قَتَلْتُكَ مِثْلَهَا، وَلَقَدْ خَبَّرَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام
أَنْ مَنِّيَّتِي تَكُونُ ذَبْحًا ظُلْمًا بِغَيْرِ حَقٍّ.
قَالَ: فَأَمَرَ بِهِ فَذُبِحَ ^(١).

وروي عن الإمام الهادي عليه السلام أنه قال: إِنَّ قَنْبَرًا مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام
عليه السلام دَخَلَ عَلَى الْحَجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ، فَقَالَ لَهُ: مَا الَّذِي كُنْتَ تَلِي مِنْ عَلِيٍّ
بْنِ أَبِي طَالِبٍ؟
فَقَالَ: كُنْتُ أَوْصِيَّهُ.

فَقَالَ لَهُ: مَا كَانَ يَقُولُ إِذَا فَرَّغَ مِنْ وُضُوئِهِ؟

فَقَالَ: كَانَ يَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ * فَقَطَّعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

فَقَالَ الْحَجَّاجُ: أَظْنُهُ كَانَ يَتَأَوَّلُهَا عَلَيْنَا؟

قَالَ: نَعَمْ.

فَقَالَ: مَا أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا ضَرَبْتَ عِلَاوَتَكَ؟

قَالَ: إِذْنُ أَسْعَدَ وَتَشْقَى. فَأَمَرَ بِهِ^(٢) فقتله، ومضى إلى ربه شهيداً.

هدمه للكعبة المعظمة

من موبقات الحجاج الكبرى هدمه للكعبة المعظمة ورميها بالمنجنيق، وقد حاصر البيت الحرام ستة أشهر وسبع عشرة ليلة عندما تحصن ابن الزبير به، ولكن الحجاج لم يأبه بالمقدسات الإسلامية، وانتهك حرمة البيت الحرام الذي جعله الله آمناً للناس، فأمر جيشه برمي الكعبة المعظمة، فرميت من جبل أبي قبيس بالمنجنيق.

روى ابن الأثير وغيره: رموا البيت بالمنجنيق وحرقوه بالنار، وأخذوا يرتجزون ويقولون:

خطارة مثل الفنيق المزدنرمي بها أعواد هذا المسجد^(٣)

واستمر حصار البيت الحرام حتى قتل عبدالله بن الزبير، وصلب منكوساً، ولما بلغ الخبر الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان فرح فرحاً عظيماً، وأمر أن يُطاف برأسه في البلدان، ففعلوا به ما أراد^(٤).

١ - الأنعام: ٤٤ - ٤٥.

٢ - رجال الكشي: ص ١٤٧ الرقم ١٣٠.

٣ - الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ج ٤، ص ١٢٤. البداية والنهاية: ابن كثير، ج ٨، ص ٣٦٣. تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٣٨٣.

٤ - البداية والنهاية: ابن كثير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٨، ص ٣٦٦. تاريخ الخلفاء: السيوطي، ص ٢٤٣.

ولما أراد الحجاج إعادة بناء الكعبة بعد أن هدمها لامتنع الناس عن غضب الناس خرجت لهم حيلة، فلجأ الحجاج إلى الإمام زين العابدين (عليه السلام) لحل المشكلة، فقد روي: «أنَّ الحَجَّاجَ لما هدم الكعبة وأراد الناس بناءها خرجت عليهم حيلة منعتهم، فلجأ الحَجَّاجُ إلى أعتاب الإمام زين العابدين (عليه السلام) فأمره أن يسترجع من الناس ما نهبوه من تراب البيت، فليبنوا منه! ففعلوا»^(١).

وكتب المحقق الشيخ باقر شريف القرشي: «لما هدم الحجاج الكعبة المشرفة، وأراد عمارتها، كان العلماء والفقهاء يضعون الحجر الأسود في مكانه فلا يستقر، فأقبل الإمام زين العابدين (عليه السلام)، وقد أحيط بهالة من التعظيم، فأخذ الحجر فوضعه في مكانه فاستقر وعلت أصوات الناس بالتكبير»^(٢).

هلاك الحجاج

بعد مسيرة مليئة بالإجرام والقتل والإرهاب، وسفك دماء الأبرياء، وهدم الكعبة المشرفة، وقتل خيار الصحابة والتابعين، وانتهاك الحرمات والمقدسات، هلك الحجاج بن يزيد الثقفي، واستراح المسلمون من شره وبطشه وإجرامه وظلمه.

كتب المؤرخ المسعودي: «ومات الحجاج في سنة خمس وتسعين، وهو ابن أربع وخمسين سنة بواسط العراق، وكان تأمُّرُه على الناس عشرين سنة، وأُحْصِيَ من قتله صبراً سوى من قتل في عساكره وحروبه فوجد مئة وعشرون ألفاً، ومات وفي حبسه خمسون ألف رجل، وثلاثون ألف امرأة»^(٣).

١ - التفسير الأثري الجامع: محمد هادي معرفة، ج ٤، ص ٩٧.

٢ - موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام زين العابدين (عليه السلام)، الشيخ باقر شريف القرشي، ج ١٦، ص ٣١٧.

٣ - مروج الذهب ومعادن الجوهر: المسعودي، ج ٣، ص ١٣٨.

وقيل: «وجد اسم من قتلهم الحجاج مئة ألف وخمسة وعشرين ألفاً، والذي في السجن ثلاثة وثمانون ألفاً لم يجب على واحد منهم قطع ولا صلب»^(١). وانتقم الله من الحجاج في الدنيا قبل الآخرة، فابتلاه الله بمرض لم يستطع الأطباء معالجته، فقد روى المؤرخون عن سبب هلاكه: «وكان مرضه بالآكلة وقعت في بطنه، فدعا بالطبيب فأخذ لحماً وعلقه في خيط وسرحه في حلقه وتركه ساعة ثم أخرجه وقد علق به دود كبيرة، وسلط الله عليه بها الزمهريرة»^(٢)، وكانت الكوانين تجعل حوله مملوءة ناراً وتدني منه حتى يحرق جلده وهو لا يحس بها، فشكا ما يجده إلى الحسن البصري فقال له: قد نهيتك أن تتعرض للصالحين. وقيل: إن الحسن سجد يشكر الله تعالى لما مات الحجاج، فقال: اللهم كما أمته فأمت عنا سنته»^(٣).

وفي بعض المصادر الأخرى: «فشكا ما هو فيه إلى الحسن البصري، فقال له: قد كنت نهيتك أن تتعرض للصالحين، فلججت، فقال له: يا حسن لا أسألك أن تسأل الله أن يفرج عني، ولكن أسألك أن تسأله أن يعجل قبض روعي، ولا يطيل عذابي. واستمر الحجاج بهذه العلة خمسة عشر يوماً إلى أن مات»^(٤).

وقيل: «إنه أخذه السل، وهجره الرقاد»^(٥)، إلى أن هلك، فتنفس الناس الصعداء.

- ١ - غربال الزمان في وفيات الأعيان: يحيى العامري الحرصي اليماني، دار الخير، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٥، ص ٨٦.
- ٢ - معنى الزمهرير: شدة البرد.
- ٣ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان: عبد الله بن أسعد الياضي اليماني المكي، ج ١، ص ١٥٥. شذرات الذهب: ابن العماد الحنبلي، ج ١، ص ١٠٧.
- ٤ - روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات: السيد محمد باقر الخوانساري، ج ٢، ص ٥٤.
- ٥ - البدء والتاريخ: البلخي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م، ص ٤٥٥.

وبهلاكه ارتاحت العباد والبلاد من إجرامه وإفساده وإرهابه وقمعه وبطشه وسفكه لدماء الأبرياء، وقتله للصالحين الأخيار والعلماء الأتقياء كالفقيه سعيد بن جبير (رحمه الله) والذي كان آخر من قتله من الأعلام، وما فعله من انتهاك للحرمات، وهتك للمقدسات الإسلامية، وأعظمها هدم الكعبة المشرفة، زادها الله تشريفاً وتعظيماً.

مواقف الإمام زين العابدين مع عبد الملك بن مروان

قضى الإمام زين العابدين عليه السلام أغلب أيام إمامته في عهد عبد الملك بن مروان والذي دام واحدًا وعشرين عامًا، واتسم عهده بالقمع والكبت والقهر والاضطهاد، وتعامل الإمام مع هذا الحاكم المستبد بالمقاطعة السلبية لحكمه لما عُرف عنه من ظلم وجور ضد أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم وأصحابهم ومحبيهم.

وسجّل لنا التاريخ بعض المواقف والمحطات بين الإمام عليه السلام وعبد الملك بن مروان، نشير إليها باقتضاب:

أولاً - الإمام لا يأبه بالخليفة الأموي:

كان عبد الملك بن مروان يطوف حول الكعبة المعظمة، وكان الإمام زين العابدين عليه السلام أيضًا يطوف أمامه ولا يلتفت إليه؛ ما جعل عبد الملك يستدعي الإمام لتجروئه على الطواف أمامه مع عدم العناية به.

فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «كان عبد الملك بن مروان يطوف بالبيت، وعلي بن الحسين يطوف بين يديه، لا يلتفت إليه، ولم يكن عبد الملك يعرفه بوجهه. فقال: من هذا الذي يطوف بين أيدينا ولا يلتفت إلينا؟ فقيل: هذا علي بن الحسين، فجلس مكانه، وقال: ردوه إليّ، فردوه، فقال له: يا علي

بن الحسين إني لست قاتل أبيك، فما يمنعك من المصير إلي! فقال علي بن الحسين (عليه السلام): إن قاتل أبي أفسد - بما فعله - دنياه عليه، وأفسد أبي عليه بذلك آخرته، فإن أحببت أن تكون كهو فكن^(١).

فالإمام (عليه السلام) تعامل مع هذا الحاكم المتجبر بكل جرأة وقوة، فلم يبال به، ولم يلتفت إليه، وكان يطوف بالبيت الحرام أمامه بكل شجاعة، وفي مرأى من الحجاج الطائفين حول البيت الحرام، وهو الأمر الذي أثار غضبه، فاستدعى الإمام، وعاتبه لأنه لا يذهب إليه، وهذا يعني أن الإمام (عليه السلام) كان مقاطعاً لحكمه مع أنه كان قاسياً وظالماً، وعندما أوضح عبدالملك أنه ليس قاتل الإمام الحسين (عليه السلام) للتصل من أية مسؤولية لإراقة الدماء الطاهرة في كربلاء، وفي الوقت نفسه ألح إلى تهديد الإمام بأن مصيره يمكن أن يكون كأبيه؛ ردّ عليه الإمام بكل شجاعة وتحدي قائلاً له: إن كنت تريد أن تكون كهو فكن!

ثانياً - طلب الحصول على سيف النبي ﷺ:

بلغ عبدالملك بن مروان أن سيف النبي ﷺ موجود عند الإمام زين العابدين (عليه السلام)، فبعث إليه برسالة يستوهبه منه، ولكن الإمام رفض ذلك، فكتب إليه عبدالملك برسالة يهدّده فيها بأنه سيقطع رزقه من بيت المال، فأجابه الإمام (عليه السلام):

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ ضَمِنَ لِلْمُتَّقِينَ الْخُرْجَ مِنْ حَيْثُ يَكْرَهُونَ، وَالرِّزْقَ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ، وَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾^(٢) فَاَنْظُرْ أَيْنَا أَوَّلَىٰ بِهَذِهِ الْآيَةِ»^(٣).

١ - الخرائج والجرائح: قطب الدين الراوندي، ج ١، ص ٢٥٩.

٢ - الحج: ٣٨.

٣ - مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص: ١٦٥. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ٩٥.

وسبب رفض الإمام عليه السلام إعطاء سيف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودرعه وقميصه، وبقية مواريث الأنبياء عليهم السلام لعبد الملك، أنه قد «ثبت عندنا أن الله جمعها لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ومنها جميع الكتب والصحف المنزلة، وورثها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأمر ربه لعترته الطاهرة، فهي عندهم علامة الإمامة الربانية، فيظهر أن عبد الملك سمع بذلك فأراد أن يستولي على سيف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودرعه، فكتب إلى الإمام عليه السلام ولما رفض أن يعطيه سلط عليه الحجاج، فأعطاه الإمام عليه السلام سيفاً ودرعاً آخر»^(١). وقد أراد عبد الملك من الاستيلاء على سيف النبي ودرعه ومواريث الأنبياء إظهار نفسه على أنه حاكم يحظى بشرعية دينية، وأنه خليفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، خصوصاً أنه دخل في معارك رهيبة مع ابن الزبير للسيطرة على الحكم في كل بلاد المسلمين، ومنها بلاد الحجاز، وأن هناك من يرى أن الحاكم الشرعي هو عبدالله بن الزبير؛ ولذا سعى عبد الملك بكل قوة للاستيلاء على مواريث الأنبياء وأخذها من الإمام زين العابدين عليه السلام لإضفاء الشرعية الدينية على حكمه.

ثالثاً- تحذيره من الاغترار بالحكم:

كتب الإمام علي بن الحسين عليه السلام إلى عبد الملك بن مروان رسالة حذره فيها من الاغترار بالحكم، وهذا نصها:

«أما بعد؛ إنك أعز ما تكون بالله، أحوج ما تكون إليه، فإن عززت به فاعف له، فإنك به مقدر وإليه ترجع»^(٢).

هذه الرسالة على إيجازها تحتوي على أمور بالغة الأهمية، وهي دعوته لعبد الملك بتقوى الله تعالى والخوف منه، وتأتي أهمية هذه الدعوة من كون عبد الملك قد هدّد كل من يدعو للتقوى بالقتل!

١- جواهر التاريخ (سيرة الإمام زين العابدين): الشيخ علي الكوراني العاملي، ج ٤، ص ١٦٠.

٢- البصائر والنخائر: لأبي حيان التوحيدي: ج ١ ص ٢٠٨ الرقم ٦٣٦.

والأمر الثاني: عدم الاغترار بالحكم، وشهوة السلطة، وأنه مهما عظم ملكه فإنه بحاجة إلى الله تعالى، وأن عزه بالقرب منه سبحانه.

والأمر الثالث: الدعوة إلى العفو عن عباد الله ممن ارتكبوا بعض الأخطاء والذنوب، أو عارضوا حكمه تقريباً إلى الله تعالى، فهذا من تجليات العفو عند المقدرة، وأن الأمور كلها ترجع إلى الله عز وجل.

رابعاً- اعتقال الإمام:

اشتهر الإمام زين العابدين (عليه السلام) بين الخاصة والعامة، وشاع صيته في كل مكان، وملاً علمه الآفاق، وأصبح ملء السمع والبصر؛ فلما وصلت التقارير بذلك إلى الحاكم الأموي عبد الملك بن مروان أمر بإلقاء القبض عليه، وحمله إلى دمشق عاصمة الخلافة الأموية.

روى ابن شهاب الزهري قال: «شَهِدْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) يَوْمَ حَمَلَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الشَّامِ، فَأَثْقَلَهُ حَدِيدًا، وَوَكَّلَ بِهِ حُفَاظًا فِي عُدَّةٍ وَجَمَعَ، فَاسْتَأْذَنَتْهُمْ فِي التَّسْلِيمِ عَلَيْهِ وَالتَّوْدِيعِ لَهُ فَأَذْنَوْا، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَالْأَفْيَادُ فِي رِجْلَيْهِ وَالْغُلُّ فِي يَدَيْهِ، فَبَكَيْتُ وَقُلْتُ: وَدِدْتُ أَنِّي مَكَانَكَ وَأَنْتَ سَالِمٌ».

فَقَالَ: يَا زُهْرِيُّ، أَوْ تَظُنُّ هَذَا بِمَا تَرَى عَلَيَّ وَفِي عُنُقِي يُكْرِبُنِي؟ أَمَّا لَوْ شِئْتُ مَا كَانَ فَإِنَّهُ وَإِنْ بَلَغَ بِكَ وَمِنْ أَمْثَالِكَ لِيُذَكِّرَنِي عَذَابَ اللَّهِ، ثُمَّ أَخْرَجَ يَدَيْهِ مِنَ الْغُلِّ وَرِجْلَيْهِ مِنَ الْقَيْدِ، ثُمَّ قَالَ: يَا زُهْرِيُّ لَا جُزْتُ مَعَهُمْ عَلَى ذَا مَنْزِلَتَيْنِ مِنَ الْمَدِينَةِ.

قال: فَمَا لَبِئْنَا إِلَّا أَرْبَعَ لَيَالٍ حَتَّى قَدِمَ الْمُوَكَّلُونَ بِهِ يَطْلُبُونَهُ بِالْمَدِينَةِ فَمَا وَجَدُوهُ، فَكُنْتُ فِيمَنْ سَأَلَهُمْ عَنْهُ، فَقَالَ لِي بَعْضُهُمْ: إِنَّا نَرَاهُ مَتْبُوعًا، إِنَّهُ لَنَازِلٌ

وَنَحْنُ حَوْلَهُ لَا نَنَامُ تُرْصِدُهُ، إِذْ أَصْبَحْنَا فَمَا وَجَدْنَا بَيْنَ مَحْمِلِهِ إِلَّا حَدِيدَةً، فَقَدِمْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ، فَسَأَلَنِي عَنْ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ جَاءَنِي فِي يَوْمٍ فَقَدَهُ الْأَعْوَانُ، فَدَخَلَ عَلَيَّ، فَقَالَ: مَا أَنَا وَأَنْتَ؟! فَقُلْتُ: أَقِمَّ عِنْدِي.

فَقَالَ: لَا أُحِبُّ، ثُمَّ خَرَجَ فَوَاللَّهِ لَقَدْ امْتَلَأْتُوِي مِنْهُ خِيفَةً! قَالَ الزُّهْرِيُّ: فَقُلْتُ: لَيْسَ عَلِيٌّ بِنِ الْحُسَيْنِ حَيْثُ تَظُنُّ، إِنَّهُ مَشْغُولٌ بِنَفْسِهِ. فَقَالَ: حَبْدًا شُغْلٌ مِثْلِهِ، فَنِعَمَ مَا شُغِلَ بِهِ»^(١).

وفي هذه الرواية نجد ما منحه الله سبحانه وتعالى للإمام من كرامات ملموسة وظاهرة للناس لتعزيز مكانته الروحية، وإثبات صدق إمامته، وإلقاء الرعب في قلوب أعدائه؛ حتى إن عبد الملك رغم جبروته وطغيانه قذف الله في قلبه الخوف من الإمام! وما لبث أن أطلق سراحه.

هلاك عبد الملك بن مروان

هلك الحاكم الأموي المستبد عبد الملك بن مروان بعدما أصيب بمرض لم يستطع الأطباء معالجته، في سنة ٨٦ هـ، فقد نصَّ الطبري على ذلك بقوله: «ثم دخلت سنة ست وثمانين، فمما كان فيها من ذلك هلاك عبد الملك بن مروان وكان مهلكه في النصف من شوال منها. وعن أبي معشر قال: تُوفِّي عبد الملك بن مروان يوم الخميس للنصف من شوال سنة ٨٦»^(٢).

ولما هلك عبد الملك سئل عنه الحسن البصري فقال: «ما أقول في رجل كان الحجاج سيئة من سيئاته»^(٣).

١ - مناقب آل أبي طالب (عليه السلام): ابن شهر آشوب، ج ٤، ص: ١٣٢. الصواعق المحرقة: ابن حجر الهيتمي، المكتبة العصرية، بيروت، ص ٢٤٧. ينابيع المودة: القندوزي الحنفي، ج ٣، ص ٤٣٧.

٢ - تاريخ الطبري: محمد بن جرير الطبري، ج ٥، ص ٢١٠، (أحداث سنة ٨٦ هـ).

٣ - مروج الذهب: المسعودي، ج ٣، ص ٩٦.

وأوصى عبد الملك بالحكم بعد وفاته لابنه الوليد، وأوصاه بالمجرم الحجاج خيراً، وقال له: «وانظر الحجاج فأكرمه، فإنَّه هو الذي وطَّأ لكم المنابر، وهو سيفك يا وليد ويدك على من ناواك، فلا تسمعنَّ فيه قول أحد وأنت إليه أحوج منه إليك، وادعُ الناس إذا مِتُّ إلى البيعة، فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا»^(١).

فهذا هو عبد الملك حتى وهو في آخر لحظات عمره يوصي بالمجرم الحجاج خيراً، وإكرامه على ما فعله من جرائم منكرة بحق الأبرياء، كما أنه يوصيه باتباع سياسة العصا الغليظة ضد كل من يرفض مبايعته، وقطع عنقه بالسيف إن لم يبايع!

وأضاف عبد الملك في وصاياه لابنه الوليد: «إذا أنا مِتُّ فشمروا نائز، والبس جلد النمر، وضع سيفك على عاتقك، فمن أبدى ذات نفسه لك فاضرب عنقه، ومن سكت مات بدائه»^(٢).

قلت: «لو لم يكن من مساوي عبد الملك إلا الحجاج وتوليته إياه على المسلمين وعلى الصحابة يهينهم ويذلهم قتلاً وضرباً وشتماً وحبساً، وقد قتل من الصحابة وأكابر التابعين ما لا يحصى فضلاً عن غيرهم، وختم في عنق أنس وغيره من الصحابة ختماً يريد بذلك ذلهم فلا رحمه الله ولا عفا عنه»^(٣). وبهلاك عبد الملك بن مروان انطوت صفحة مظلمة من صفحات التاريخ الإسلامي، لتبدأ صفحة مظلمة أخرى بتولي ابنه الوليد مقاليد الحكم.

١ - تاريخ الخلفاء: السيوطي، ص ٢٥٠.

٢ - تاريخ الخلفاء: السيوطي، ص ٢٥٠. مروج الذهب: المسعودي، ج ٣، ص ١٣٤.

٣ - تاريخ الخلفاء: السيوطي، ص ٢٥٠.

الوليد بن عبد الملك بن مروان

(٨٦ - ٩٦ هـ / ٧٠٧ - ٧١٥ م)

بويح الوليد بن عبد الملك بدمشق في اليوم الذي تُوفي فيه عبد الملك، وتُوفي الوليد بدمشق للنصف من جمادى الآخرة من سنة ست وتسعين، فكانت ولايته تسع سنين وثمانية أشهر وليتين، وهلك وهو ابن ثلاث وأربعين سنة، وكان يكنى بأبي العباس^(١).

قال ابن الأثير: «فلما دفن عبد الملك بن مروان انصرف الوليد عن قبره، فدخل المسجد وصعد المنبر واجتمع إليه الناس فخطبهم، وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، والله المستعان على مصيبتنا لموت أمير المؤمنين، والحمد لله على ما أنعم علينا من الخلافة، قوموا فبايعوا.

وكان أول من عزى نفسه وهنأها، وكان أول من قام لبيعته عبد الله بن همام السلولي، فبايعه ثم قام الناس لبيعته»^(٢).

واتفق أهل السير والتراجم على أن الوليد «كان جباراً عنيداً»^(٣)، وأضاف المسعودي: «ظلوماً غشوماً»^(٤)، وقال عنه السيوطي: «وكان الوليد جباراً ظالماً»^(٥).

١ - مروج الذهب: المسعودي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م، ج ٣، ص ١٣٠.

٢ - الكامل في التاريخ: ابن الأثير، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ج ٤، ص ٢٤٠. البداية والنهاية: ابن كثير، ج ٦، ص ٤٣٩.

٣ - الكامل في التاريخ: ابن الأثير، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ج ٤، ص ٢٤٠.

٤ - مروج الذهب: المسعودي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م، ج ٣، ص ١٣١.

٥ - تاريخ الخلفاء: السيوطي، المكتبة العصرية، طبع عام ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، ص ٢٥٣.

وقد سَلَطَ الوليد على رقاب المسلمين أعتى الولاة وأقساهم، وأشدّهم إجراماً وتنكيلاً، فكانت الشام تخضع لسلطته المباشرة، وفي العراق أبقى الطاغية الحجاج والياً عليهم، وفي الحجاز كان عثمان بن حيان، وفي اليمن محمد بن يوسف، وفي مصر قرّة بن شريك؛ وهؤلاء الولاة كانوا معروفين بشدة الظلم والبطش بالناس في زمانه، وأشدّهم فتكاً بالأبرياء، فملأوا بلاد المسلمين ظلماً وجوراً.

روى ابن شوذب قال: «قال عمر بن عبدالعزيز: الوليد بن عبد الملك بالشام، والحجاج بن يوسف بالعراق، ومحمد بن يوسف باليمن، وعثمان بن حيان بالحجاز، وقرّة بن شريك بمصر: امتلأت الأرض والله جوراً»^(١). وتكشف هذه الأوصاف التي أطلقها عليه المعاصرون له والمؤرخون عنه ما كان يتصف به الوليد من بطش وقسوة وشدة وظلم وتعسف في تعامله مع الناس، وقتله لمن يخالفه أو يعارضه كما هي عادة حكام الجور والظلم في كل زمان ومكان.

تهديد الناس بالقتل

كان من عادة الوليد عندما يخطب في مكان يتوعد الناس ويهددهم بالقتل، فقد ذكر المؤرخ اليعقوبي ما نصه:

«وقسم الوليد بين أهل المدينة قسمًا كثيرة، وصلى بها الجمعة، وصف بها الجند صفين، وصلى في دراعة وقلنسوة في غير رداء، وخطب قاعدًا، وتوعد أهل المدينة فقال: إنكم أهل الخلاف والمعصية، فقام إليه قوم فكلّموه، وكلمه أبو بكر بن عبد الرحمن، فقال: ما نجهل ما تقولون، ولكن في النفوس ما فيها، وصار إلى مكة فخطب بها خطبة بتراء ذكر فيها الوعيد والتهديد»^(٢).

١ - تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج ٣٨، ص ٣٤٣. تاريخ الخلفاء: السيوطي، ص ٢٥٣ - ٢٥٤.
٢ - تاريخ اليعقوبي: دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠، لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م، ج ٢، ص ١٩٩.

بل إنه توعد من يخالفه بالقتل في أول خطبة ألقاها حيث قال فيها: «أيها الناس، عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة، فإن الشيطان مع الفرد. أيها الناس، من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه، ومن سكت مات بدائه ثم نزل»^(١).

ولم يسلم من بطشه حتى علماء بلاطه، فقد روى محبوبه أنه كان يقتل حتى علماء البلاط! فقد انتقد فقيه اسمه زياد بن جارية التميمي تأخير الصلاة فقطع رأسه! «دخل مسجد دمشق وقد تأخرت صلاتهم الجمعة بالعصر، فقال: والله ما بعث الله نبياً بعد محمد ﷺ أمركم بهذه الصلاة! قال: فأخذ فأدخل الخضرء (قصر الوليد) فقطع رأسه! وذلك في زمن الوليد بن عبد الملك»^(٢).

وقال القرطبي في تفسيره: «كان الوليد بن عبد الملك يأمر جواسيس يتجسسون الخلق يأتونه بالأخبار، قال: فجلس رجل منهم في حلقة رجاء بن حياة فسمع بعضهم يقع في الوليد فرفع ذلك إليه فقال: يا رجاء! أذكر بالسوء في مجلسك ولم تُغيّر؟! فقال: ما كان ذلك يا أمير المؤمنين، فقال له الوليد: قل الله الذي لا إله إلا هو! قال: الله الذي لا إله إلا هو، فأمر الوليد بالجاسوس فضربه سبعين سوطاً! فكان يلقي رجاء فيقول: يا رجاء، بك يستسقى المطر وسبعون سوطاً في ظهري! فيقول رجاء: سبعون سوطاً في ظهر ك خير لك من أن يقتل رجل مسلم»^(٣).

وروا قتله لخبیب بن عبدالله بن الزبير! «كان خبيب بن عبدالله بن الزبير يحدث أحاديث من أحاديث الفتن، فكتب الوليد بن عبد الملك إلى

١- الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ج ٤، ص ٢٤٠.

٢- تاريخ دمشق: ١٩ / ١٣٦، تهذيب الكمال: ٩ / ٤٤٠، الإصابة: ٢ / ٥٣٨.

٣- تفسير القرطبي: ١٠ / ١٩٠.

عمر بن عبدالعزيز (وهو على المدينة أمير): أن خذ خبيئاً واضربه واصبب على رأسه جرة من ماء، وذلك في الشتاء! فمات من ذلك!«^(١).
وروا قتله لابن عروة بن الزبير، فقد جاء أنه «قدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك ومعه ابنه محمد، وكان من أحسن الناس وجهًا، فدخل يومًا على الوليد في ثياب وشي وله غدیرتان، وهو يضرب بيده فقال الوليد: هكذا تكون فتیان قريش فعانه! (أصابه بالعين) فخرج متوسنًا (نعسان) فوقع في إصطبل الدواب، فلم تزل الدواب تطؤه بأرجلها حتى مات! ثم وقعت الأكلة (ورم) في رجل عروة، فبعث له الوليد الأطباء فقالوا: إن لم يقطعها سرت إلى جسده فهلك! فنشروها بالمنشار»^(٢).

اللحن في الكلام

عرف الوليد بن عبد الملك باللحن في الكلام، فكان لا يجيد النحو ولا أصول اللغة وقواعدها، حتى إن أباه عبد الملك لم يكن يراه أهلاً للخلافة لشدة لحنه في الكلام، وجهله في البلاغة والفصاحة.
قال روح بن زنباع: «دخلت يومًا على عبد الملك وهو مهموم، فقال: فكرت فيمن أوليه أمر العرب فلم أجده، فقلت: أين أنت من الوليد؟ قال: إنه لا يحسن النحو، فسمع ذلك الوليد، فقام من ساعته وجمع أصحاب النحو وجلس معهم في بيت ستة أشهر، ثم خرج وهو أجهل مما كان!»^(٣).
وقال أبو الزناد: كان الوليد لحناً. قال على منبر المسجد النبوي: يا أهل المدينة. بالضم، مع أن القاعدة النحوية تقتضي نصبه لأنه منادى مضاف.

١ - تصحيقات المحدثين: حسن العسكري: ٤٤٣ / ٢.

٢ - فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٥ / ٤١٦، تهذيب الكمال: المزي: ١١٢/٢٦.

٣ - تاريخ الخلفاء: السيوطي، المكتبة العصرية، طبع عام ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، ص ٢٥٣.

وقال أبو عكرمة الضبي: قرأ الوليد على المنبر «يا ليتها كانت القاضية»
 وضم التاء، وتحت المنبر عمر بن عبدالعزيز وسليمان بن عبد الملك فقال
 سليمان: ودتها والله^(١).

من سيرته وأفعاله

نقل المؤرخون: «أن الوليد بن عبد الملك كان كثير النكاح والطلاق، يقال:
 إنه تزوج ثلاثاً وستين امرأة غير الإماء»^(٢).

وهو الذي بنى مسجد دمشق الكبير المعروف بالجامع الأموي، كما أمر
 بتوسيع المسجد النبوي وبنائه^(٣)، فأنفق عليهما الأموال الجلييلة، وكان المتولي
 للنفقة على ذلك عمر بن عبدالعزيز^(٤).

وفي فترة حكمه كان قوة فتوحات وانتصارات المسلمين في حروبهم مع
 الكفار، ففي عهده اتسع نطاق الحكم الأموي من الشرق إلى الغرب،
 ونتيجة للاستقرار الذي كان سائداً في البلاد أبان حكمه، استطاع أن يواصل
 الفتوحات التي بدأها الخلفاء السابقون، ولذلك اتسعت دائرة سلطته من
 ناحية الشرق والغرب، والتحقت مناطق من الهند وكابل وكاشغر وطوس
 ومناطق مختلفة واسعة أخرى بالبلاد الإسلامية الشاسعة، وامتدت رقعة
 فتوحاته إلى الأندلس، وانهزمت جيوش امبراطورية الأندلس أمام القوات
 التي تحت قيادة موسى بن نصير قائد الجيش الإسلامي وأصبحت هذه
 البلاد بيد المسلمين^(٥).

- ١ - تاريخ الخلفاء: السيوطي، المكتبة العصرية، طبع عام ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، ص ٢٥٣.
- ٢ - موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام محمد الباقر عليه السلام، باقر شريف القرشي، ج ١٨، ص ٤٢.
- ٣ - تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ١٩٨. تاريخ الخلفاء: السيوطي، ص ٢٥٤.
- ٤ - مروج الذهب: المسعودي، ج ٣، ص ١٣١.
- ٥ - سيرة الأئمة: مهدي البيشواني، ص ٢٧٥.

وذكر المؤرخون أن ما تمّ من فتوحات عظيمة وانتصارات كبيرة حققها الجيش الإسلامي أمام الجيوش الأخرى التي انهزمت أمام قوة المسلمين وحماسهم، وكان منها الأندلس، والهند^(١)، لكن هذه الفتوحات كان هدفها الأساس التوسع والسيطرة وزيادة مناطق النفوذ ومنسوب القوة والقدرة، ولم تكن بهدف نشر الإسلام وإعلاء كلمة التوحيد، كما يزعم بعض المؤرخين.

بغضه لأهل البيت عليهم السلام

كان الوليد بن عبد الملك ناصبياً يبغض علياً عليه السلام بغضاً شديداً! فقد نقل عنه الجاحظ أنه: «صعد المنبر فقال: علي بن أبي طالب لُصُّ ابن لُصٍّ، صُب عليه شؤبوب عذاب! فقال أعرابي كان تحت المنبر: ما يقول أميركم هذا!»^(٢)، ونسبه في الغارات: إلى عامله خالد بن عبدالله القسري، قال: «فقام إليه أعرابي فقال: والله ما أعلم من أي شيء أعجب! من سبك علي بن أبي طالب أم من معرفتك بالعربية؟!»^(٣).

وكان الوليد يتعامل مع أهل البيت بالقسوة والشدة والإهانة، فقد أَمَرَ واليه على المدينة بإهانة الحسن المثنى (رحمه الله) فعَلَّمَه الإمام عليه السلام دعاءً فأنجاه الله منه.

قال ابن حجر في فتح الباري: «كتب الوليد بن عبد الملك إلى عثمان بن حيان (واليه على المدينة): انظر الحسن بن الحسن فاجلده مئة جلدة وأوقفه للناس، قال: فبعث إليه فجئ به، فقام إليه علي بن الحسين فقال: يا بن عم تكلم بكلمات الفرج يفرج الله عنك، فذكر حديث علي باللفظ الثاني

١ - الكامل في التاريخ: ابن الأثير، ج ٤، ص ٢٩٢. تاريخ الخلفاء: السيوطي، ص ٢٥٤ - ٢٥٥.

٢ - البيان والتبيين: الجاحظ، ص ٣١٧.

٣ - الغارات: إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي، ج ٢، ص ٨٤٣.

فقالها، فرفع إليه عثمان رأسه فقال: أرى وجه رجل كُذِبَ عليه! خلوا سبيله فسأكتب إلى أمير المؤمنين بعذره فأطلق^(١)، وفي السلسلة العلوية: أن أخاه سليمان بن عبد الملك قتل الحسن المثنى بالسم! على عادة خلفاء بني أمية^(٢). وهذا يكشف عن أن الوليد بن عبد الملك كان يتعامل مع أهل البيت بمنتهى القسوة والشدة والبطش، ويمعن في إذلالهم وإهانتهم وجسهم وقتلهم.

قتل سعيد بن جبير

حدث في عهد الوليد بن عبد الملك قتل التابعي الجليل سعيد بن جبير صبراً على يد الحجاج بن يوسف الثقفي، وكان قتله (سنة ٩٤ هـ)^(٣)، ويعد هذا الحدث من أبرز الأحداث الجسام التي هزت العالم الإسلامي برمته، وقد تحدثنا عن ذلك بالتفصيل عند الحديث عن سيرته في الفصل السادس من الباب الثالث، فراجع.

ولم يهنأ الحجاج بعد ذبحه وقتله ظمناً لسعيد بن جبير بحياته، بل أصيب بالمرض الشديد، وأخذ سعيد بن جبير يلاحقه في منامه حتى كان لا يقدر على النوم، وهلك بعد خمس عشرة ليلة من قتله لسعيد بن جبير.

اغتيال الإمام زين العابدين عليه السلام

عاصر الإمام زين العابدين عليه السلام معظم أيام الوليد بن عبد الملك في الحكم، إذ هلك الوليد سنة ٩٦ هـ بينما استشهد الإمام زين العابدين عليه السلام سنة ٩٥ هـ، وكان تعامله سيئاً جداً مع الإمام زين العابدين عليه السلام، وكان يحقد عليه ويتوجس منه خيفة، وقد أجبره على الخروج في استقباله، وكان يرى أن

١ - فتح الباري: ابن حجر، ج ١١، ص ١٢٤.

٢ - جواهر التاريخ: الشيخ علي الكوراني، ج ٤، ص ٤١٦.

٣ - مروج الذهب: المسعودي، ج ٣، ص ١٣٦.

حكمه لن يستمر مع وجود الإمام حيًّا، فقرر قتله للتخلص منه، ودس إليه السم فقتله؛ وقد انتقم الله منه سريعًا، فقصف عمره فهلك بعد فترة وجيزة من شهادة الإمام.

ويكفي الوليد خزيًا وعارًا ما قام به من دس السم للإمام زين العابدين (عليه السلام)؛ وهذه الجريمة تعد أمّ الجرائم، وكبيرة الكبائر، وأكثرها بشاعة وجرمًا وظلمًا بحق إمام من أئمة المسلمين، وأحدث ذلك ضجة عظيمة في بلاد المسلمين وخصوصاً في المدينة المنورة وما حولها.

وكان الوليد هو آخر الحكام الذين عاصروهم الإمام (عليه السلام) أيام إمامته، وعانى منهم معاناة شديدة، وتعرض هو وأهل بيته وأصحابه وشيعته ومحبيه للظلم والجور والقهر في ظل حكمهم الظالم والجائر.

الفصل الثاني

المواقف السياسية للإمام زين العابدين عليه السلام

- ١ - الثورات والانتفاضات وموقفه منها.
- ٢ - موقفه من علماء البلاط الأموي.
- ٣ - موقفه من حكام الظلم والجور.



١ - الثورات والانتفاضات وموقفه منها

بعد أن انتهت واقعة كربلاء باستشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته وأصحابه في يوم عاشوراء سنة ٦١ هـ، بدأت ردود الأفعال على ما حدث فيها من مأس وفجائع مؤلمة، فاندلعت الثورات والانتفاضات والاحتجاجات المتتالية ضد الحكم الأموي في أهم الأقاليم الإسلامية، ونشير إلى أبرزها وموقف الإمام زين العابدين (عليه السلام) منها، وهي:

أولاً - ثورة التوابين:

اندلعت في الكوفة، وكانت رد فعل مباشر لقتل الإمام الحسين (عليه السلام)، وانطلقت من شعور التوابين بالإثم لتركهم نصرته الحسين (عليه السلام)، بعد أن كتبوا إليه واستدعوه للقدوم إلى الكوفة، ورأوا أن يغسلوا عارهم بالانتقام من قتلة الحسين (عليه السلام)، وكانت المواجهة مع الأمويين في سنة ٦٥ للهجرة. وقاد هذه الثورة وجهاء وزعماء الشيعة من أهل الكوفة ممن تسببت دعوتهم إلى الإمام الحسين (عليه السلام) عبر كتبهم ورسولهم إلى قدومه للكوفة، وأدّى تخاذلهم عن نصرته والدفاع عنه إلى وقوع حادثة كربلاء الدموية، وبذلك فقد ارتكبوا ذنباً كبيراً، ومعصية عظيمة، وكانوا يريدون أن يغسلوا عار هذا الذنب بدمائهم، فأبدوا ندماً كبيراً لما اقترفوه من خطيئة كبيرة بتخاذلهم عن نصرته الحسين؛ ولذا سميت ثورتهم بثورة التوابين.

ودعا التوابون الناس إلى الاجتماع والنصرة تحت شعار: الدعوة العامة لأهل البيت، والثأر من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام)، فكان عبيد الله بن عبد الله يحثُّ الناس على الثورة قائلاً لهم: «أنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه والطلب بدماء أهل بيته، وإلى جهاد المحلّين والمارقين فإن قتلنا فما عند الله خير للأبرار، وإن ظهرنا رددنا هذا الأمر إلى أهل بيت نبينا»^(١).

وكانوا يعلنون أنهم إذا انتصروا على الجيش الأموي فسيسلمون الأمور إلى أهل البيت، فأوضحوا أسباب ثورتهم قائلين: «إننا لو انتصرنا فسنرد الأمر إلى أهل بيت نبينا الذين آتانا الله من قبلهم بالنعمة والكرامة»^(١).

وروى المؤرخون تفاصيل استعداد التوابين للثورة على الحكم الأموي منذ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام سنة ٦١ هـ، وهيئة الظروف اللازمة لمواجهة الجيش الأموي، وكسب الأنصار للقتال والمواجهة، ومن هؤلاء المؤرخين الطبري، وإليك نص روايته:

«لَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، وَرَجَعَ ابْنُ زِيَادٍ مِنْ مَعْسَكَرِهِ بِالنَّخِيلَةِ^(٢) فَدَخَلَ الْكُوفَةَ، تَلَاَقَتِ الشَّيْعَةُ بِالتَّلَاوِمِ وَالتَّنَدُّمِ، وَرَأَتْ أَنَّهَا قَدْ أَخْطَأَتْ خَطَأً كَبِيرًا بِدَعَائِهِمُ الْحُسَيْنَ إِلَى النَّصْرَةِ وَتَرْكِهِمْ إِيَّاجَتِهِ، وَمَقْتَلَهُ إِلَى جَانِبِهِمْ لَمْ يَنْصُرُوهُ، وَرَأَوْا أَنَّهُ لَا يَغْسِلُ عَارِهِمْ وَالْإِثْمَ عَنْهُمْ فِي مَقْتَلِهِ إِلَّا بِقَتْلِ مَنْ قَتَلَهُ أَوْ الْقَتْلَ فِيهِ، فَفَزَعُوا بِالْكُوفَةِ إِلَى خَمْسَةِ نَفَرٍ مِنْ رُؤُوسِ الشَّيْعَةِ: إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ صَرْدِ الْخَزَاعِيِّ؛ وَكَانَتْ لَهُ صَحْبَةٌ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِلَى الْمُسَيَّبِ بْنِ نَجْبَةَ الْفَزَارِيِّ؛ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ وَخِيَارِهِمْ، وَإِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ نَفِيلِ الْأَزْدِيِّ، وَإِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَالِ التِّيمِيِّ، وَإِلَى رِفَاعَةَ بْنِ شَدَّادِ الْبَجَلِيِّ.

ثُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ النَّفَرَ الْخَمْسَةَ اجْتَمَعُوا فِي مَنْزِلِ سُلَيْمَانَ بْنِ صَرْدٍ وَكَانُوا مِنْ خِيَارِ أَصْحَابِ عَلِيٍّ، وَمَعَهُمْ أَنْاسٌ مِنَ الشَّيْعَةِ وَخِيَارِهِمْ وَوُجُوهُهُمْ. قَالَ: فَلَمَّا اجْتَمَعُوا إِلَى مَنْزِلِ سُلَيْمَانَ بْنِ صَرْدٍ بَدَأَ الْمُسَيَّبُ بْنُ نَجْبَةَ الْقَوْمَ بِالْكَلَامِ، فَتَكَلَّمَ فَحَمْدَ اللَّهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّا قَدْ ابْتُلِينَا بِطُولِ الْعُمُرِ وَالتَّعَرُّضِ لِأَنْوَاعِ الْفِتَنِ، فَتَرَبَّغْنَا إِلَى رَبِّنَا أَلَّا يَجْعَلَنَا مِمَّنْ يَقُولُ لَهُ غَدًا: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ

١- تاريخ الطبري: ج ٤، ص ٤٦٤. الفتوح: ابن الأعمش الكوفي: ج ٦، ص ٨٢.

٢- معسكر الكوفة بالقرب منها وفي طريق الشام.

وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ^(١)، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ: «الْعُمْرُ الَّذِي أَعَذَّرَ اللَّهُ فِيهِ إِلَى ابْنِ آدَمَ سِتُّونَ سَنَةً»^(٢)، وَلَيْسَ فِينَا رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ بَلَغَهُ، وَقَدْ كُنَّا مَغْرَمِينَ بِتَرْكِه أَنْفُسَنَا وَتَقْرِيطِ شِيعَتِنَا، حَتَّى بَلََا اللَّهُ أَحْيَارَنَا فَوَجَدْنَا كَاذِبِينَ فِي مَوْطِنِينَ مِنْ مَوَاطِنِ ابْنِ ابْنَةِ نَبِيِّنا ﷺ، وَقَدْ بَلَغْتَنَا قَبْلَ ذَلِكَ كِتْبُهُ وَقَدِمَتْ عَلَيْنَا رُسُلُهُ، وَأَعَذَّرَ إِلَيْنَا يَسْأَلُنَا نَصْرَهُ عَوْدًا وَبَدَاءً، وَعِلَانِيَةً وَسِرًّا، فَبَخَلْنَا عَنْهُ بِأَنْفُسِنَا، حَتَّى قُتِلَ إِلَى جَانِبِنَا؛ لَا نَحْنُ نَصْرُنَاهُ بِأَيْدِينَا، وَلَا جَادِلُنَا عَنْهُ بِأَلْسِنَتِنَا، وَلَا قَوَّيْنَاهُ بِأَمْوَالِنَا، وَلَا طَلَبْنَا لَهُ النُّصْرَةَ إِلَى عَشَائِرِنَا!! فَمَا عَذَرْنَا إِلَى رَبِّنَا وَعِنْدَ لِقَاءِ نَبِينَا ﷺ، وَقَدْ قَتَلَ فِينَا وَلَدَهُ وَحَبِيبَهُ وَذَرِيَّتَهُ وَنَسْلَهُ؟! لَا، وَاللَّهِ لَا عَذْرَ دُونَ أَنْ تَقْتُلُوا قَاتِلَهُ وَالْمَوَالِينَ عَلَيْهِ، أَوْ تُقْتَلُوا فِي طَلَبِ ذَلِكَ، فَعَسَى رَبُّنَا أَنْ يَرْضَى عَنَّا عِنْدَ ذَلِكَ، وَمَا أَنَا بَعْدَ لِقَائِهِ لِعَقُوبَتِهِ بِأَمْنٍ. أَيُّهَا الْقَوْمُ، وَلُّوا عَلَيْكُمْ رَجُلًا مِنْكُمْ؛ فَإِنَّهُ لَا بَدَّ لَكُمْ مِنْ أَمِيرٍ تَفْزَعُونَ إِلَيْهِ، وَرَايَةَ تَحْفُوقٍ بِهَا، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ.

قال: فبدر القوم رفاعه بن شدَّاد بعد المسيب الكلام، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ، ثم قال:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ هَدَاكَ لِأَصُوبِ الْقَوْلِ، وَدَعَوْتَ إِلَى أَرْشَادِ الْأُمُورِ، بَدَأَتْ بِحَمْدِ اللَّهِ وَالشَّاءِ عَلَيْهِ وَالصَّلَاةِ عَلَى نَبِيِّه ﷺ، وَدَعَوْتَ إِلَى جِهَادِ الْفَاسِقِينَ، وَإِلَى التَّوْبَةِ مِنَ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ، فَمَسْمُوعٌ مِنْكَ مُسْتَجَابٌ لَكَ مَقْبُولٌ قَوْلُكَ، قُلْتَ: وَلُّوا أَمْرَكُمْ رَجُلًا مِنْكُمْ تَفْزَعُونَ إِلَيْهِ وَتَحْفُوقُونَ بِرَايَتِهِ، وَذَلِكَ رَأْيٌ قَدْ رَأَيْنَا مِثْلَ الَّذِي رَأَيْتَ، فَإِنْ تَكُنْ أَنْتَ ذَلِكَ الرَّجُلَ تَكُنْ عِنْدَنَا مَرْضِيًّا، وَفِينَا مَتَنَصِّحًا فِي جَمَاعَتِنَا مَحَبًّا، وَإِنْ رَأَيْتَ وَرَأَى أَصْحَابُنَا ذَلِكَ

١ - فاطر: ٣٧

٢ - نهج البلاغة، الحكمة ٣٢٦.

ولينّا هذا الأمر شيخ الشيعة، صاحب رسول الله ﷺ وذا السابقة والقدم سليمان بن صرد، المحمود في بأسه ودينه، والموثوق بحزمه، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

قال: ثم تكلم عبدالله بن وال وعبدالله بن سعد، فحمدا ربّهما وأثنيا عليه، وتكلّما بنحو من كلام رفاعة بن شدّاد، فذكر المسيّب بن نجبة بفضلّه، وذكر سليمان بن صرد بسابقته ورضاهما بتوليته.

فقال المسيّب بن نجبة: أصبتم ووفّقتم، وأنا أرى مثل الذي رأيتم، فولّوا أمركم سليمان بن صرد^(١).

وذكر الطبري في رواية أخرى: كان أوّل ما ابتدعوا به من أمرهم سنة ٦١ هـ، وهي السنة التي قُتل فيها الحسين (رضي الله عنه)، فلم يزل القوم في جمع آلة الحرب والاستعداد للقتال، ودعا الناس في السرّ من الشيعة وغيرها إلى الطلب بدم الحسين، فكان يجيهم القوم بعد القوم والنفر بعد النفر، فلم يزالوا كذلك وفي ذلك حتّى مات يزيد بن معاوية يوم الخميس لأربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأوّل سنة ٦٤ هـ، وكان بين قتل الحسين وهلاك يزيد بن معاوية ثلاث سنين وشهران وأربعة أيّام، وهلك يزيد وأمير العراق عبيدالله بن زياد وهو بالبصرة، وخليفته بالكوفة عمرو بن حريث المخزومي.

فجاء إلى سليمان أصحابه من الشيعة، فقالوا: قد مات هذا الطاغية والأمر الآن ضعيف، فإن شئت وثبنا على عمرو بن حريث فأخرجناه من القصر، ثم أظهرنا الطلب بدم الحسين وتبّعنا قتلته ودعونا الناس إلى أهل هذا البيت المستأثر عليهم المدفوعين عن حقّهم، فقالوا في ذلك فأكثرُوا.

فقال لهم سليمان بن صرد: رويدًا لا تعجلوا، إنِّي قد نظرت فيما تذكرون، فرأيت أنَّ قتلة الحسين هم أشراف أهل الكوفة وفرسان العرب، وهم المطالبون بدمه، ومتى علموا ما تريدون وعلموا أنَّهم المطلوبون كانوا أشدَّ عليكم، ونظرت فيمن تبغني منكم فعلمت أنَّهم لو خرجوا لم يدركوا ثأرهم، ولم يشفوا أنفسهم، ولم ينكوا في عدوِّهم، وكانوا لهم جزرًا، ولكن بُشوا دعائكم في المصر فادعوا إلى أمركم هذا شيعتكم وغير شيعتكم، فإنِّي أرجو أن يكون الناس اليوم حيث هلك هذا الطاغية، أسرع إلى أمركم استجابة منهم قبل هلاكه. ففعلوا، وخرجت طائفة منهم دعاة يدعون الناس، فاستجاب لهم ناسٌ كثير بعد هلاك يزيد بن معاوية أضعاف من كان استجاب لهم قبل ذلك^(١).

وقد اعترف سليمان بن صرد الخزاعي (هو وأصحابه) بالتقصير والتواني والخذلان عن نصرة الإمام الحسين (عليه السلام) بعدما دعوه إليهم، فقال ما نصه: «أُثْنِي عَلَى اللَّهِ خَيْرًا، وَأَحْمَدُ آلَاءَهُ وَبِلَاءَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي وَاللَّهِ، لَخَائِفٌ إِلَّا يَكُونَ آخِرُنَا إِلَى هَذَا الدَّهْرِ الَّذِي نَكُوتُ فِيهِ الْمَعِيشَةَ، وَعَظُمَتْ فِيهِ الرِّزْيَةُ، وَشَمِلَ فِيهِ الْجَوْرُ أُولَى الْفَضْلِ مِنْ هَذِهِ الشَّيْعَةِ، لِمَا هُوَ خَيْرٌ؛ إِنَّا كُنَّا نَمُدُّ أَعْنَاقَنَا إِلَى قُدُومِ آلِ نَبِيِّنَا، وَنَمْنِيهِمُ النَّصْرَ، وَنَحْتُمُهُمْ عَلَى الْقُدُومِ، فَلَمَّا قَدِمُوا وَبَيْنَا وَعَجَزْنَا، وَادَّهَنَّا، وَتَرَبَّصْنَا، وَانْتَظَرْنَا مَا يَكُونُ حَتَّى قُتِلَ فِيْنَا وَلَدُ نَبِيِّنَا، وَسُلَالَتُهُ، وَعُصَارَتُهُ، وَبَضْعَةٌ مِنْ لَحْمِهِ وَدَمِهِ، إِذْ جَعَلَ يَسْتَصْرِخُ فَلَا يُصْرَخُ، وَيَسْأَلُ النَّصْفَ فَلَا يُعْطَاهُ، انْخَذَهُ الْفَاسِقُونَ غَرَضًا لِلنَّبْلِ، وَدَرِيَّةً لِلرَّمَاكِ حَتَّى أَقْصَدُوهُ، وَعَدَوْا عَلَيْهِ فَسَلَبُوهُ. أَلَا انْهَضُوا فَقَدْ سَخِطَ رَبُّكُمْ، وَلَا تَرْجِعُوا إِلَى الْحَلَائِلِ وَالْأَبْنَاءِ حَتَّى يَرْضَى اللَّهُ، وَاللَّهُ، مَا أَظُنُّهُ رَاضِيًا دُونَ أَنْ تَنَاجِزُوا مَنْ قَتَلَهُ، أَوْ تُبَيِّرُوا. أَلَا لَا تَهَابُوا الْمَوْتَ، فَوَاللَّهِ، مَا

هابه امرؤ قطُّ إلا ذلّ، كونوا كالألى من بني إسرائيل، إذ قال لهم نبيهم: ﴿إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾^(١)، فما فعل القوم؟ جثوا على الركب والله، ومدّوا الأعناق، ورَضُوا بالقضاء حتّى حينَ علموا أنّه لا ينجيهم من عظيم الذنب إلا الصبر على القتل، فكيف بكم لو قد دُعيتُم إلى مثل ما دُعي القوم إليه! اشْحَذُوا السيوف، وركّبوا الأسنة، ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّن قُوَّةٍ وَمِنْ رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾^(٢)، حتّى تدعوا حينَ تُدْعَو وتُستنفرون^(٣).

وكان ممن استجاب لدعوة التوابين الشيعة في المدائن والبصرة، إذ كتب سليمان إلى سعد بن حذيفة بالمَدائن وكتب إلى المثنى بن مخزومة العبدي في البصرة فأعلنوا استجابتهم لدعوته، إلا أنهم لم يتمكنوا - وفقاً للروايات المعتبرة - من المشاركة فيها. وبعد موت يزيد سنة ٦٤ هـ اتسع نشاط التّوابين أكثر، وأصبحت الكوفة مهيةً للثورة ضدّ حكومة بني أمية، وبعد ستة أشهر من هلاك يزيد وعندما كان أصحاب سليمان بن صرد يعدّون أنفسهم للثورة، دخل المختار بن أبي عبيدة الكوفة - وكان قبل ذلك يتعاون لفترة مع عبدالله بن الزبير ثم اعتزل عنه - ولكنّه رفض قيادة سليمان بن صرد، وادّعى أنّه غير عارف بفنون الحرب، وأنّه سيعرّض الناس للقتل^(٤)، وبذلك دعا الناس لقيادته بهدف الثأر للإمام الحسين (عليه السّلام)، وفي جوابه للذين كانوا ينهونه عن هذا الأمر طرح نفسه بعنوان أنّه ممثّل المهدي محمّد بن الحنفية للثأر للإمام^(٥).

١ - البقرة: ٥٤.

٢ - الأنفال: ٦٠.

٣ - تاريخ الطبري: ج ٤ ص ٤٢٨. الكامل في التاريخ: ج ٤ ص ١٥٩. الغارات: ج ٢ ص ٧٧٤.

٤ - تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٥٦٠.

٥ - تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٥٧٩، أنساب الأشراف: ج ٦ ص ٣٨٠، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٦٣٣.

وهكذا فقد ظهر الانشقاق بين أنصار الثورة ضد الحكم الأموي، فكان معظمهم مع سليمان بن صرد لكنَّ عددًا منهم انضمُّوا إلى المختار^(١).

وعلى أيِّ حال، فقد بدأت نهضة التَّوَّابين بقيادة سليمان بن صرد حركتها في سنة ٦٥ هـ بهدف الإطاحة بحكومة الشام، في ظلِّ الظروف التي كانت فيها الكوفة تحت سيطرة عبدالله بن الزبير، وأمر سليمان أنصاره بأن يجتمعوا في النخيلة استعدادًا لقتال جيش الشام، إلَّا أنَّه بعد وصوله إلى هذا المعسكر وجد أنَّه لم يبقَ من الذين كانوا بايعوه (أي حوالي ١٦ ألف شخصٍ) سوى أربعة آلاف!^(٢). فسار سليمان مع ما تبقَّى من أنصاره من النخيلة إلى كربلاء، واستغفروا الله عند قبر الإمام الحسين (عليه السَّلام) بعد أن اعترفوا بذنوبهم وتعاهدوا على أن يواصلوا طريقه، وقد كتب الطبري في هذا المجال قائلاً:

«لَمَّا انْتَهَى سُلَيْمَانُ بْنُ صَرْدٍ وَأَصْحَابُهُ إِلَى قَبْرِ الْحُسَيْنِ، نَادَوْا صِيحَةً وَاحِدَةً: يَا رَبِّ، إِنَّا قَدْ خَذَلْنَا ابْنَ بَنَتِ نَبِيِّنَا، فَاعْفِرْ لَنَا مَا مَضَى مِنَّا، وَثُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، وَارْحَمْ حَسِينًا وَأَصْحَابَهُ الشَّهَدَاءَ الصِّدِّيقِينَ، وَإِنَّا نَشْهَدُكَ يَا رَبِّ أَنَّا عَلَى مِثْلِ مَا قَتَلُوا عَلَيْهِ، فَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ»^(٣).

وبعد أن توقَّفوا يومًا وليلة إلى جوار قبر سيِّد الشهداء، استعدُّوا لقتال جيش الشام في عين الورد^(٤)، وكانت القوَّة التي يقودها سليمان تبلغ حدود أربعة آلاف، فيما كان عدد أفراد جيش العدو يبلغ عشرين ألفاً^(٥).

١ - تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٥٦٠ و ٥٨٠، أنساب الأشراف: ج ٦ ص ٣٨٠، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٦٣٣.

٢ - تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٥٨٣.

٣ - تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٥٨٩.

٤ - تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٥٩٦.

٥ - تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٥٩٦ / ٥٩٨، الفتوح: ج ٦ ص ٢٢٢.

وقد أبدى جيش سليمان شجاعة فائقة في قتال جيش الشام، ولكنهم لم يحققوا هدفهم، وقُتل سليمان وعدد من قادة نهضة التوابين وعدد كبير من أصحابه، وغادر المتبقون ساحة الحرب ليلاً وعادوا إلى الكوفة^(١).

وهكذا انتهت ثورة التوابين باستشهاد قائدها سليمان بن صرد وفشلها أمام الجيش الأموي بقيادة عبيد الله بن زياد بعد قتالٍ شديد دام ثلاثة أيام، ورزقه الله الشهادة سنة ٦٥ هـ، وله من العمر ٩٣ سنة^(٢).

ولم يكن هدف التوابين هو السيطرة على الحكم، أو الحصول على مغانم مادية؛ بل كان هدفهم الأول والأخير هو الانتقام من قتلة الإمام الحسين عليه السلام، للتخلص من تأنيب الضمير، والتوبة من ذنبهم بتخاذلهم عن أبي عبد الله الحسين، ونيل الشهادة دفاعاً عن الدين والقيم ومظلومية الإمام الحسين وأهل البيت؛ ولذا كانوا مصممين على القتال حتى القضاء على حكم بني أمية أو الشهادة، وكانوا ينادون عند مغادرتهم الكوفة: «إنا لا نطلب الدنيا وليس لها خروجنا»^(٣)؛ وانتهت هذه الثورة باستشهاد قادتها ما عدا (رفاعة بن شداد البجلي) فعاد ما تبقى من القوات بقيادته إلى الكوفة، وانضموا إلى حركة المختار وأنصاره.

ومع أن ثورة التوابين فشلت لعدم توازن القوى بينهم وبين الأمويين؛ إلا أنها تركت تداعيات كبيرة في الوسط الكوفي، وهيأت الأرضية اللازمة وتجييش الرأي العام في الكوفة وما حولها لمحاربة الحكم الأموي والعمل على إسقاطه في نهاية الأمر.

١ - موسوعة الإمام الحسين عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ: محمد الريشهري، ج ٥؛ ص ٣٣٩ - ٣٤٠.

٢ - الطبقات الكبرى: ج ٤ ص ٢٩٣. تهذيب الكمال: ج ١١ ص ٤٥٦ الرقم ٢٥٣١. الاستيعاب: ج ٢ ص ٢١١ الرقم ١٠٦١. أسد الغابة: ج ٢ ص ٥٤٩ الرقم ٢٢٣١.

٣ - تاريخ الطبري: ج ٣، ص ٤٥٥.

ثانيًا - ثورة المختار:

ثار المختار بن أبي عبيدة الثقفي سنة ٦٦ للهجرة في العراق طالبًا ثار الإمام الحسين (عليه السلام) من قاتليه، وكان قد اعتقل بعدما تعاون مع مسلم بن عقيل ولم يطلق سراحه إلا بعد واقعة عاشوراء، وبعد إطلاق سراحه توجه نحو مكة المكرمة وانضم إلى عبدالله بن الزبير الذي أعلن نفسه خليفة للمسلمين. وبعد هلاك يزيد سنة ٦٤ هـ انطلق نحو الكوفة، وبدأ تحركاته وأنشطته طالبًا الثار للإمام الحسين (عليه السلام)، وتبع المختار قتلة الحسين وآله في كربلاء وقتلهم، فقتل منهم في يوم واحد مئتين وثمانين رجلًا، وهدم دور بعض قادتهم الذين لاذوا بالفرار خوفًا منه، وكان من بينها دار محمد بن الأشعث فقد هدمها، وبنى بلبنها وطينها دار حجر بن عدي صاحب الإمام علي (عليه السلام) الذي هدم داره زياد بن أبيه^(١). وقد ورد في الروايات شدة الجزاء الذي سيلقاه قاتلو الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه في الدنيا والآخرة، فبالنسبة إلى جزائهم في الآخرة نكتفي بما رواه الشيخ الصدوق عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ فِي النَّارِ مَنْزِلَةً لَمْ يَكُنْ يَسْتَحِقُّهَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِمَا السَّلَام»^(٢).

وفي الدنيا لم يهنأ أحد من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) بالدنيا وملذاتها، بل سرعان ما انتقم الله منهم شر انتقام، وقد دعا النبي ﷺ على من حارب الإمام الحسين (عليه السلام) أو لم ينصره، بقوله: «اللَّهُمَّ اخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ، وَاقْتُلْ مَنْ قَتَلَهُ، وَادْبَحْ مَنْ ذَبَحَهُ، وَلَا تُمَتِّعْهُ بِمَا طَلَبَ»^(٣).

١ - راجع: الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ٢١١ - ٢٤١.

٢ - ثواب الأعمال: ص ٢٥٧ ح ٢، كامل الزيارات: ص ١٦٢ ح ٢٠٢ كلاهما عن جابر عن الإمام الباقر (عليه السلام)، بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٣٠١ ح ٩.

٣ - كامل الزيارات: ص ١٣١ ح ١٤٩.

وقد استجاب الله دعاء النبي ﷺ، فكل من شارك في قتال الحسين عليه السلام أو خذله لقي جزاءه سريعاً في الدنيا قبل الآخرة، إذ لاحق المختار قتلة الإمام الحسين عليه السلام وألقى القبض عليهم وقام بإعدامهم، وكتب اليعقوبي في هذا الصدد: «تَبَعَ المختار قتلة الحسين، فقتل منهم خلقاً عظيماً حتى لم يبق منهم كثير أحد»^(١).

واستناداً إلى رواية وردت في بحار الأنوار، فإنَّ المختار قتل طوال حكمه للكوفة - والذي استمرَّ ثمانية عشر شهراً - ثمانية عشر ألفاً ممن اشترك في قتل الإمام الحسين وأصحابه^(٢)؛ إلا أنَّ في هذه الرواية مبالغة كبيرة. كما أنَّ الروايات التي جاءت في بعض المصادر التاريخية، والتي وردت فيها كيفية عقوبة عدد من المجرمين على يديه بشكل غير جائز في الإسلام؛ مثل: المثلثة، وإلقاء الشخص في الزيت الساخن، مبالغ فيها أيضاً، ومن المحتمل أنَّها اختُلقت من قِبَل أعداء المختار من أجل تشويه سمعة ثورته، أو اختُلقت من قِبَل مرّبيه من أجل إيجاد الخوف والرعب في قلوب الأعداء^(٣).

وكانت الكوفة أثناء نهضة التّوّابين تحت سيطرة عبدالله بن الزبير، ولذلك فإنَّ المجرمين الذين تسبّبوا بأمر ابن زياد في حادثة كربلاء الدموية لم يواجهوا مشكلة؛ بسبب عداء عبدالله بن الزبير الشديد لأهل البيت (عليهم السّلام)، كما يحتمل أنَّهم لم يشعروا بخطر أكيد من جانب نهضة التّوّابين بقيادة سليمان بن صرد، ذلك أنَّ الهدف الأوّل لهذه النهضة هو إسقاط حكومة الشام، وكانوا يعلمون أنَّهم سوف لا يحقّقون هذا الهدف، ولكنَّهم كانوا يشعرون بخطر كبير بسبب وجود المختار في الكوفة، ولذلك وفد قادة

١ - تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٢٥٩.

٢ - بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٣٨٦.

٣ - موسوعة الإمام الحسين عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، ج ٦، ص ٩٨.

جيش ابن زياد مثل عمر بن سعد وشبّت بن ربعي - الذين كانوا يحيطون علماً بحسن قيادة المختار ويعرفون هدفه من الثورة - على عبدالله بن يزيد عامل ابن الزبير على الكوفة وقالوا:

«إِنَّ المختار أشدّ عليكم من سليمان بن صرد، إِنَّ سليمان إنّما خرج يقاتل عدوّكم ويدلّ لهم لكم وقد خرج عن بلادكم، وإنّ المختار إنّما يريد أن يثب عليكم في مصركم، فسيروا إليه فأوثقوه في الحديد وخلّدوه في السجن حتى يستقيم أمر الناس»^(١).

واعتقل المختار على إثر هذه المؤامرة^(٢)، ولكنّه واصل نشاطه في السجن أيضاً، وعندما بلغه انكسار جيش سليمان بن صرد ورجوع المتبقّين منهم إلى الكوفة، بعث رسالة سرّية إلى قادتهم دعاهم فيها إلى التعاون معه^(٣).

ولم تمضِ فترة طويلة حتّى أُطلق سراح المختار على إثر وساطة عبدالله بن عمر الذي كان زوج أخته^(٤). فنظّم أنصاره وأعدّهم للحرب، وفي الليلة الثانية عشرة من ربيع الأوّل سنة ٦٦ للهجرة بدأت ثورة المختار بحركة عدد من المسلّحين بقيادة إبراهيم بن مالك الأشتر^(٥) نحو دار المختار، وكانت الكوفة

١- تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٥٨٠.

٢- أنساب الأشراف: ج ٦ ص ٣٧٣، تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٥٨١، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٦٣٤، الفتوح: ج ٦ ص ٢١٧؛ ذوب النصار: ص ٨٠.

٣- تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٦٠٦ و ج ٦ ص ٧، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٦٤٣ و ٦٦١، المنتظم: ج ٦ ص ٥١.

٤- تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٨، أنساب الأشراف: ج ٦ ص ٣٨١، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٦٦١، المنتظم: ج ٦ ص ٥١، الفتوح: ج ٦ ص ٢١٩.

٥- إبراهيم بن مالك الأشتر بن الحارث النخعي، كان أبوه من كبار التابعين ومن أشهر أصحاب أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام)، كان فارساً شجاعاً شاعراً فصيحاً موليّاً لأهل البيت عليهم السلام)، استعان به المختار حين ظهر بالكوفة طالباً بثأر الحسين عليه السلام)، وبه قامت إمارة المختار وثبتت أركانها. قتل إبراهيم عبيدالله بن زياد بيده سنة سبع وستين، ثمّ أوسع حكمه في الموصل وما حواها، ويظهر من أعماله وتصرفاته أنّه صار كالمتهاون بأمر المختار. اتّصل إبراهيم بعد

خاضعة للأحكام العرفية، فقطع الجيش الطريق على إبراهيم ومرافقيه، فقتلوا قائد الجند وهزموا القوات الخاضعة لأمرته^(١)، وأصدر المختار في الليلة نفسها الأمر بالثورة العامة بشكل رسمي، واشتبكت قواته مع قوات العدو تحت شعار «يا لثارات الحسين»، واستمرت الاشتباكات حتى سقط آخر مواضع العدو في ربيع الثاني عام ٦٦، وخضعت الكوفة لسيطرة المختار وأنصاره بشكل كامل^(٢).

وبعد أن سيطر المختار على الأوضاع، انبرى للبحث عن مجرمي واقعة كربلاء، فألقى القبض على الكثير منهم وقتلهم^(٣)، ولكن القائد المباشر لمعركة كربلاء - أعني ابن زياد - لم يزل حيًّا، وكُلِّف من جانب عبد الملك بن مروان بأن يجمع ثورة المختار بجيش قوامه ثمانون ألفاً.

وسار جيش المختار بقيادة إبراهيم بن مالك الأشتر في ذي الحجة سنة ٦٦ للهجرة، نحو جيش ابن زياد الذي كان قد تسلَّل إلى الحدود الشمالية الغربية من العراق، ونشبت حرب ضروس بين الجيشين، وهُزم جيش الشام في عاشوراء من سنة ٦٧ للهجرة وقُتل ابن زياد^(٤).

ولجأ الفارَّون من الكوفة إلى البصرة إلى مصعب بن الزبير^(٥)، وحرَّضوه

مقتل المختار بمصعب بن الزبير [كأنه يريد بذلك محاربة جيش الشام]، وحارب معه عبد الملك، فوفى له حين خذله أهل العراق، وقاتل معه حتَّى قُتل سنة ٧١ هـ، ودفن بقرب سامراء. تاريخ الطبري: ج ٦ ص ١٥ - ٤٩ و ٨١ - ٩٥ و ١٥٦ - ١٥٨).

١ - تاريخ الطبري: ج ٦ ص ١٩.

٢ - تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٢٠ / ٣٢ وراجع: الأمالي للطوسي: ص ٢٤٠ ح ٤٢٤.

٣ - تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٣٨ / ٦٦ و الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٦٨١ - ٦٨٥ و تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص ٢٥٩ و الأمالي للطوسي: ص ٢٣٨ - ٢٤٤ و ذوب النضار: ص ١١٨ - ١٢٥ و بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٣٧٤ - ٣٨٦.

٤ - تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٨١ - ٩٢؛ الأمالي للطوسي: ص ٢٤١، ذوب النضار: ص ١٤٢.

٥ - كان حاكماً على البصرة من قبل أخيه عبد الله بن الزبير.

على محاربة المختار، فاستعدّ مصعب للحرب^(١)، والتقى الجيشان، ولكن المختار تكبّد في هذه المرّة خسائر فادحة، وحاصره العدو في دار الإمارة، وقتل في الحرب، واستسلم الباقون من أنصاره^(٢).
واستنادًا إلى رواية الطبري، فقد قُتل المختار في الرابع عشر من شهر رمضان سنة ٦٧ للهجرة، وهو في السابعة والستين من عمره^(٣).

الإمام زين العابدين (عليه السلام) وعلاقته بالمختار

أهم عمل قام به المختار هو تتبعه لقتلة الإمام الحسين (عليه السلام)، ثم قتلهم، وإبادة المجرمين الخطيرين الذين ارتكبوا أبشع الجرائم بحق عترة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومع أن الإمام زين العابدين (عليه السلام) رفض أن يتزعم حركة المختار، أو يعلن تأييده العلني له، للحفاظ على ما تبقى من أهل بيته وشيعته، ولأنه لا يثق بالكوفيين بعدما غدروا بجده وعمه وأبيه؛ أضف إلى ذلك أنه كان يرى المصلحة في ابتعاده العلني عن أية ثورة أو انتفاضة حتى يواصل مسؤولياته الدينية بوصفه إمامًا معصومًا؛ إلا أنه أثنى عليه لما قام به من عمل كبير في الانتقام من قتلة أبي عبدالله الحسين (عليه السلام).

قال السيد الجلالى: «كتب [المختار] إلى الإمام علي بن الحسين السّجّاد (عليه السلام) يريد على أن يبايع له، ويقول بإمامته، ويظهر دعوته، وأنفذ إليه مالا كثيرا وتبع قتلة الحسين (عليه السلام) فقتلهم، ولكن الإمام (عليه السلام) كان حكيما في تعامله مع المتحرّكين أولئك، فلم يعلن عن ارتباطه المباشر بهم، وكذلك لم يعلن عن رفض حركتهم كما واجه ابن الزبير، بل أصدر بيانًا عامًا، يصلح لتبرير

١ - تاريخ الطبري: ج ٦ ص ٩٤، أنساب الأشراف: ج ٦ ص ٤٢٧، الأخبار الطوال: ص ٣٠٤، الفتوح: ج ٦ ص ٢٥٥.

٢ - تاريخ الطبري: ج ٦ ص ١٠٥ / ١٠٨.

٣ - تاريخ الطبري: ج ٦ ص ١١٦، الكامل في التاريخ: ج ٣ ص ١٨.

الحركات الصالحة، من دون أن يترك آثاراً سيئة على الإمام عليه السلام فقال لعمه محمد بن الحنفية: «يا عم، لو أن عبداً تعصب لنا أهل البيت، لوجب على الناس مؤازرته، وقد وليتك هذا الأمر، فاصنع ما شئت»^(١).

إن تولية الإمام عليه السلام لعمه في القيام بأمور الحركات الثورية تلك كان هو الطريق الأصلح؛ لأن محمد بن الحنفية لم يكن مُتَهَمًا من قبل الدولة بالمعارضة، ولم يعرف منه ما يشير إلى التصدي للإمامة لنفسه، بينما الإمام عليه السلام كانت الدولة تتوجس منه خيفة باعتباره صاحب الدم في كربلاء، والمؤهل للإمامة، لعلمه وتقواه وشرفه، ولم يخفَ على عيون الدولة أن جمعاً من الشيعة يعتقدون الإمامة له.

وبذلك كان الإمام عليه السلام قد حافظ على وجوده من أذى الأمويين واستمر على رسم خطه والتأكيد على منهجه لإحياء الدين وتميئة الأرضية للحكم العادل. وهو مع ذلك لم يقطع الدعم عن تلك الحركات التي انتهجت الشار لأهل البيت عليه السلام»^(٢).

ومما يدل على العلاقة الطيبة بين المختار والإمام زين العابدين عليه السلام، أنه لما قتل المختار ابن زياد أرسل رأسه إلى الإمام عليه السلام، فأتى رسول المختار برأس ابن زياد إليه وكان عليه السلام يتناول الطعام، وفي بعض الروايات أن الإمام سجد شكرًا لله عندما رأى رأس ابن زياد ورأس عمر بن سعد، وقال: «الحمد لله الذي أدرك لي ثأري من أعدائي (عدوي)، وجزى الله المختار خيرًا»^(٣).

كما أثنى عليه ولده الإمام الباقر عليه السلام، إذ روى الكشي عن حمويه عن يعقوب عن ابن أبي عمير عن هشام بن المثني عن سدير عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

١ - بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٣٤٥.

٢ - جهاد الإمام السجاد عليه السلام: السيد محمد رضا الجلاي، ص ٢٣٦.

٣ - رجال الكشي: ص ٢١٠، ح ٢٠٣. بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٣٨٦.

«لا تسبُّوا المختار فإنه قتل قتلنا، وطلب بئارنا، وزوَّج أراملنا، وقسم فينا المال على العسرة»^(١)، وعلَّق عيه العلامة الحلي بقوله: «وهذا الطريق حسن»^(٢). ولما سأل ابنه الإمام الباقر (عليه السلام) عن موقفه إزاء أبيه المختار أظهر له إيجابية الموقف منه، وترحَّم عليه^(٣).

وروى ابن عقدة: أن الصادق (عليه السلام) ترحَّم على المختار أيضًا^(٤). وروى الكشي عن جارود بن المنذر عن أبي عبدالله [الصادق] (عليه السلام) قال: «مَا امْتَشَطَتْ فِيْنَا هَاشِمِيَّةٌ، وَلَا اخْتَضَبَتْ، حَتَّى بَعَثَ إِلَيْنَا الْمُخْتَارُ بِرُؤُوسِ الَّذِينَ قَتَلُوا الْحُسَيْنَ (عليه السلام)»^(٥).

وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أيضًا أنه قال: «مَا اكْتَحَلَتْ هَاشِمِيَّةٌ وَلَا اخْتَضَبَتْ، وَلَا رُئِيَ فِي دَارِ هَاشِمِيٍّ دُخَانٌ خَمَسَ حِجَجٍ حَتَّى قُتِلَ عبيدالله بن زياد»^(٦).

وقد ورد في مدحه أنه: «لم يبقَ من بني هاشم أحدٌ إلا قام بخطبة في الشاء على المختار والدعاء له وجميل القول فيه»^(٧).

لقد أدخل المختار السرور والفرح والبهجة في قلوب بني هاشم وتركوا الحداد والحزن، وأدخل الرعب والخوف في قلوب أعدائهم، وأسدى لأهل البيت بعض الخدمات المهمة، كالأخذ بئارهم، وحمايتهم من الأذى، ودعمهم بالأموال، وبناء دورهم التي هدمها الأمويون وغيرها.

١ - رجال الكشي: ص ٢٠٨، ح ١٩٧.

٢ - خلاصة الأقوال: العلامة الحلي، ج ٢، ص ٣٩٣ - ٣٩٤، رقم ٢/١٠٠٦.

٣ - رجال الكشي: ص ٢٠٨، ح ١٩٩.

٤ - خلاصة الأقوال: العلامة الحلي، ج ٢، ص ٣٩٤، رقم ٢/١٠٠٦.

٥ - رجال الكشي: ص ٢٠٩ ح ٢٠٢، رجال ابن داود: ص ٢٧٧، بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٣٤٤ ح ١٢.

٦ - ذوب النضار: ص ١٤٤، بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٣٨٦.

٧ - الطبقات الكبرى: ابن سعد، ج ٥، ص ٢٨٥.

المختار في كتب الرجال

وجهت إلى المختار بعض الأقوال والتهم التي تقدح في شخصيته، والتي فيها تشويه لمكانته وذم له، فقد اتهم بالسحر والشعوذة، وأنه ادّعى النبوة، ولكنها لا تصمد أمام التحقيق والتدقيق، ولا تعدو إلا أن تكون اتهامات كاذبة وكيدية وتلفيقات مفبركة من قبل أعدائه وخصومه الأمويين لاسقاطه اجتماعيًا وسياسيًا، وقد أثبت المحققون عدم صحة التهم التي نسبت إليه في الجملة.

وأما الروايات القادحة للمختار والمروية عن أهل البيت، فهي إما روايات ضعيفة الإسناد أو مرسلة، ولا يمكن الاعتماد عليها.

قال السيد الخوئي (قدس سره): «والأخبار الواردة في حقه على قسمين: مادحة وذامة، وأما المادحة فهي متظافرة، [وأورد الروايات المتقدمة]، وصحح منها رواية: «مَا امْتَشَطَتْ فِينَا هَاشِمِيَّةٌ، وَلَا اخْتَضَبَتْ، حَتَّى بَعَثَ إِلَيْنَا الْمُخْتَارُ بِرُؤُوسِ الَّذِينَ قَتَلُوا الْحُسَيْنَ عليه السلام»^(١) وهذه الرواية صحيحة»، ثم قال: «وأما الروايات الذامة فهي... كان المختار يكذب على علي بن الحسين عليه السلام... كتب المختار بن أبي عبيدة إلى علي بن الحسين عليه السلام وبعث إليه هدايا من العراق، فلما وقفوا على باب علي بن الحسين دخل الأذن يستأذن لهم فخرج إليهم رسوله فقال: أميطوا عن بابي فإني لا أقبل هدايا الكذابين، ولا أقرأ كتبهم فمحووا العنوان وكتبوا المهدي محمد بن علي... بعث إليه بأربعين ألف دينار بعدما أظهر الكلام الذي أظهره فردها ولم يقبلها... والمختار هو الذي دعا الناس إلى محمد بن علي بن أبي طالب بن الحنفية... وهذه الروايات ضعيفة الإسناد جدًا على أن الثانية منهما فيها تهافت وتناقض، ولو صحت

١ - رجال الكشي: ص ٢٠٩ ح ٢٠٢، رجال ابن داود: ص ٢٧٧، بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ٣٤٤ ح ١٢.

فهي لا تزيد على الروايات الدائمة الواردة في حق زرارة ومحمد بن مسلم،
وبريد وأضرابهم».

وروى الصدوق (قدس سره) رسالة أن الحسن (عليه السلام) لما صار في مظلم
ساباط ضربه أحدهم بخنجر مسموم فعمل فيه الخنجر فأمر (عليه السلام) أن يعدل
به إلى بطن جريحه وعليها عم المختار بن أبي عبيدة مسعود بن قيلة، فقال
المختار لعمه: تعال حتى نأخذ الحسن ونسلمه إلى معاوية فيجعل لنا العراق،
فنظر بذلك الشيعة من قول المختار لعمه، فهموا بقتل المختار فتلطف عمه
لمسألة الشيعة بالعفو عن المختار ففعلوا. وهذه الرواية لإرسالها غير قابلة
للاعتناء عليها.

ثم ناقش السيد الخوئي (قدس سره) رواية: أن كل واحد من الأئمة كان
مبتلى بكذاب وأن الحسين (عليه السلام) ابتلي بالمختار! وقال: ولم ينقل ولا بخبر ضعيف
كذب من المختار بالنسبة إلى الحسين (عليه السلام)، وغير بعيد أن المختار الذي كان
يكذب على الحسين (عليه السلام) أن يكون رجلاً آخر غير المختار بن أبي عبيدة.

ثم نقل السيد الخوئي قول المجلسي عن جعفر بن نما الحلي في
مدح المختار (رحمه الله) وكأنهما تبنياه، وفيه: «اعلم أن كثيراً من العلماء
لا يحصل لهم التوفيق بفطنة توقفهم على معاني الأخبار... ولو تدبروا
أقوال الأئمة (عليهم السلام) في مدح المختار لعلموا أنه من السابقين المجاهدين
الذين مدحهم الله تعالى جلّ جلاله في كتابه المبين، ودعاء زين العابدين
(عليه السلام) للمختار دليل واضح وبرهان لائح على أنه عنده من المصطفين
الأخيار، ولو كان على غير الطريقة المشكورة ويعلم أنه مخالف له في
اعتقاده لما كان يدعو له دعاء لا يستجاب ويقول فيه قولاً لا يستطاب،
وكان دعاؤه (عليه السلام) له عبثاً، والإمام منزّه عن ذلك! وإنما أعداؤه عملوا

له مثالب ليباعده من قلوب الشيعة كما عمل أعداء أمير المؤمنين عليه السلام له مساوئ وهلك بها كثير ممن حاد من محبته»^(١).

وعلى التستري في قاموس الرجال الأخبار الواردة بذمه بأنها تقيّة، وقال: «إنّ الأئمّة عليهم السلام كانوا يذمّون شيعة لهم لم يكونوا أهل إمارة تقيّة - كزرارة ومحمّد بن مسلم وأضرابهما - ففي مثل المختار الذي نال الإمارة باسمهم عليهم السلام وفعل بأعدائهم ما فعل لأجلهم كان ذمّه تقيّة واجباً، لا سيّما من السجّاد عليه السلام لعلمه بدولة مروانيّة»^(٢).

ونفى القول بكيسانيته، فقد قال: «وأما قولهم بكيسانيته فغير معقول، لأنّه مذهب حدث بعد المختار وبعد محمّد ابن الحنفية، بل لا يمكن قوله بإمامة محمّد وقد قتل في حياة محمّد ولم يكن محمّد مدّعياً للإمامة؛ وإن صحّ أنّه ادّعاها يوماً بعد الحسين عليه السلام كما في خبر تضمّن ذاك الخبر أنّه تاب وأناب»^(٣).

ولم تستمر حكومة المختار طويلاً، قال ابن نما الحلي: «إن ولاية المختار كانت ثمانية عشر شهراً أولها لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة ست وستين، وآخرها النصف من شهر رمضان من سنة سبع وستين، وعمره سبع وستون سنة»^(٤).

وفي هذه المدة القصيرة قام المختار بأعمال كبيرة تقدر بسنوات طويلة، فقد انتصر على الأمويين في الكوفة مرتين، إذ سيطر عليها في أول ثورته وعيّن الولاية في المناطق التي كانت تُحكم من الكوفة، كبقية أقاليم العراق، وقسم

١ - معجم رجال الحديث: السيد الخوئي: ج ١٩، ص ١٠٢-١١٠، رقم الترجمة ١٢١٨٥.

٢ - قاموس الرجال: الشيخ محمد تقي التستري، ج ١٠، ص ١٤، رقم الترجمة ٧٤٣٤.

٣ - قاموس الرجال: الشيخ محمد تقي التستري، ج ١٠، ص ١٤، رقم الترجمة ٧٤٣٤.

٤ - ذوب النضار: ابن نما، ص ١٤٤.

من إيران وتركيا وأرمينيا وغيرها، ثم انتصر مرة أخرى عليهم عندما جمّع قتلة الإمام الحسين (عليه السلام) قواتهم وثاروا عليه، فأسرّع قائده إبراهيم بن مالك الأشتري بالعودة وتصدى لهم، واكتسح قواتهم، وقتل عددًا من قتلة الحسين (عليه السلام)، وفرّ الباقيون إلى البصرة وغيرها.

ثم خاض جيشه بقيادة ابن الأشتري معركة شرسة مع الأمويين، فدمّر جيشهم وقتل قائده ابن زياد، قاتل الإمام الحسين (عليه السلام) ووالي العراق السابق، وأرسل رأسه للإمام زين العابدين (عليه السلام) فخرّ ساجدًا لله شكرًا له تعالى.

بقية الثورات والانتفاضات

لم تتوقف الثورات والانتفاضات والاحتجاجات ضد الحكم الأموي منذ استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) وحتى سقوط الحكم الأموي، وبالإضافة للثورتين الشيعيتين: ثورة التوابين، وثورة المختار، نشير إلى بقية الثورات إجمالاً، وهي:

١ - ثورة أهل المدينة:

وهي ثورة تختلف في دوافعها عن ثورة التوابين، فهي لم تستهدف الانتقام من قتلة الإمام الحسين (عليه السلام)، بل استهدفت تقويض سلطان الأمويين الظالم، إذ اجتاحت المدينة موجة من الغضب والسخط على بني أمية بعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام)، وطرد الثائرون الأمويين وقدرهم ألف رجل، كما طُرد والي المدينة، وهو الذي أرسل مجموعة من زعماء المدينة ووجهائها إلى الشام لمقابلة يزيد الذي أغدق عليهم بالهدايا والعطايا الجزيلة، ولكنهم لما رجعوا إلى المدينة حرّضوا الناس على الثورة ضد حكمه لما رأوه من سلوكيات يزيد

المنافية للإسلام، ومنها انغماسه في الملذات والشهوات، وولعه باللعب واللهو والمجون والفجور، واستهتاره بقيم الإسلام وأحكامه.

كتب ابن الأثير: «[لما] عزل يزيد الوليد [عن ولاية المدينة]، وولى عثمان بن محمد بن أبي سفيان فبعث إلى يزيد وفداً من أهل المدينة، فيهم: عبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة، وعبدالله ابن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي، والمنذر بن الزبير ورجالاً كثيراً من أشرف أهل المدينة، فقدموا على يزيد فأكرمهم وأحسن إليهم، وأعظم جوائزهم فأعطى عبدالله بن حنظلة، وكان شريفاً فاضلاً عابداً سيّداً، مئة ألف درهم، وكان معه ثمانية بنين، فأعطى كل ولد عشرة آلاف، فلما رجعوا قدموا المدينة كلهم إلا المنذر بن الزبير فإنه قدم العراق على ابن زياد وكان يزيد قد أجازه بمئة ألف دينار، فلما قدم أولئك نفر الوفد المدينة قاموا فيهم فأظهروا شتم يزيد وعيبه وقالوا: قدمنا من عند رجل ليس له دين؛ يشرب الخمر، ويضرب بالطناير، ويعزف عنده القيان، ويلعب بالكلاب، ويسمر عنده الحراب وهم اللصوص وإنّا نشهدكم أنّا قد خلعناه. وقام عبدالله بن حنظلة الغسيل فقال: جئكم من عند رجل لو لم أجد إلا بنيّ هؤلاء لجاهدته بهم، وقد أعطاني وأكرمني وما قبلت منه عطاءه إلا لأتقوى به فخلعه الناس، وبايعوا عبدالله بن حنظلة الغسيل على خلع يزيد وولّوه عليهم»^(١).

ولما دخل عام ٦٣ هـ أخرج أهل المدينة عثمان بن محمد بن أبي سفيان عامل يزيد، وحصرُوا بني أُمّية بعد بيعتهم عبدالله بن حنظلة، فاجتمع بنو أُمّية ومواليهم ومن يرى رأيهم في ألف رجل حتى نزلوا دار مروان بن الحكم، فكتبوا إلى يزيد يستغيثون به، فبعث إلى عمرو بن سعيد فأقرأه الكتاب وأمره أن يسير إليهم فردّ وقال: لا أحب أن أتولّى ذلك.

وبعث إلى عبيد الله بن زياد يأمره بالمسير إلى المدينة ومحاصرة ابن الزبير بمكة فقال: والله لا جمعتهما للفاسق، قتل ابن رسول الله وغزو الكعبة. ثم أرسل إليه يعتذر.

فبعث إلى مسلم بن عقبة المري، وهو الذي سمي مسرفاً، وهو شيخ كبير فاستجاب، فنادى في الناس بالتجهز إلى الحجاز، وأن يأخذوا عطاءهم ومعونة مئة دينار، فانتدب لذلك اثنا عشر ألفاً، وخرج يزيد يعرضهم، فأقبل مسلم إلى المدينة ودخل من ناحية الحرّة وضرب فسطاطه بين الصفين واقتتل الصفان قتالاً شديداً وانتهى الأمر إلى غلبة قوات الشام على أهل المدينة بعد ما قتل من الطرفين أناس كثير، ولم يقتصر المسرف بذلك، بل أباح المدينة ثلاثاً يقتلون الناس ويأخذون المتاع والأموال»^(١).

وقام مسلم بن عقبة والذي سمي بمسرف لكثرة إراقتة للدماء بمذبحة كبيرة في المدينة المنورة، فاستباح المدينة ثلاثة أيام، انتهك فيها الأعراض، ونهبت الأموال، وقتل كثيراً من الناس بمن فيهم من تبقى من الصحابة وكبار التابعين، وقد نفذ مسلم ما أوصاه به يزيد الذي قال له: «ادع القوم ثلاثاً فإن أجابوك وإلا فقاتلهم، فإذا ظهرت عليهم فأنهبها ثلاثاً، فكل ما فيها من مال أو دابة أو سلاح أو طعام فهو للجند»^(٢). فأباحها مسلم بن عقبة ثلاثاً يقتلون الرجال، ويقعون على النساء، ويفعلون الأفاعيل المنكرة! وأجبر أهل المدينة على البيعة ليزيد وبأنهم خدم وعبيد له، ومن أبى يُقتل، وقد فصلنا القول فيما حدث من انتهاكات جسيمة ومآسٍ فضيعة من قبل الجيش الأموي في واقعة الحرّة في الفصل الأول من هذا الباب.

١- الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ١١١ (أحداث سنة ٦٣ هـ). بحوث في الملل والنحل، الشيخ السبحاني، ج ٧، ص ٢٤٢.

٢- الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ١١٢.

٢ - ثورة أهل مكة:

انتفضت مكة ضد الحكم الأموي، وكان قائد هذه الثورة هو عبدالله بن الزبير، وهو ممن لم يبايع يزيد، وكان مثل بني أمية من الأعداء الألداء لأهل البيت (عليه السلام)، لكنه استغل استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) لتجيش الناس ضد الحكم الأموي، وإعلان نفسه خليفة للمسلمين بعد هلاك يزيد بن معاوية. ووجد ابن الزبير أن الأرضية مهيأة لتغيير الأوضاع السياسية في مكة، فخطب فيهم، وهذا هو نص خطبته كما جاء في رواية الطبري:

لما قتل الحسين (عليه السلام) قام ابن الزبير في أهل مكة، وعظم مقتله، وعاب على أهل الكوفة خاصة، ولأم أهل العراق عامة، فقال - بعد أن حمد الله وأثنى عليه، وصلى على محمد صلى الله عليه وآله -:

«إن أهل العراق غدر فجر إلا قليلاً، وإن أهل الكوفة شرار أهل العراق، وإنهم دعوا حسيناً (عليه السلام) لينصروه ويؤلوه عليهم، فلما قدم عليهم ثاروا عليه، فقالوا له: إمّا أن تضع يدك في أيدينا، فنبعث بك إلى ابن زياد بن سمية سلماً، فيمضي فيك حكمه، وإمّا أن تحارب! فرأى - والله -، أنه هو وأصحابه قليل في كثير - وإن كان الله عز وجل لم يطلع على الغيب أحداً - أنه مقتول، ولكنه اختار الميتة الكريمة على الحياة الذميمة؛ فرحم الله حسيناً (عليه السلام)، وأخزى قاتل حسين (عليه السلام).

لعمري، لقد كان من خلافهم إياه وعصيانهم ما كان في مثله واعظ وناه عنهم، ولكنه ما حم^(١) نازل، وإذا أراد الله أمراً لن يدفع، أفبعد الحسين (عليه السلام) نطمئن إلى هؤلاء القوم، ونصدق قولهم، ونقبل لهم عهداً؟ لا، ولا نراهم لذلك أهلاً.

١ - حُمَ هذا الأمر: إذا قُضي. وحُمَ له ذلك: قُدِّرَ (لسان العرب: ج ١٢ ص ١٥١ «حمم»).

أما والله، لقد قتلوه طويلاً بالليل قيامه، كثيراً في النهار صيامه، أحقّ بما هم فيه منهم، وأولى به في الدين والفضل.

أما والله، ما كان يبذل بالقرآن الغناء، ولا بالبكاء من خشية الله الحداء^(١)، ولا بالصيام شرب الحرام، ولا بالمجالس في حلق الذكر الركض في تطلاب الصيد، - يعرض يزيد - فسوف يلقون غيًّا^(٢).

وبعد هذه الخطبة طلب منه أصحابه وأتباعه أن يعلن بيعته وأن يمسك بزمام الحكم بدلاً من الأمويين.

وقد بعث يزيد جيشاً إلى مكة مرتين^(٣) لقمع ثورة أهلها، والسيطرة على الأوضاع، ولكنه لم يحقق شيئاً في النهاية، وفكّ الحصار عن مكة بهلاكه في الرابع عشر من ربيع الأول سنة ٦٤ للهجرة، وعاد جيش الشام منهزماً^(٤).

وبعد هلاك يزيد، بايع أهل الحجاز عبدالله بن الزبير، ثم بايعه أهل العراق ومصر، وأما أهل الشام فقد بايعوا مروان بن الحكم.

ولم يحسن ابن الزبير التعامل مع الناس وخاصة مع بني هاشم، وهو الأمر الذي أدى إلى أن يفقد قاعدته الشعبية، فتكبّد هزيمة فادحة خلال هجوم الجيش الأموي بقيادة الحجاج بن يوسف على مكة، وقتل هو أيضاً، وبذلك انتهى حكمه في أوائل سنة ٧٣ هجرية^(٥).

١ - حدا بالإبل حدواً وحداً: إذا غنى لها (مجمع البحرين: ج ١ ص ٣٧٦ «حدا»).

٢ - تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٤٧٤، الكامل في التاريخ: ج ٢ ص ٥٨٥، تذكرة الخواص: ص ٢٦٨ كلاهما نحوه، البداية والنهاية: ج ٨ ص ٢١٢

٣ - تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٤٩٨، أنساب الأشراف: ج ٥ ص ٣٥٧، العقد الفريد: ج ٣ ص ٣٧٥، تاريخ دمشق: ج ٢٨ ص ٢٣٠، الفتوح: ج ٥ ص ١٥٣ - ١٦٥.

٤ - تاريخ الطبري: ج ٥ ص ٤٩٨، أنساب الأشراف: ج ٥ ص ٣٦٢.

٥ - تاريخ الطبري: ج ٦ ص ١٨٨، الكامل في التاريخ: ج ٣ ص ٦٩، مروج الذهب: ج ٣ ص ٨٥ و ٨٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢٠ ص ١٢٣.

٣- ثورة مطرف بن المغيرة:

ثار مطرف بن المغيرة بن شعبة على الحجاج بن يوسف في سنة ٧٧ هجرية، وخلع عبدالملك بن مروان.

٤- ثورة ابن الأشعث:

في سنة ٨١ هجرية ثار عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث على الحجاج، وخلع عبدالملك بن مروان، وقد استمرت ثورته إلى سنة ٨٣ هجرية وأحرزت انتصارات عسكرية، ثم قضى عليها الحجاج بعد قتال شديد حصل في (دير الجماجم) بين الجيش الأموي بقيادة الحجاج وجيش العراقيين بقيادة ابن الأشعث، وكان ذلك في يوم الأربعاء لأربع عشرة مضت من جمادى الأخرى سنة ٨٣ هـ.

٥- ثورة زيد بن علي بن الحسين:

في سنة ١٢٢ هجرية ثار زيد في الكوفة، ولكن سرعان ما أخمد أوار ثورته الجيش الأموي الذي كان مرابطاً في العراق.

٦- ثورة العباسيين:

كانت ثورة العباسيين إحدى الثورات الكبرى التي قامت ضد الحكم الأموي، وانتهت بسقوطه عام ١٣٢ هـ، وكان أحد وأهم أسباب انتصار العباسيين على الأمويين هو رفع شعار «الرضا من آل البيت»، وحمل راية مظلوميتهم من قبل الأمويين؛ ما جعل الناس يتعاطفون معهم ضد الأمويين، وكان تذكير الناس بما حدث للإمام الحسين عليه السلام أكبر الأثر في استثارة غضب الناس وسخطهم على الأمويين، وهو الأمر الذي أدى في نهاية الأمر لسقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية.

وأدت الموجة الأولى بعد عاشوراء إلى زوال حكم آل أبي سفيان بعد أقل من أربعة أعوام فقط، ثم زوال حكم بني أمية نهائياً بعد ٧١ سنة من أحداث عاشوراء.

هذه نماذج من الثورات والانتفاضات والاحتجاجات التي حدثت بعد ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) وقد وقعت معظمها في أيام الإمام زين العابدين (عليه السلام)، واستمدت هذه الثورات والانتفاضات روح الجهاد والثورة ضد الحكم الأموي الظالم من النهضة الحسينية حتى انتهى الأمر بسقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ.

موقف الإمام زين العابدين من الثورات

اتخذ الإمام زين العابدين (عليه السلام) بعد شهادة أبيه الإمام الحسين (عليه السلام) عدم الانخراط المباشر أو التأييد العلني لأية ثورة أو انتفاضة شعبية حتى لو كانت أهدافها حقّة وصحيحة كثورة المختار؛ لأن ظروفه لم تكن تسمح له بمثل ذلك العمل، فقد كان خاضعاً لمراقبة شديدة من قبل الأمويين، وكان الإمام يعلم بذلك، ويدرك الظروف السياسية الصعبة المحيطة به، وأشار الإمام (عليه السلام) إلى ذلك في دعائه في دفع كيد الأعداء وردّ بأسهم، قائلاً:

«فَكَمْ مِنْ عَدُوٍّ انْتَضَى^(١) عَلَيَّ سَيْفَ عَدَاوَتِهِ، وَشَحَذَ لِي ظُبَّةَ^(٢) مُدَيَّتِهِ^(٣)، وَأَرْهَفَ لِي شَبَابَ^(٤) حَدِّهِ، وَدَافَ^(٥) لِي قَوَاتِلَ سُومُوهِ، وَسَدَّدَ نَحْوِي صَوَائِبَ سِهَامِهِ، وَلَمْ تَنْمِ عَنِّي عَيْنُ حِرَاسَتِهِ، وَأَضْمَرَ أَنْ يَسُومَنِي الْمَكْرُوهَ،

١ - انتضى السيف: أي أخرجه (النهاية: ج ٥ ص ٧٣ «نضا»).

٢ - ظُبَّةُ السيف: طرفه (النهاية: ج ٣ ص ١٥٥ «ظطب»).

٣ - المُدِيَّةُ والمُدِيَّة: الشُّفْرَةُ، والجمع مُدَى ومُدَى ومُدَيَات (لسان العرب: ج ١٥ ص ٢٧٣ «مدي»).

٤ - الشَّبَابُ: طرف السيف وَحْدَهُ وجمعها شَبَابٌ (النهاية: ج ٢ ص ٤٤٢ «شبا»).

٥ - داف: خَلَطَ (النهاية: ج ٢ ص ١٤٠ «دوف»).

وَيُجَرِّعَنِي زُعَاقٌ^(١) مَرَّارَتِهِ، فَنَظَرْتُ يَا إِلَهِي إِلَى ضَعْفِي عَنْ احْتِمَالِ
الْفَوَادِحِ، وَعَجَزِي عَنِ الْإِنْتِصَارِ مِمَّنْ قَصَدَنِي بِمُحَارَبَتِهِ، وَوَحَدَتِي فِي كَثِيرِ
عَدَدِ مَنْ نَاوَانِي، وَأَرْصَدَنِي بِالْبَلَاءِ فِيمَا لَمْ أَعْمَلْ فِيهِ فِكْرِي، فَأَبْتَدَأْتُني
بِنَصْرِكَ، وَشَدَدْتُ أَزْرِي بِقُوَّتِكَ^(٢).

والأمر الآخر أن معظم تلك الثورات لم تكن سائرة على نهج أهل البيت
أو لأهداف إسلامية بحتة، بل كان غالب هدف قادتها الطموح السياسي
للسيطرة على الحكم كما هو الحال في ثورة ابن الزبير الذي كان معادياً في
الأساس لأهل البيت ومنهجهم، وكان العلويون وفي طليعتهم الإمام زين
العابدين (عليه السلام) يرفضون تحركات ابن الزبير وفتنته؛ وأما ثورة أهل المدينة
فلم تكن أهدافها واضحة ولا مدروسة، كما أنهم لم يستشيروا الإمام ولم
يأخذوا موافقته، وكان الثوار ضد الحكم الأموي من مشارب مختلفة
ومدارس متغايرة؛ كما أن الإمام كان يتوقع فشلها وهزيمتها.

قال السيد الجلال: «حدّد الإمام (عليه السلام) موقفه من الحركات البعيدة عن
خط الإمامة، والتي لم تنتهج اتباع الإسلام المحمدي الخالص الذي يحمله
أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، فهو لم يظهر تجاهها ما يستفيده الأمويون،
كما لم يؤيدها بحيث تكون ذريعة للأمويين على محاسبة الإمام (عليه السلام)، ولا قام
بما يعتبر وسيلة يتشبث بها أولئك المتحركون غير الأصيلين في الفكر
والعقيدة، والمشبوهون في الأهداف والمنطلقات.

فاتخذ الإمام من هذه الحركات موقف الحزم والحيطه، فهي وإن لم تكن

١ - الزُّعَاق: الماء المرّ (لسان العرب: ج ١٠ ص ١٤١ «زُعَق»).

٢ - الصحيفة السجادية: ص ٢١١ الدعاء ٤٩، الأمالي للمفيد: ص ٢٣٩ ح ٣، الأمالي للطوسي:
ص ١٥ ح ١٩ كلاهما عن مسعدة بن صدقة عن الإمام الصادق (عليهما السلام) نحوه، البلد
الأمين: ص ٤٩٤، بحار الأنوار: ج ٩٢ ص ١٨٠ ح ١.

على المعلوم من الحق إلا أنها كانت معارضة للمعلوم من الباطل الحاكم، ومؤدية إلى تضعيفه وزعزعته، وتحديد سطوته.

والإمام (عليه السلام) لا يهدف إلى مجرد إحداث البلبلة، وتعويض فاسد بفساد، أو نقل السلطة من ابن مروان، إلى ابن الزبير، أو ابن الأشعث، أو غيرهم من المتصدين للحكم بالباطل، فتركهم الإمام (عليه السلام) يشغل بعضهم ببعض حتى ينكشف للأمة زيف دعواهم الإمامة والخلافة، ويظهر للأمة أنهم - جميعاً - لا يطلبون إلا الحكم والسلطة، دون صلاح الإسلام وإصلاح ما فسد من أمور المسلمين^(١).

والمستفاد من كل مواقف الإمام (عليه السلام) بعد استقراره في المدينة المنورة أنه اتخذ مسلك المنهج العلمي والأخلاقي، وتربية الكفاءات العلمية، وإحياء القيم الدينية والأخلاقية، والإصلاح الاجتماعي؛ وهو وإن كان ليس بعيداً عن الأحداث السياسية، وكان يراقب الأوضاع والتحويلات السياسية بدقة فائقة، ولكنه كان يرفض الانجرار إلى الأساليب العسكرية والعنفية في مواجهة السلطات الأموية أو سلطة ابن الزبير؛ لأن ذلك كان سيؤدي إلى قتله وقتل ما تبقى من أهل بيته وأصحابه وشيعته؛ وهذا سيؤدي إلى القضاء نهائياً على الأسرة العلوية وإبادتها. ولا شك أن الإمام استفاد سياسياً بصورة غير مباشرة من هذه الثورات المتعاقبة ضد الحكم الأموي، لأنها جعلت الأمويين ينشغلون عن الإمام بمواجهتها، والسيطرة على الأوضاع؛ ما فتح المجال نسبياً للإمام كي يمارس أنشطته الدينية والعلمية والأخلاقية والتربوية، بالرغم من مراقبة السلطات الأموية لأنشطته، لكنها كانت تخشى من اغتياله لأنه سيؤدي إلى مزيد من الاحتقان السياسي، وتزايد المعارضة للحكم الأموي، وهو ما لا تريده بعدما حدث من تداعيات لقتل الإمام الحسين (عليه السلام).

٢- موقفه من علماء البلاط الأموي

يعد العلماء الصالحون من أركان الحفاظ على الدين من التحريف والتزييف والتدليس والتشويه؛ فهم حماة الإسلام، وسدنة الشرع والقيم، ولهم تأثير بالغ على الناس، لأنهم يرمزون إلى الدين، ويمثلونه خير تمثيل.

وأما العلماء الفاسدون فهم أخطر شيء على الإسلام، لأنهم يتلاعبون بقيم الدين وأحكامه، ويفسرون مفاهيم الإسلام وتعاليمه بحسب أهوائهم ومصالحهم الدنيوية والمادية، ويتعاملون مع الدين بوصفه وسيلة للارتزاق والحصول على المغنم الدنيوية.

ولذا نجد التحذير الشديد من علماء السوء لخطرهم الكبير على الدين والمجتمع والأمة، فقد روي عن رسول الله ﷺ: «شَرُّ النَّاسِ عُلَمَاءُ السَّوءِ»^(١)،

وعنه عليه السلام: «شَرُّ النَّاسِ شَرَّاءُ الْعُلَمَاءِ فِي النَّاسِ»^(٢)، وعنه عليه السلام: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ... عُلَمَاؤُهُمْ وَفُقَهَاؤُهُمْ خَوَنَةٌ فَجَرَةٌ، أَلَا إِنَّهُمْ أَشْرَارُ خَلْقِ اللَّهِ، وَكَذَلِكَ أَتْبَاعُهُمْ وَمَنْ يَأْتِيَهُمْ وَيَأْخُذُ مِنْهُمْ وَيُحِبُّهُمْ وَيُجَالِسُهُمْ وَيُشَاوِرُهُمْ أَشْرَارُ خَلْقِ اللَّهِ»^(٣).

وقيل للنبي ﷺ: أَيُّ النَّاسِ شَرُّ؟

قال: «الْعُلَمَاءُ إِذَا فَسَدُوا»^(٤).

وروي عن الإمام علي عليه السلام: «لَا خَيْرَ فِي الْكَذَّابِينَ وَلَا فِي الْعُلَمَاءِ الْأَفَّاكِينَ»^(٥)،

وعنه عليه السلام: «زَلَّةُ الْعَالَمِ كَانْكِسَارِ السَّفِينَةِ؛ تَغْرُقُ وَتُغْرِقُ»^(٦)، وعنه عليه السلام: «زَلَّةُ الْعَالَمِ تُفْسِدُ عَوَالِمَ»^(٧).

١- تنبيه الخواطر: ج ١ ص ٢٢٠، منية المريد: ص ١٥٣.

٢- الفردوس: ج ٢ ص ٣٧٠ ح ٣٦٥٢، كنز العمال: ج ١٠ ص ١٩١ ح ٢٩٠٠٦.

٣- مكارم الأخلاق: ج ٢ ص ٣٤٦ ح ٢٦٦٠ عن ابن مسعود، بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ٩٨ ح ١.

٤- تحف العقول: ص ٣٥، نشر الدر: ج ١ ص ١٥٣، بحار الأنوار: ج ٧٤ ص ١٣٨ ح ٧.

٥- غرر الحكم: ح ١٠٨٨٣، عيون الحكم والمواعظ: ص ٥٣٥ ح ٩٨١٢.

٦- كنز الفوائد: ج ١ ص ٣١٩، غرر الحكم: ح ٥٤٧٤، المناقب لابن شهر آشوب: ج ١ ص ٤ عن الإمام

الباقر عليه السلام، بحار الأنوار: ج ٢ ص ٥٨ ح ٣٩؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢٠ ص ٣٤٣ ح ٩٤٦.

٧- غرر الحكم: ح ٥٤٧٢، عيون الحكم والمواعظ: ص ٢٧٦ ح ٥٠٢٤.

ومن أشد علماء السوء سوءاً الذين يكونون في خدمة حكام الظلم والجور، ويزيّنون لهم أعمالهم الظالمة، ويفتون لهم بحسب طلباتهم ورغباتهم، ويعينونهم على ظلمهم وجورهم للناس، فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «إِنَّ عَلِيًّا (عليه السلام) قَالَ: إِنَّ فِي جَهَنَّمَ رَحَى تَطْحَنُ، أَفَلَا تَسْأَلُونِي مَا طَحْنُهَا؟». فقل: وما طَحْنُهَا يا أمير المؤمنين؟

فَقَالَ (عليه السلام): «الْعُلَمَاءُ الْفَجَرَةُ، وَالْقُرَّاءُ الْفَسَقَةُ، وَالْجَبَابِرَةُ الظَّلْمَةُ، وَالْوُزَرَاءُ الْخَوَنَةُ، وَالْعُرَفَاءُ الْكَذِبَةُ»^(١).

بدأ الإمام بالعلماء الفجرة لأنهم أشد خطراً على الدين والأمة من سواهم، فهم يتحدثون باسم الدين، ويضلون الناس باسمه أيضاً، ويعطون شرعية دينية لحكام الظلم والجور؛ ولذا يحرصون أشد الحرص على تعيين علماء يستجيبون لمطالبهم، ويفتون لهم بحسب رغباتهم!

والقارئ للتاريخ يجد أن حكام بني أمية المعروفين بالظلم والجور والقسوة والاستبداد كانوا يقربون إليهم علماء السوء، ويجزلون لهم العطايا والهدايا النفيسة، ويغدقون عليهم الأموال الوفيرة، لأنهم يعطونهم الغطاء الديني لحكمهم الظالم فيعطونهم ما أحبوا من الدنيا وزينتها.

الزهري في البلاط الأموي

كان ابن شهاب الزهري (عالم السلطة الأموية في الحجاز والشام) من تلامذة الإمام زين العابدين (عليه السلام)، وقد جالسه كثيراً وتعلم منه الكثير، وكان يثني على الإمام ثناءً كبيراً؛ ولكن الدنيا غرته، والأموال الوفيرة جذبتة ليكون في خدمة بني أمية والقاضي لهم، فتوجه نحو دمشق عاصمة الخلافة

١- ثواب الأعمال: ص ٣٠٢ ح ١، الخصال: ص ٢٩٦ ح ٦٥، أعلام الدين: ص ٩٦، روضة الواعظين: ص ٥٥٦، بحار الأنوار: ج ٨ ص ٣١١ ح ٧٨.

الأموية في عهد عبد الملك بن مروان، فأعجب به فقربه إليه وأكرمه، وعيّن له راتبًا مجزيًا، وقضى ديونه، وأعطاه خادمًا، لبدأ الزهري مرحلة جديدة في حياته، ويكون من المقربين والندماء للحاكم الأموي عبد الملك بن مروان. وعرفه به شخص يدعى «قيصة بن ذؤيب»، فقد كتب ابن سعد ما نصه: «وكان قيصة بن ذؤيب بن حلحلة الخزاعي من بني قميير على خاتم عبد الملك بن مروان، وهو أدخل الزهري على عبد الملك بن مروان، ففرض له ووصله وصار من أصحابه»^(١).

وتوثقت مع مرور الأيام علاقة الزهري بالحكام الأمويين، وأصبح من أكثر العلماء قربًا منهم، خصوصًا بعدما ذاق حلاوة العيش في البلاط الأموي، وعاش حياة الدعة والرفاهية والترف والراحة عند الحكام، فظل قريبًا منهم، فلما مات عبد الملك أصبح مقربًا عند أبنائه أيضًا: الوليد، سليمان، يزيد، هشام. وولاه يزيد بن عبد الملك منصب القضاء، وجعله هشام بن عبد الملك معلمًا خاصًا لأولاده حتى وافته المنية، وكان يحظى بمعاملة خاصة، واحترام وتقدير كبيرين من قبل الحكام الأمويين^(٢).

وكان يتنقل مع هشام بن عبد الملك في رحلاته؛ ما يعني أنه كان مقربًا جدًا منه، وسدّد عنه جميع ديونه البالغة ثمانين ألف درهم^(٣).

وطابت للزهري حياة الرفاهية والدعة والعيش الرغيد في القصور الأموية لدرجة أنه حينما قالوا له: لو أنك الآن في آخر عمرك أقمت بالمدينة، فقعدت إلى مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ودرجت وجلسنا إلى عمود من أعمدته، فذكرت الناس وعلمتهم؟

١ - الطبقات الكبرى: ابن سعد، ج ٧، ص ٤٤٧.

٢ - البداية والنهاية: ابن كثير، ج ٩، ص ٣٤١.

٣ - الطبقات الكبرى: ابن سعد، ج ٧، ص ٤٧٤. البداية والنهاية: ج ٩، ص ٣٤٣.

فقال: «لو أني فعلت ذلك لو طئ عقبي، ولا ينبغي لي أن أفعل ذلك حتى أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة!»^(١).

الإمام زين العابدين وعلماء السلاطين

كان للزهري علاقة بالإمام زين العابدين (عليه السلام)، فعندما كان مقيماً في المدينة كان يحضر دروس الإمام، ويتلقى منه العلوم والمعارف، ولكن عندما توجه صوب دمشق، وأصبح من المقربين إلى الحكام الأمويين، وبسبب انغماسه في البلاط الأموي، حتى أصبح من كبار علماء القصر الأموي، حاول الإمام بكل الوسائل والأساليب المختلفة أن يبعده عن هذا المنزلق الخطير؛ فاتبع معه تارة أسلوب الموعدة والنصيحة، وتارة ثانية أسلوب التخويف من العاقبة السيئة ومن نار جهنم، وتارة ثالثة أسلوب المصارحة وبيان أخطائه الكبيرة، فلعل وعسى أن يرتدع عن ارتباطه الوثيق بالأمويين ويتعد عنهم؛ ولكن شهوة المال والسلطة والشهرة أعمت بصيرته وختمت على قلبه. وكان من الأساليب التي اتبعها الإمام معه:

١ - إسماعه المواعظ والعبر:

كان الإمام يذم الدنيا وما فيها أمامه، ويسمعه المواعظ والعبر، عسى أن يتأثر بالموعدة، فقد قال الزهري: سمعت علي بن الحسين سيد العابدين يحاسب نفسه ويناجي ربه، ويقول:

«يَا نَفْسُ حَتَّامٌ إِلَى الْحَيَاةِ سُكُونُكَ، وَإِلَى الدُّنْيَا رُكُونُكَ، أَمَا اعْتَبَرْتَ بِمَنْ مَضَى فِي أَسْلَافِكَ وَمَنْ وَارَثَهُ الْأَرْضُ مِنْ أَلْفِكَ، وَمَنْ فُجِّعَتْ بِهِ مِنْ إِخْوَانِكَ؟!»^(٢).
وروى الكليني بسنده عن الزُّهْرِيِّ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ بْنِ شَهَابٍ، قَالَ:

١ - البداية والنهاية: ابن كثير، ج ٩، ص ٣٨٠.

٢ - مناقب آل أبي طالب (عليه السلام): ابن شهر آشوب، ج ٤، ص: ١٥٢. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ٨٢.

سُئِلَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ): أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ فَقَالَ: «مَا مِنْ عَمَلٍ بَعْدَ مَعْرِفَةِ اللَّهِ - جَلَّ وَعَزَّ - وَمَعْرِفَةِ رَسُولِهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَفْضَلَ مِنْ بُغْضِ الدُّنْيَا، وَإِنْ لِدَلِكْ لَشُعْبًا^(١) كَثِيرَةٌ، وَلِلْمَعَاصِي شُعْبًا، فَأَوَّلُ مَا عُصِيَ اللَّهُ بِهِ الْكِبَرُ،... ثُمَّ الْحَسَدُ، وَهِيَ مَعْصِيَةُ ابْنِ آدَمَ حَيْثُ حَسَدَ أَخَاهُ، فَقَتَلَهُ، فَتَشَعَّبَ مِنْ ذَلِكَ حُبُّ النِّسَاءِ، وَحُبُّ الدُّنْيَا، وَحُبُّ الرِّئَاسَةِ، وَحُبُّ الرَّاحَةِ، وَحُبُّ الْكَلَامِ، وَحُبُّ الْعُلُوِّ وَالشَّرَوَةِ، فَصِرْنَ سَبْعَ خِصَالٍ، فَاجْتَمَعْنَ كُلُّهُنَّ فِي حُبِّ الدُّنْيَا، فَقَالَ الْأَنْبِيَاءُ وَالْعُلَمَاءُ بَعْدَ مَعْرِفَةِ ذَلِكَ: حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ؛ وَالدُّنْيَا دُنيَاءَانِ: دُنْيَا بِلَاغٍ^(٢)، وَدُنْيَا مَلْعُونَةٍ^(٣).

٢- التوجيه الخاص:

قال المدائني: قارف الزهري ذنباً استوحش منه، وهام على وجهه، فقال له علي بن الحسين: «يا زهري، قنوطك من رحمة الله التي وسعت كل شيء أعظم عليك من ذنبك».

فقال الزهري: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(٤) فرجع إلى ماله وأهله^(٥).
وكان يقول - بعد ذلك -: «علي بن الحسين أعظم الناس عليّ منّة»^(٦).

١- في المرأة: «وَأَنَّ لِدَلِكْ، أَي لِبُغْضِ الدُّنْيَا لَشُعْبًا، أَي مِنْ الصِّفَاتِ الْحَسَنَةِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ. وَهِيَ ضِدُّ شُعْبِ الْمَعَاصِي، كَالْتَوَاضُعِ مَعَ الْكِبَرِ، وَالْقَنُوعِ مَعَ الْحِرْصِ، وَالرِّضَا بِمَا آتَاهُ اللَّهُ مَعَ الْحَسَدِ».

٢- في المرأة: «دُنْيَا بِلَاغٍ، أَي تَبْلُغُ بِهِ إِلَى الْآخِرَةِ وَيَحْصُلُ بِهَا مَرْضَاةُ الرَّبِّ تَعَالَى، أَوْ تَكُونُ بِقَدْرِ الضَّرُورَةِ وَالْكَفَافِ؛ فَالزَّائِدُ عَلَيْهَا مَلْعُونَةٌ، أَي مَلْعُونٌ صَاحِبُهَا، فَالْإِسْنَادُ عَلَى الْمَجَازِ؛ أَوْ هِيَ مَلْعُونَةٌ، أَي بَعِيدَةٌ مِنَ اللَّهِ وَمِنْ الْخَيْرِ وَالسَّعَادَةِ».

٣- الكافي: ج ٢، ص ١٣٠، ح ١١. الخصال: ص ٢٥، باب الواحد، ح ٨٧، الوافي: ج ٤، ص ٣٩٢، ح ٢١٧٦؛ و ج ٥، ص ٨٩٢، ح ٣٢٣٨؛ البحار: ج ٧٠، ص ٥٩، ح ٢٩.

٤- سورة الأنعام: الآية ١٢٤.

٥- تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر، ج ٤١، ص ٣٩٨. البداية والنهاية: ابن كثير، ج ٩، ص ١٢٥. ينابيع المودة: ج ٢، ص ٤٦٨.

٦- البداية والنهاية: ابن كثير، ج ٩، ص ١٢٦.

٣- التصغير والتهوين:

عندما كان الزهري وعروة بن الزبير ينالان من الإمام علي (عليه السلام)، بلغ ذلك علي بن الحسين (عليه السلام) فجاء حتى وقف عليهما، وقال: «أما أنت يا عروة، فإن أبي حاكم أباك إلى الله فحكم لأبي على أبيك. وأما أنت يا زهري، فلو كنت بمكة لأريتك كبر أبيك»^(١).

٤- التكذيب لتملقاته:

كان الزهري يتملق للأمويين، ويصفهم بأوصاف باطلة، وكان الإمام يكذب تملقه وتزلفه لحكام بني أمية، كي يبين الحق، ويظهر كذب الزهري ونفاقه، فقد روي: أن الزهري قال لعلي بن الحسين (عليه السلام): «كَانَ مُعَاوِيَةَ يُسَكِّتُهُ الْحِلْمُ، وَيُنْطِقُهُ الْعِلْمُ!» فقال الإمام (عليه السلام): «كَذَبْتَ يَا زَهْرِي، بَلْ كَانَ يُسَكِّتُهُ الْحَصْرُ، وَيُنْطِقُهُ الْبَطَرُ»^(٢).

رسالة الإمام زين العابدين للزهري

عندما أصبح الزهري من علماء السلاطين ووعاظهم الكبار، ومن المدافعين عنهم، ومن المزينين لهم سوء أفعالهم، وبعدما تولى منصب الإفتاء والقضاء في الدولة الأموية، وكان من الذين يخلقون الأحاديث والروايات الموضوعة وينسبونها إلى رسول الله ﷺ كذباً وزوراً، أرسل إليه الإمام زين العابدين (عليه السلام) رسالة شديدة اللهجة، داعياً إياه إلى الانتباه إلى آخرته، والتفكير في عاقبة أمره، وألا تغره بهارج الدنيا وزينتها، مبيناً له -ولأمثاله من وعاظ السلاطين- أخطار الارتباط بحكام الظلم والجور ومعاونتهم؛ وقد روى

١ - شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، ج ٤، ص ١٠٢.

٢ - الاعتصام: ج ٢، ص ٢٥٧. ونسب أن القائل في حق معاوية هو نافع بن جبير. راجع: بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٥٨.

هذه الرسالة الخاصة والعامة، ونصّ الغزالي على أن الإمام أرسل إليه هذه الرسالة لما خالط السلطان^(١)، وإليكم نصّها كما رواها ابن شعبة الحراني في كتابه: تحف العقول، وهي:

« كَفَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنَ الْفِتَنِ وَرَحِمَكَ مِنَ النَّارِ، فَقَدْ أَصْبَحْتَ بِحَالٍ يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَكَ بِهَا أَنْ يَرْحَمَكَ، فَقَدْ أَثْقَلْتِكَ نِعْمُ اللَّهِ بِمَا أَصَحَّ مِنْ بَدَنِكَ وَأَطَالَ مِنْ عُمْرِكَ، وَقَامَتْ عَلَيْكَ حُجَجُ اللَّهِ بِمَا حَمَلَكَ مِنْ كِتَابِهِ، وَفَقَّهَكَ فِيهِ مِنْ دِينِهِ، وَعَرَّفَكَ مِنْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَضِي لَكَ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْكَ، وَفِي كُلِّ حُجَّةٍ احْتَجَّ بِهَا عَلَيْكَ الْفَرَضُ بِمَا قَضَى، فَمَا قَضَى إِلَّا ابْتَلَى شُكْرَكَ فِي ذَلِكَ وَأَبْدَى فِيهِ فَضْلَهُ عَلَيْكَ، فَقَالَ: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(٢).

فَانْظُرْ أَيَّ رَجُلٍ تَكُونُ غَدًا إِذَا وَقَفْتَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ فَسَأَلَكَ عَنْ نِعَمِهِ عَلَيْكَ كَيْفَ رَعَيْتَهَا؟ وَعَنْ حُجَجِهِ عَلَيْكَ كَيْفَ قَضَيْتَهَا؟ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ قَابِلًا مِنْكَ بِالتَّعْذِيرِ وَلَا رَاضِيًا مِنْكَ بِالتَّقْصِيرِ، هِيَئَاتِ هِيَئَاتِ! لَيْسَ كَذَلِكَ، أَخَذَ عَلَى الْعُلَمَاءِ فِي كِتَابِهِ إِذْ قَالَ: ﴿لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾^(٣).

وَأَعْلَمَ أَنَّ أَدْنَى مَا كَتَمْتَ وَأَخَفَّ مَا احْتَمَلْتَ أَنْ أَنْتَ وَحْشَةُ الظَّالِمِ وَسَهْلَتَ لَهُ طَرِيقَ الْغِيِّ بِدُّوْكَ مِنْهُ حِينَ دَنَوْتَ وَإِجَابَتِكَ لَهُ حِينَ دُعِيتَ، فَمَا أَخَوْفَنِي أَنْ تَكُونَ تَبَوُّءَ بَائِثِكَ غَدًا مَعَ الْحَوَانَةِ، وَأَنْ تُسْأَلَ عَمَّا أَخَذْتَ بِإِعَانَتِكَ عَلَى ظُلْمِ الظَّالِمَةِ، إِنَّكَ أَخَذْتَ مَا لَيْسَ لَكَ بِمَنْ أَعْطَاكَ، وَدَنَوْتَ بِمَنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَى أَحَدٍ حَقًّا وَلَمْ تَرُدَّ بَاطِلًا حِينَ أَدْنَاكَ، وَأَحْبَبْتَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ. أَوَلَيْسَ بِدُعَائِهِ إِيَّاكَ حِينَ دَعَاكَ جَعَلُوكَ قُطْبًا أَدَارُوا بِكَ رَحَى مَظَالِمِهِمْ،

١ - إحياء علوم الدين: الغزالي، ج ٢، ص ١٤٣.

٢ - إبراهيم: ٧.

٣ - آل عمران: ١٨٧.

وَجَسْرًا يَعْبُرُونَ عَلَيْكَ إِلَى بَلَايَاهُمْ، وَسَلَّمًا إِلَى ضَلَالَتِهِمْ؟! دَاعِيًا إِلَى غِيهِمْ، سَالِكًا سَبِيلَهُمْ، يُدْخِلُونَ بِكَ الشَّكَّ عَلَى الْعُلَمَاءِ، وَيَقْتَادُونَ بِكَ قُلُوبَ الْجُهَّالِ إِلَيْهِمْ، فَلَمْ يَبْلُغْ أَحْصُ وُزَرَائِهِمْ وَلَا أَقْوَى أَعْوَانِهِمْ إِلَّا دُونَ مَا بَلَغْتَ مِنْ إِصْلَاحِ فَسَادِهِمْ وَاخْتِلَافِ الْخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ إِلَيْهِمْ، فَمَا أَقَلَّ مَا أَعْطَوكَ فِي قَدْرِ مَا أَخَذُوا مِنْكَ؟! وَمَا أَيْسَرَ مَا عَمَرُوا لَكَ فَكَيْفَ مَا خَرَّبُوا عَلَيْكَ؟! فَاَنْظُرْ لِنَفْسِكَ فَإِنَّهُ لَا يَنْظُرُ لَهَا غَيْرُكَ، وَحَاسِبُهَا حِسَابَ رَجُلٍ مَسْئُولٍ. وَانْظُرْ كَيْفَ شُكْرُكَ لِمَنْ غَذَّاكَ بِنِعْمِهِ صَغِيرًا وَكَبِيرًا؟ فَمَا أَخَوْفَنِي أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾^(١). إِنَّكَ لَسْتَ فِي دَارِ مُقَامٍ، أَنْتَ فِي دَارٍ قَدْ أَذْنَتْ بِرَحِيلٍ، فَمَا بَقَاءُ الْمَرْءِ بَعْدَ قُرْنَائِهِ؟! طُوبَى لِمَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا عَلَى وَجَلٍ، يَا بُؤْسَ لِمَنْ يَمُوتُ وَتَبَقِيَ ذُنُوبُهُ مِنْ بَعْدِهِ! احْذَرِ فَقَدْ نُبِّئْتَ، وَبَادِرِ فَقَدْ أُجِّلْتَ، إِنَّكَ تُعَامِلُ مَنْ لَا يَجْهَلُ، وَإِنَّ الَّذِي يَحْفَظُ عَلَيْكَ لَا يَغْفُلُ، تَجَهَّزْ فَقَدْ دَنَا مِنْكَ سَفَرٌ بَعِيدٌ، وَدَاوِ ذَنْبَكَ فَقَدْ دَخَلَهُ سُقْمٌ شَدِيدٌ.

وَلَا تَحْسَبْ أَنِّي أَرَدْتُ تَوْبِيخَكَ وَتَعْنِيفَكَ وَتَعْيِيرَكَ، لَكِنِّي أَرَدْتُ أَنْ يَنْعَشَ اللَّهُ مَا (قَدْ) فَاتَ مِنْ رَأْيِكَ وَيُرَدَّ إِلَيْكَ مَا عَزَبَ مِنْ دِينِكَ، وَذَكَرْتُ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

أَغْفَلْتَ ذِكْرَ مَنْ مَضَى مِنْ أَسْنَانِكَ وَأَقْرَانِكَ، وَبَقِيَتْ بَعْدَهُمْ كَقَرْنٍ أَعْصَبَ. انْظُرْ هَلِ ابْتُلُوا بِمِثْلِ مَا ابْتُلَيْتَ؟ أَمْ هَلِ وَقَعُوا فِي مِثْلِ مَا وَقَعْتَ فِيهِ؟ أَمْ هَلِ تَرَاهُمْ ذَكَرْتَ خَيْرًا أَهْمَلُوهُ وَعَلِمْتَ شَيْئًا جَهْلُوهُ؟ بَلْ حَظَيْتَ بِمَا

١- الأعراف: ١٦٩.

٢- الذاريات: ٥٥.

حَلَّ مِنْ حَالِكَ فِي صُدُورِ الْعَامَّةِ وَكَلَّفِهِمْ^(١) بِكَ، إِذْ صَارُوا يَقْتَدُونَ بِرَأْيِكَ وَيَعْمَلُونَ بِأَمْرِكَ؛ إِنْ أَحَلَلْتَ أَحَلُّوا وَإِنْ حَرَّمْتَ حَرَّمُوا، وَلَيْسَ ذَلِكَ عِنْدَكَ، وَلَكِنْ أَظْهَرَهُمْ عَلَيْكَ رَغْبَتَهُمْ فِيمَا لَدَيْكَ، [و] ذَهَابُ عِلْمَائِهِمْ، وَغَلَبَةُ الْجَهْلِ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِمْ، وَحُبُّ الرِّئَاسَةِ وَطَلَبُ الدُّنْيَا مِنْكَ وَمِنْهُمْ. أَمَا تَرَى مَا أَنْتَ فِيهِ مِنَ الْجَهْلِ وَالْغِرَّةِ وَمَا النَّاسُ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْفِتْنَةِ؟! قَدْ ابْتَلَيْتَهُمْ وَفَتَنْتَهُمْ بِالشُّغْلِ عَنْ مَكَاسِبِهِمْ مِمَّا رَأَوْا، فَتَأَقَّتْ نَفُوسُهُمْ إِلَى أَنْ يَبْلُغُوا مِنَ الْعِلْمِ مَا بَلَغْتَ، أَوْ يُدْرِكُوا بِهِ مِثْلَ الَّذِي أَدْرَكْتَ، فَوَقَعُوا مِنْكَ فِي بَحْرٍ لَا يُدْرِكُ عُمُقُهُ، وَفِي بَلَاءٍ لَا يُقَدَّرُ قَدْرُهُ، فَاللَّهُ لَنَا وَلَكَ وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ.

أَمَّا بَعْدُ، فَأَعْرِضْ عَنْ كُلِّ مَا أَنْتَ فِيهِ حَتَّى تَلْحَقَ بِالصَّالِحِينَ، الَّذِينَ دُفِنُوا فِي أَسْمَائِهِمْ، لَا صِقَّةَ بَطُونِهِمْ بِظُهُورِهِمْ، لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ، وَلَا تَفْتِنُهُمُ الدُّنْيَا وَلَا يُفْتَنُونَ بِهَا، رَغِبُوا فَطَلَبُوا فَمَا لَبِثُوا أَنْ لَحِقُوا. فَإِذَا كَانَتِ الدُّنْيَا تَبْلُغُ مِنْ مِثْلِكَ هَذَا الْمَبْلَغَ - مَعَ كِبَرِ سِنِّكَ وَرُسُوخِ عِلْمِكَ وَحُضُورِ أَجَلِكَ - فَكَيْفَ يَسْلُمُ الْحَدِيثُ فِي سِنِّهِ، الْجَاهِلُ فِي عِلْمِهِ، الْمَأْفُونُ فِي رَأْيِهِ، الْمَدْخُولُ فِي عَقْلِهِ؟! إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. عَلَى مَنْ الْمُعَوَّلُ؟ وَعِنْدَ مَنْ الْمُسْتَعْتَبُ؟ نَشْكُو إِلَى اللَّهِ بَيْنَنَا وَمَا نَرَى فِيكَ، وَنَحْتَسِبُ عِنْدَ اللَّهِ مُصِيبَتَنَا بِكَ. فَاَنْظُرْ كَيْفَ شُكْرُكَ لِمَنْ غَذَّاكَ بِنِعْمِهِ صَغِيرًا وَكَبِيرًا؟ وَكَيْفَ إِعْظَامُكَ لِمَنْ جَعَلَكَ بِدِينِهِ فِي النَّاسِ جَمِيلًا؟ وَكَيْفَ صَيَانُكَ لِكِسْوَةِ مَنْ جَعَلَكَ بِكِسْوَتِهِ فِي النَّاسِ سَتِيرًا؟ وَكَيْفَ قُرْبُكَ أَوْ بُعْدُكَ مِمَّنْ أَمَرَكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُ قَرِيبًا ذَلِيلًا؟ مَا لَكَ لَا تَتَّبِعُهُ مِنْ نَعْسَتِكَ وَتَسْتَقِيلُ مِنْ عَشْرَتِكَ؟! فَتَقُولُ: وَاللَّهِ مَا قُفْتُ لِلَّهِ مَقَامًا وَاحِدًا أَحْيَيْتُ بِهِ لَهُ دِينًا أَوْ أَمْتُ لَهُ فِيهِ بَاطِلًا، فَهَذَا شُكْرُكَ مَنْ

١ - كَلَّفَ بِالشَّيْءِ كَلْفًا وَكُلْفَةً فَهُوَ كَلَّفَ وَمَكَلَّفَ: لَهَجَ بِهِ، كَلَّفَ بِهَا أَشَدَّ الْكَلْفِ أَيْ أَحْبَبَهَا. الْكَافُ: الْوَلُوعُ بِالشَّيْءِ مَعَ شُغْلِ قَلْبٍ وَمَشَقَّةٍ (لسان العرب: ج ٩ ص ٣٠٧ «كلف»).

اسْتَحْمَلْكَ^(١)! مَا أَخَوْفَنِي أَنْ تَكُونَ كَمَنْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾^(٢) اسْتَحْمَلْكَ كِتَابُهُ وَاسْتَوْدَعَكَ عِلْمَهُ فَأَضَعَتْهَا، فَنَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي عَافَانَا مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَالسَّلَامُ^(٣).

احتوت هذه الرسالة الدامغة والقاصعة على دلالات مهمة وتنبهات عديدة، نلخصها في النقاط الآتية:

١ - تدل هذه الرسالة المهمة على أن الإمام كان يراقب الأوضاع السياسية في زمانه بدقة فائقة، وكان على معرفة تامة بما يدور في أروقة البلاط الأموي، وعلاقة الحكام الأمويين بالعلماء المتهاين معهم كالزهرري.

٢ - إن هذه الرسالة تحمل في طياتها مواقف سياسية واضحة من حكام الظلم والجور، فهو يعتبر الحكام الأمويين ظلمة وفسقة، والتعامل معهم حرام، ومعاونتهم على أفعالهم الظالمة من أشد المحرمات والمنكرات؛ ولذا كان يدعو الزهرري إلى ترك العمل معهم، والابتعاد عنهم حتى يحافظ على دينه، وألا يخسر آخرته.

٣ - أراد الإمام من رسالته إقامة الحجة وإتمام البلاغ على أكبر علماء البلاط الأموي (وأمثاله) وهو ابن شهاب الزهرري، وأن ما فعله مخالف لسيرة العلماء الصالحين، وأنه في موضع لا يحسد عليه، فقد عمّر دنياه وأفسد آخرته، فكان مما قاله الإمام له: «فَانْظُرْ أَيَّ رَجُلٍ تَكُونُ غَدًا إِذَا وَقَفْتَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ فَسَأَلَكَ عَنْ نِعَمِهِ عَلَيْكَ كَيْفَ رَعَيْتَهَا؟ وَعَنْ حُجَجِهِ عَلَيْكَ كَيْفَ قَضَيْتَهَا؟ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ قَابِلًا مِنْكَ بِالتَّعْذِيرِ وَلَا رَاضِيًا مِنْكَ بِالتَّقْصِيرِ، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ!».

١ - استعملك.

٢ - مريم: ٥٩.

٣ - تحف العقول: ص ٢٧٤، بحار الأنوار: ج ٧٨ ص ١٣٢ ح ٢؛ تاريخ دمشق: ج ٢٢ ص ٤١ نحوه.

٤- إن معونة الظالم على ظلمه أمر محرم، وأن الركون إلى الظلمة من أشد المحرمات وأعظمها، وأن الظالمين يستغلون علماء السوء الذين يزيّنون لهم سوء أعمالهم، ويكونون بمثابة الجسر الذي يعبرونه لتمرير أفعالهم القبيحة، وأن من يعاونهم في ظلمهم يكون شريكاً معهم في آثامهم وذنوبهم، فقد قال له الإمام: «وَأَعْلَمُ أَنَّ أَدْنَى مَا كَتَمْتُ وَأَخَفَّ مَا احْتَمَلْتُ أَنْ أَنْتَ وَحِشَةُ الظَّالِمِ وَسَهَّلْتَ لَهُ طَرِيقَ الْغَيِّ بِدُنُوكَ مِنْهُ حِينَ دَنَوْتَ وَإِجَابَتِكَ لَهُ حِينَ دُعِيتَ، فَمَا أَخَوْفَنِي أَنْ تَكُونَ تَبَوُّءُ بِإِثْمِكَ غَدًا مَعَ الْحَوْنَةِ، وَأَنْ تُسْأَلَ عَمَّا أَخَذْتَ بِإِعَانَتِكَ عَلَى ظُلْمِ الظَّالِمَةِ».

٥- الدعوة إلى المراجعة ومحاسبة النفس، والاستعداد للموت، والتفكير في الآخرة، فقد قال له الإمام محذراً إياه من الغفلة والركون إلى دار الدنيا: «إِنَّكَ لَسْتَ فِي دَارِ مُقَامٍ، أَنْتَ فِي دَارٍ قَدْ آذَنْتَ بِرَحِيلٍ، فَمَا بَقَاءُ الْمَرْءِ بَعْدَ قُرْنَائِهِ؟! طُوبَى لِمَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا عَلَى وَجَلٍ، يَأْبُؤُسَ لِمَنْ يَمُوتُ وَتَبْقَى ذُنُوبُهُ مِنْ بَعْدِهِ!».

٦- يبيّن الإمام أن الهدف من الموعظة والنصح ليس التوبيخ ولا التعنيف ولا التعيير والتشهير، وإنما الهداية إلى الحق والإرشاد إلى الصواب، فقال: «وَلَا تَحْسَبْ أَنِّي أَرَدْتُ تَوْبِيخَكَ وَتَعْنِيفَكَ وَتَعْيِيرَكَ، لَكِنِّي أَرَدْتُ أَنْ يَنْعَشَ اللَّهُ مَا (قَدْ) فَاتَ مِنْ رَأْيِكَ وَيَرُدَّ إِلَيْكَ مَا عَزَبَ مِنْ دِينِكَ».

٧- أوضح الإمام في هذه الرسالة خطر وعاز السلاطين، وعلماء السوء الذين يجرمون ما أحلّ الله، ويحللون ما حرّم الله، وأن هذا من الفتن الكبرى والابتلاءات العظمى، وباعثه حب الدنيا، وحب الرئاسة، وحب المال والشهرة، فقال عليه السلام: «إِذْ صَارُوا [العامة] يَقْتَدُونَ بِرَأْيِكَ وَيَعْمَلُونَ بِأَمْرِكَ؛ إِنْ أَحَلَّتْ أَحَلُّوا وَإِنْ حَرَّمَتْ حَرَّمُوا، وَلَيْسَ ذَلِكَ عِنْدَكَ، وَلَكِنْ أَظْهَرَهُمْ

عَلَيْكَ رَغْبَتُهُمْ فِيمَا لَدَيْكَ، [و] ذَهَابُ عُلَمَائِهِمْ، وَغَلَبَةُ الْجَهْلِ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِمْ، وَحُبُّ الرِّئَاسَةِ وَطَلَبُ الدُّنْيَا مِنْكَ وَمِنْهُمْ. أَمَا تَرَى مَا أَنْتَ فِيهِ مِنَ الْجَهْلِ وَالْغِرَّةِ وَمَا النَّاسُ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْفِتْنَةِ؟!».

٨- يدعو الإمام في رسالته للزهري - ومن سار على نهجه من وعاظ السلاطين - إلى عدم الاغترار بزخارف الدنيا، والافتتان بها، وإنما الاقتداء بالعلماء الصالحين الذين كانوا يزهدون في الدنيا ويرغبون في الآخرة، إذ قال: «فَأَعْرِضْ عَنْ كُلِّ مَا أَنْتَ فِيهِ حَتَّى تَلْحَقَ بِالصَّالِحِينَ، الَّذِينَ دُفِنُوا فِي أَسْمَائِهِمْ، لَا صِقَّةَ بَطُونُهُمْ بِظُهُورِهِمْ، لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ، وَلَا تَفْتِنُهُمُ الدُّنْيَا وَلَا يُفْتَنُونَ بِهَا، رَغِبُوا فَطَلَبُوا فَمَا لَيْشُوا أَنْ لَحِقُوا».

٩- في نهاية الرسالة يدعو الإمام الزهري (ومن لفَّ لفَّه) إلى شكر الله تعالى على نعمه، والعمل بإخلاص من أجل دينه، والاستيقاظ من نوم الغفلة، والاستقالة من معاونة الظالمين، فقال له منبهًا وناصحًا: «فَانْظُرْ كَيْفَ شُكْرُكَ لِمَنْ غَذَّاكَ بِنِعْمِهِ صَغِيرًا وَكَبِيرًا؟ وَكَيْفَ إِعْظَامُكَ لِمَنْ جَعَلَكَ بِدِينِهِ فِي النَّاسِ جَمِيلًا؟ وَكَيْفَ صِيَانَتُكَ لِكِسْوَةِ مَنْ جَعَلَكَ بِكِسْوَتِهِ فِي النَّاسِ سَتِيرًا؟ وَكَيْفَ قُرْبُكَ أَوْ بُعْدُكَ مِمَّنْ أَمَرَكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُ قَرِيبًا ذَلِيلًا؟ مَا لَكَ لَا تَتَّبِعُهُ مِنْ نَعْسَتِكَ وَتَسْتَقِيلُ مِنْ عَثَرَتِكَ؟! فَتَقُولُ: وَاللَّهِ مَا قُضِيَ لَللَّهِ مَقَامًا وَاحِدًا أَحْيَيْتُ بِهِ لَهُ دِينًا أَوْ أَمْتُ لَهُ فِيهِ بَاطِلًا!».

١٠- يختم الإمام رسالته القاصعة بحمد الله تعالى على نعمة البعد عن ركب الظالمين ومسايرتهم، ونبّه الزهري وأضرابه إلى الابتلاء الذي ابتلوا به من الركون إلى الظلمة ومعاونتهم على ظلمهم، فهذا من أعظم البلاء وأكبر الفتن، فيقول: «فَنَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي عَافَانَا مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ!».

٣- موقفه من حكام الظلم والجور

كان موقف أئمة أهل البيت عليهم السلام من حكام الظلم والجور كبنى أمية وبنى العباس موقفاً ثابتاً، وهو عدم الاعتراف بشرعية حكمهم، وعدم إظهار التأييد لهم، وتحذير شيعتهم وأتباعهم من التعامل الإيجابي معهم، أو الركون إليهم، أو الإتيان بأي عمل فيه معاونه لهم على ظلمهم؛ ولكن الأساليب والتكتيكات في التعاطي معهم قد تختلف من إمام إلى إمام بحسب الظروف السياسية والأوضاع التي تتطلبها المرحلة المعاصرة لكل إمام، فالمبادئ والقيم السياسية دائماً ثابتة ومنها مبدأ عدم إعطاء الشرعية لأي حاكم ظالم، ولكن الوسائل في التعاطي معهم قد تختلف باختلاف الزمان والمكان.

عاش الإمام زين العابدين عليه السلام في ظروف سياسية صعبة، تميزت بالاستبداد والدكتاتورية والظلم والجور والقهر والعسف، وعاصر ستة من الحكام في زمان إمامته، وتعامل معهم بمتهى الحكمة والحنكة للحفاظ على ما تبقى من عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد واقعة كربلاء، والحفاظ على ما بقي من شيعته وأتباعه من الإبادة والفناء، وكى يستمر نهج مدرسة أهل البيت في البقاء والديمومة، والحفاظ على الإسلام المحمدي الأصيل.

وعندما نقرأ في سيرة الإمام مع حكام عصره، نجد أنه واجه يزيد بكل جرأة وشجاعة منقطعة النظير، فمع أنه كان من أعتى طغاة بنى أمية وأبعدهم عن الإنسانية وأشدّهم بطشاً فقد استنكر عليه الإمام وأمامه مباشرة عندما أحضر إليه في قصره بالشام ما فعله في كربلاء من قتل سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، وسببه للنساء والأطفال؛ ولولا لطف الله وحفظه لقتله كما همّ بذلك.

وأما تعامله مع عبدالله بن الزبير وصراعه المير مع الأمويين فكان الإمام

محاييداً، بمعنى أنه لم يؤيد طرفاً ضد الطرف الآخر، وكان يعتبر الحروب الداخلية بين المسلمين فتنة، وكان يتحاشى التعامل معه لعلمه بعدائه الشديد لأهل البيت، وانحرافه عن منهج الحق.

وأما مواقفه من باقي حكام بني أمية كمروان بن الحكم وابنه عبد الملك ثم ابنه الوليد فكان يتجنب التصادم والمواجهة معهم بقدر الإمكان، كما أنه لم يكن يقر لهم بأية شرعية دينية، بالرغم من محاولات الحكام الأمويين الحصول على مباركة الإمام لحكمهم؛ لكن الإمام كان حريصاً على عدم إعطائهم أي غطاء شرعي لحكمهم الظالم.

وقام الإمام (عليه السلام) بخطوة إنسانية نبيلة تجاه مروان بن الحكم، فعندما ثار أهل المدينة ضد الحكم الأموي وطرّدوا واليهم عثمان بن محمد بن أبي سفيان وسائر بني أمية من المدينة المنورة، التجأ مروان إلى الإمام كي يحفظ زوجته في داره خوفاً من بطش الثوار، فقبل الإمام ذلك وآواها في داره، بالرغم من مواقف مروان العدائية تجاه أبيه الإمام الحسين (عليه السلام) ومن قبله عمه الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام)، لكن الإمام تعامل معه بمتهى الإنسانية والرحمة تجاه الموقف من إيواء زوجته عنده في حين رفض ابن عمر إيواءها حتى قال مروان: «قبح الله أمراً كهذا»^(١).

هذا الموقف الإنساني النبيل للإمام جعل مروان يذكر له هذا الأمر، فلم يتعرض إليه أيام حكمه بسوء بالرغم من عدائه الشديد لأهل البيت، كما أن علاقة ابنه عبد الملك بالإمام كانت طيبة في بادئ الأمر، حتى إنه ردّ أوقاف بني هاشم إليه، فقد روى المفيد: «لما ولي عبد الملك بن مروان الخلافة ردّ إلى علي بن الحسين (صلوات الله عليهما) صدقات

رسول الله وعلي بن أبي طالب (صلوات الله عليهما)، وكانتا مضمومتين^(١). ولكن سرعان ما تدهورت العلاقات بينهما نتيجة سعي الوشاة بالإمام، حتى إن الحجاج اقترح على عبد الملك أن يقتل الإمام، لكنه رفض هذا الاقتراح لما يعرفه من نتائج وخيمة على حكمه لو قام بهذا الأمر.

ومع أن الإمام لم يقم بأي مواجهة علنية ضد حكمه، بل انشغل بالعلم والتوجيه والإرشاد والتربية إلا أنه كان يتوجس من الإمام، ويخاف من أنشطته وتحركاته العلمية والاجتماعية، فوضع عليه العيون لمراقبته ورصد جميع سكناته وتحركاته، وازاد الأمر سوءاً وتوتراً عندما رفض الإمام أن يعطيه سيف رسول الله ﷺ وموارثه؛ لأن الإمام كان يرفض إعطاء أية شرعية لحكام الجور والظلم^(٢).

ووصل الأمر بعبد الملك أن يأمر باعتقال الإمام وحمله إلى دمشق عاصمة الخلافة الأموية بعدما وصلت تقارير عن نشاط الإمام العلمي، والتفاف الناس حوله، وتوجس الأمويين منه؛ لكنه سرعان ما أمر بإطلاق سراحه^(٣).

وبعد هلاك عبد الملك بن مروان تولى الخلافة ابنه الوليد، وكان حاكماً ظلوماً وجباراً غشوماً، وكان شديد البغض والعداء لأهل البيت عليهم السلام، وكان يتوجس من الإمام زين العابدين عليه السلام ومن أنشطته الدينية والعلمية، وكان يعتبره خطراً على الحكم الأموي لما يتمتع به من شعبية كبيرة، فقرر دس السم إليه واغتياله، ولم يعيش الوليد بعد شهادة الإمام إلا شهوراً قلائل حتى انتقم الله منه وقصف عمره فهلك ليجازي بسوء أفعاله الإجرامية.

١ - الإرشاد: الشيخ المفيد، ص ٢٤٩.

٢ - راجع: مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص: ١٦٥. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ٩٥.

٣ - راجع: مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ابن شهر آشوب، ج ٤، ص: ١٣٢.

خلاصة الموقف السياسي للإمام

يستفاد من مجموع مواقف الإمام زين العابدين (عليه السلام) من حكام زمانه هو عدم الدخول في احتكاك ومواجهة مباشرة معهم ماعدا ابن زياد عندما أدخل عليه في قصره بالكوفة ويزيد لما أدخل عليه في قصره بالشام، إذ حدثت بينه وبينهما مشادات كلامية شديدة بسبب واقعة كربلاء الدامية، فقد جهر الإمام بالحق وأعلن أمامهما استنكاره لما قاما به من أعمال إجرامية وبشعة، وكاد الإمام أن يقتل لولا حفظ الله له.

ومن جهة أخرى كان الإمام يرفض التواصل أو التعامل الإيجابي معهم إلا بقدر ما تفرضه الضرورة والمصلحة العامة والتقية، فالإمام كان على طرف نقيض مع حكمهم الظالم، ولم يعطهم أي موقف أو كلمة تدل على إعطائهم أي غطاء شرعي لهم؛ وقد انشغل بتوجيه الأمة وإرشادها، ونشر العلوم والمعارف الدينية، وتربية الجماعة المؤمنة، وإصلاح الأخلاق وتهذيب النفوس، وبث الوعي في الأمة.

وكان الإمام يرفض التواصل الاختياري مع حكام الظلم والجور، أو الذهاب إليهم لتهنئتهم، أو مجاملتهم، وما شابه ذلك، وقد اعتبر الإمام (كسائر أئمة أهل البيت) أن أي عمل فيه إعانة للظالم على ظلمه أمر محرم، إلا بقدر ما تقتضيه التقية أو المصلحة أو الضرورة، والضرورات تقدر بقدرها.

وأمر الإمام زين العابدين (عليه السلام) شيعته باتباع التقية والكتمان في زمانه، وعدم إظهار أسرار أهل البيت وخصوصياتهم وأحاديثهم للمعاندين الحاقدين للحفاظ عليهم من الأذى والضرر، فقد روى الكليني بسند صحيح عن أبي

حمزة، عنه عليه السلام قَالَ: «وَدِدْتُ وَاللَّهِ أَنِّي افْتَدَيْتُ^(١) خَصَلَتَيْنِ فِي الشَّيْعَةِ لَنَا بَعْضُ لَحْمٍ سَاعِدِي^(٢): النَّزَقُ^(٣)، وَقَلَّةَ الْكَيْمَانِ^(٤)»^(٥).

قال المولى محمد صالح المازندراني في شرحه لهذا الحديث: «ولما كانت التقية شديدة في عصرهم عليه السلام أمروا شيعتهم بكتمان أسرارهم وإمامتهم وأحاديثهم وأحكامهم المختصة بمذهبهم عن المعاندين وغيرهم ممن لا يعرفونه ليحفظوا من بطشهم، وقد بالغ عليه السلام في ذلك ورغب فيه حتى إنه عدَّ ضررهم أشد من قطع لحم الساعد مع أنه يقتل غالباً»^(٦).

ومطالبة الإمام شيعته بتجنب النزق (وهو الطيش والخفة والاندفاع للعمل بدون تخطيط وحكمة)، وضرورة التحلي بالكتمان والحذر والتقية، وكنم أسرارهم وأحاديثهم وأنشطتهم عن المعاندين يدل على صعوبة الظروف السياسية في زمانه، وإلا لما كان هناك داعي للتشديد على ذلك. كما يستفاد من كلام الإمام عليه السلام ضرورة التحلي بالحكمة والاتزان في كل الأمور، وعدم الاندفاع لتبني مواقف سياسية أو القيام بأعمال ارتجالية غير

١ - «الفدى» و«الفداء»: حفظ الإنسان عن النائية بما يبذله عنه. يقال: فديته بمال وفديته بنفسه وفاديت بكذا. وافتدى: إذا بذل ذلك عن نفسه، وفدت المرأة نفسها من زوجها، وافتدت: أعطته مالا حتى تخلصت منه بالطلاق. المفردات للراغب، ص ٦٢٧؛ المصباح المنير، ص ٤٦٥ (فدى).

٢ - في المرأة: «كَانَ المعنى: وددت أن اهلك واذهب تينك الخصلتين عن الشيعة، ولو انجر الأمر إلى أن يلزمني أن أعطي فداءً عنها بعض لحم ساعدي».

٣ - «النَّزَقُ»: خَفَّةٌ فِي كُلِّ أَمْرٍ، وَعَجَلَةٌ فِي جَهْلٍ وَخُمْقٍ. ترتيب كتاب العين، ج ٣، ص ١٧٨٠ (نزق).

٤ - في المرأة: «والمراد بالكتمان: إخفاء أحاديث الأنثى وأسرارهم عن المخالفين عند خوف الضرر عليهم وعلى شيعتهم، أو الأعم منه ومن كتمان أسرارهم وغوامض أخبارهم عمن لا يحتلمه عقله».

٥ - الكافي: ج ٢، ص ٢٢٢، ح ١. الخصال: ص ٤٤، ح ٤٠. الوافي: ج ٥، ص ٦٩٧، ح ٢٩٠٠. الوسائل: ج ١٦، ص ٢٣٥، ح ٢١٤٤٨. البحار، ج ٧٢، ص ٧١، ح ١٨.

٦ - شرح أصول الكافي: المولى محمد صالح المازندراني، ج ٩، ص ١٢٧.

مدروسة لما لذلك من آثار سلبية وعواقب وخيمة على الجماعة المؤمنة، وضرورة مراعاة الكتمان في القضايا التي يؤدي نشرها وإظهارها إلى عواقب سيئة؛ فالتحرك السياسي وحتى النشاط العلمي والفكري في ظل الحكم الأموي المستبد (وما شابهه) يتطلب التروي والحكمة والحنكة كما كان يفعل الإمام زين العابدين (عليه السلام)، فقد كان يعمل طوال أيام إمامته وفق خطة مدروسة وحكيمة، وهو ما نرى آثاره الإيجابية حتى يومنا الحاضر، إذ استطاع الإمام أن يحافظ على نفسه وأهل بيته وشيعته من الإبادة، وأن يربي جيلاً مؤمناً وملتزماً بنهج أهل البيت، وأن يوصل تراثه الديني والعلمي وأدعيته ومناجاته ومواعظه إلى الناس في كل زمان ومكان بفضل جهود تلامذته ورواته وثقاته؛ فرغم مرور المئات من السنين بقي تراثه خالداً وسيبقى إلى يوم الدين، يتوارثه الناس جيلاً بعد جيل.

الفصل الثالث

خطط الإمام زين العابدين في مواجهة الاستبداد الأموي

١- إبراز مظلومية أهل البيت.

٢- إيصال رسالة النهضة الحسينية.

٣- بث الوعي في الأمة.

٤- رعاية الجماعة المؤمنة.

٥- الإصلاح الاجتماعي.



١ - إبراز مظلومية أهل البيت

من أهم الخطط السياسية التي اتبعها الإمام زين العابدين عليه السلام في مواجهة السلطة الأموية الظالمة التأكيد على مظلومية أهل البيت الأطهار عليه السلام، وخصوصاً مظلومية الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه الذين استشهدوا معه في كربلاء، وإبراز ما حدث لهم من مأساة مؤلمة وفجائع فضيعة وأهوال رهيبة، وتذكير الناس الدائم بمأساة كربلاء الأليمة وأحداثها العظيمة.

ولا شك أن التأكيد المستمر على (المظلومية) يدفع الناس للتعاطف مع المظلوم، والوقوف ضد الظالم، وهذا الأمر هو الذي جعل مظلومية أهل البيت عامة، ومظلومية الإمام الحسين خاصة قضية مركوزة في أذهان الناس ووجدانهم قروناً من الزمن.

وهذا التأكيد المركز هو الذي يفسر ظاهرة الإكثار من البكاء عند الإمام زين العابدين عليه السلام حتى عُدَّ من البكَّائين الذين مثلوا الحزن والأسى على امتداد التاريخ، ولم يكن الدافع لذلك مجرد التأثر العاطفي لما حدث لأبيه سيد الشهداء وأهل بيته وأصحابه في وقعة كربلاء، وإنما من أجل تخليد النهضة الحسينية، وكي تبقى رسالة الإمام الحسين حيّة في الأذهان، وخالدة على مرّ العصور والأزمان.

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يعيش أيام حياته بعد شهادة أبيه في حزن دائم، ويستذكر في كل مناسبة وقائع عاشوراء، ويستثمر كل موقف لتذكير الناس بأحداث كربلاء المؤلمة، فقد روي: لَقَدْ بَكَى عَلَى أَبِيهِ الْحُسَيْنِ عليه السلام عَشْرِينَ سَنَةً، وَمَا وَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ طَعَامٌ إِلَّا بَكَى حَتَّى قَالَ لَهُ مَوْلَى لَهُ: يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ، أَمَا أَنْ حِزْنُكَ أَنْ يَنْقُضِيَ؟

فَقَالَ لَهُ: «وَيْحَكَ! إِنَّ يَعْقُوبَ النَّبِيَّ (عليه السلام) كَانَ لَهُ اثْنَا عَشَرَ ابْنًا، فَغَيَّبَ اللَّهُ عَنْهُ وَاحِدًا مِنْهُمْ فَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ كَثْرَةِ بُكَائِهِ عَلَيْهِ، وَشَابَ رَأْسُهُ مِنَ الْحُزْنِ، وَاحْدُودَبَ ظَهْرُهُ مِنَ الْغَمِّ، وَكَانَ ابْنُهُ حَيًّا فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا نَظَرْتُ إِلَى أَبِي وَأَخِي وَعَمِّي وَسَبْعَةَ عَشَرَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي مَقْتُولِينَ حَوْلِي، فَكَيْفَ يَنْقُضِي حُزْنِي؟!»^(١).

وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام): «بَكَى عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَشْرِينَ سَنَةً، وَمَا وَضَعَ بَيْنَ يَدَيْهِ طَعَامٌ إِلَّا بَكَى حَتَّى قَالَ مَوْلَى لَهُ: جُعِلَتْ فِدَاكَ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ. قَالَ: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾»^(٢) إِنِّي لَمْ أَذْكَرْ مَصْرَعَ بَنِي فَاطِمَةَ إِلَّا خَنَقْتَنِي الْعَبْرَةَ»^(٣).

وما أقدم للإمام طعام أو شراب إلا بكى، فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام): «إِنَّ زَيْنَ الْعَابِدِينَ (عليه السلام) بَكَى عَلَى أَبِيهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، صَائِمًا نَهَارُهُ، وَقَائِمًا لَيْلَهُ، فَإِذَا حَضَرَهُ الْإِفْطَارُ وَجَاءَ غُلَامُهُ بِطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ، فَيَضَعُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَيَقُولُ: كُلْ يَا مَوْلَايَ.

فيقول: قُتِلَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) جَائِعًا، قُتِلَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) عَطْشَانًا، فَلَا يَزَالُ يُكْرِّرُ ذَلِكَ وَيَبْكِي حَتَّى يُبَلَّ طَعَامُهُ مِنْ دُمُوعِهِ، وَيَمْتَزِجَ شَرَابُهُ مِنْهَا، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(٤).
وَسُئِلَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَنْ كَثْرَةِ بُكَائِهِ؟

١ - الخصال: ج ٢ ص ١٠٠ في ذكر ثلاث وعشرين خصلة من الخصال المحمودة التي وصف بها علي بن الحسين (عليه السلام).. بحار الأنوار: العلامة المجلسي، ج ٤٦، ص: ٦٣.

٢ - يوسف: ٨٦.

٣ - مناقب آل أبي طالب (عليه السلام): ابن شهر آشوب، ج ٤، ص: ١٦٥ - ١٦٦.

٤ - الملهوف: ص ٢٣٣، مسكن الفوائد: ص ٩٢، بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ١٤٩.

قَالَ: «لَا تَلُومُونِي، فَإِنَّ يَعْقُوبَ فَقَدْ سَبَطَا مِنْ وُلْدِهِ فَبَكَى حَتَّى ابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ مَاتَ، وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَى أَرْبَعَةِ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فِي غَدَاةٍ وَاحِدَةٍ قَتَلُوا فَتَرَوْنَ حُزْنَهُمْ يَذْهَبُ مِنْ قَلْبِي»^(١).

وكان عليه السلام يحث الناس على البكاء على الإمام الحسين عليه السلام ليربطهم بنهجه وسيرت. روي عن أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام يَقُولُ: أَيُّهَا مُؤْمِنِ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ لِقَتْلِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ دَمْعَةً حَتَّى تَسِيلَ عَلَى خَدِّهِ بَوَاهُ اللَّهُ بِهَا فِي الْجَنَّةِ غُرْفًا يَسْكُنُهَا أَحْقَابًا»^(٢).

وقد نجح الإمام في إيقاظ الضمائر، وإثارة العقول، وتأجيج النفوس ضد بني أمية الذين ظلموا أهل البيت الأطهار، وانتهكوا حرمة عترة النبي صلوات الله وسلامه عليه، وقتلوا سبط النبي وريحانته، وهو سيد الشهداء وسيد شباب أهل الجنة؛ وهو ما أدَّى إلى مقت الأمويين، وطردهم من المدينة، وقيام الثورات ضدهم في كل مكان. فبكاء الإمام كان من جهة يهدف إلى تخليد النهضة الحسينية، ومن جهة أخرى إلى إبراز مظلومية الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته، وهو ما تحقق بالفعل، فقد بقيت نهضة الإمام الحسين عليه السلام خالدة بأهدافها ومبادئها وقيمها، وبقيت مظلومية أهل البيت مغروسة في أذهان الناس جيلاً بعد جيل.

بيان مظلومية أهل البيت

رَكَزَ الإمام زين العابدين عليه السلام على تبين المظلومية الكبرى التي تعرض لها أهل البيت عليهم السلام من قبل حكام بني أمية الذين أذاقوهم الويلات والمحن؛ فقتلوا سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، وسبوا نساءه وأطفاله، وطافوا بالرؤوس الطاهرة فوق الأسنة من بلد إلى آخر.

١ - كشف الغمة في معرفة الأئمة (ط - القديمة)، ج ٢، ص: ١٠٢.

٢ - تفسير القمي: ص ٦١٦، ثواب الأعمال: ص ٤٧، كامل الزيارات: ص ١٠٠. بحار الأنوار: ج ٤٤، ص: ٢٨١، ح ١٤.

وبَيَّنَ الإمام زين العابدين (عليه السلام) ضمن رواية مفصلة في فضيلة كربلاء وزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) عقوبة ظالمي النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام)، فقد روي عنه (عليه السلام): «أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي، لَا أَعَذِّبَنَّ مَنْ وَتَرَ رَسُولِي وَصَفِيِّي، وَأَنْتَهَكَ حُرْمَتَهُ، وَقَتَلَ عِتْرَتَهُ، وَبَنَدَ عَهْدَهُ، وَظَلَمَ أَهْلَ بَيْتِهِ، عَذَابًا لَا أَعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ»^(١).

وَأَلْقَى الإمام (عليه السلام) خطاباً مؤثراً قرب المدينة المنورة عند رجوعه من كربلاء أوضح فيه ما تعرضوا إليه من ظلم وجور من قبل بني أمية وأتباعهم، فَقَالَ (عليه السلام): «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، بَارِئِ الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ، الَّذِي بَعْدَ فَارْتَفَعَ فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَى، وَقَرُبَ فَشَهِدَ النَّجْوَى، نَحْمَدُهُ عَلَى عَظَائِمِ الْأُمُورِ، وَفَجَائِعِ الدُّهُورِ، وَأَلَمِ الْفَوَاجِعِ، وَمَضَاضَةِ^(٢) اللَّوَاذِعِ^(٣)، وَجَلِيلِ الرُّزْءِ، وَعَظِيمِ الْمَصَائِبِ الْفَاطِعَةِ، الْكَاطِفَةِ الْفَادِحَةِ الْجَائِحَةِ^(٤).

أَيُّهَا الْقَوْمُ! إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَلَهُ الْحَمْدُ ابْتَلَانَا بِمَصَائِبَ جَلِيلَةٍ، وَثُلْمَةٍ فِي الْإِسْلَامِ عَظِيمَةٍ، قُتِلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (عليه السلام) وَعِتْرَتُهُ، وَسُيِّي نِسَاؤُهُ وَصِبْيَتُهُ، وَدَارُوا بِرَأْسِهِ فِي الْبُلْدَانِ مِنْ فَوْقِ عَامِلِ السَّنَانِ، وَهَذِهِ الرَّزِيَّةُ الَّتِي لَا مِثْلَهَا رَزِيَّةٌ. أَيُّهَا النَّاسُ! فَأَيُّ رِجَالٍ مِنْكُمْ يُسَرُّونَ بَعْدَ قَتْلِهِ، أَمْ آيَةٌ عَيْنٍ مِنْكُمْ تَحْسُ دَمْعَهَا وَتَضْنُ عَنْ أَنْهَاهَا؟ فَلَقَدْ بَكَتِ السَّبْعُ الشَّدَادُ لِقَتْلِهِ، وَبَكَتِ الْبَحَارُ بِأَمْوَاجِهَا، وَالسَّمَاوَاتُ بِأَرْكَانِهَا، وَالْأَرْضُ بِأَرْجَائِهَا، وَالْأَشْجَارُ بِأَغْصَانِهَا، وَالْحَيْتَانُ فِي جُحِ الْبَحَارِ، وَالْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ، وَأَهْلُ السَّمَاوَاتِ أَجْمَعُونَ.

١ - كامل الزيارات: ص ٤٤٧ عن قدامة بن زائدة عن أبيه.

٢ - الْمَضَضُ: وجع المصيبة (الصحيح: ج ٣ ص ١١٠٦ «مضض»).

٣ - اللَّذْعُ: حرقه كحرقه النار (لسان العرب: ج ٨ ص ٣١٧ «لذع»).

٤ - الجائحة: كل مصيبة عظيمة وفتنة مبيدة (النهاية: ج ١ ص ٣١٢ «جوح»).

أَيُّهَا النَّاسُ! أَيُّ قَلْبٍ لَا يَنْصَدِعُ لِقَتْلِهِ، أَمْ أَيُّ فُؤَادٍ لَا يَحْنُ إِلَيْهِ، أَمْ أَيُّ سَمْعٍ يَسْمَعُ هَذِهِ الثُّلْمَةَ الَّتِي ثَلَمَتْ فِي الْإِسْلَامِ وَلَا يُصْمُ؟!

أَيُّهَا النَّاسُ! أَصَبَحْنَا مَطْرُودِينَ مُشَرَّدِينَ، مَذُودِينَ شَاسِعِينَ عَنِ الْأَمْصَارِ كَأَنَّا أَوْلَادُ تُرْكٍ أَوْ كَابِلٍ^(١)، مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ اجْتَرَمْنَاهُ، وَلَا مَكْرُوهِ ارْتَكَبْنَاهُ، وَلَا ثُلْمَةٍ فِي الْإِسْلَامِ ثَلَمْنَاهَا، مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾^(٢).

وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ فِي قِتَالِنَا كَمَا تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ فِي الْوَصَايَةِ بِنَا، لَمَا زَادُوا عَلَى مَا فَعَلُوا بِنَا، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، مِنْ مُصِيبَةٍ مَا أَعْظَمَهَا، وَأَوْجَعَهَا وَأَفْجَعَهَا، وَأَكْظَهَا^(٣)، وَأَفْظَعَهَا، وَأَمَرَّهَا، وَأَفْدَحَهَا، فَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُ فِيهَا أَصَابِنَا وَأَبْلَغَ بِنَا، إِنَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ^(٤).

ففي هذا الخطاب على إيجازه أوضح الإمام بصورة جلية شدة المظالم والمعاناة الشديدة التي تعرض لها أهل البيت في كربلاء من قتل الإمام الحسين عليه السلام ومن معه بأبشع صورة، وسبي نساءه وأطفاله، والتنكيل بهم، والتعامل السييء معهم؛ ولم يراعوا وصية النبي في أهل بيته، وأنهم بيت الوحي، ومعدن الرسالة؛ بل مارسوا ضدهم أبشع صور الإساءة والإهانة والتنكيل.

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يوظف أي حدث أو مناسبة أو سؤال أو استفسار يوجه إليه لبيان مظلومية أهل البيت عليهم السلام، وما تعرضوا إليه من ظلم وجور على أيدي حكام بني أمية وأتباعهم. روى ابن سعد، عن المنهال بن عمرو قال: دَخَلْتُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ عليه السلام، فَقُلْتُ: كَيْفَ أَصَبَحْتَ - أَصْلَحَكَ اللَّهُ؟

١ - لم يكن التُّرْكُ والأفاغنة عندئذٍ من المسلمين.

٢ - ص: ٧.

٣ - كَظُّهُ: بَهْظُهُ وَكَزْبُهُ وَجَهْدُهُ (القاموس المحيط: ج ٢ ص ٣٩٨ «كظظ»).

٤ - الملهوف: ص ٢٢٦، مثير الأحزان: ص ١١٢ نحوه، بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ١٤٧.

فَقَالَ: «مَا كُنْتُ أَرَى شَيْخًا مِنْ أَهْلِ الْمِصْرِ مِثْلَكَ لَا يَدْرِي كَيْفَ أَصْبَحْنَا! فَأَمَّا إِذْ لَمْ تَدْرِ أَوْ تَعْلَمْ فَسَأَخْبِرُكَ: أَصْبَحْنَا فِي قَوْمِنَا بِمَنْزِلَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي آلِ فِرْعَوْنَ؛ إِذْ كَانُوا يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ، وَأَصْبَحَ شَيْخُنَا وَسَيِّدُنَا يُتَقَرَّبُ إِلَى عَدُوِّنَا بِشَتْمِهِ أَوْ سَبِّهِ عَلَى الْمَنَابِرِ.

وَأَصْبَحَتْ قُرَيْشٌ تُعَدُّ أَنَّهَا الْفَضْلُ عَلَى الْعَرَبِ لِأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ مِنْهَا لَا يُعَدُّ لَهَا فَضْلٌ إِلَّا بِهِ، وَأَصْبَحَتْ الْعَرَبُ مُقَرَّرَةً لَهُمْ بِذَلِكَ، وَأَصْبَحَتْ الْعَرَبُ تُعَدُّ أَنَّهَا الْفَضْلُ عَلَى الْعَجَمِ لِأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ مِنْهَا لَا يُعَدُّ لَهَا فَضْلٌ إِلَّا بِهِ، وَأَصْبَحَتْ الْعَجَمُ مُقَرَّرَةً لَهُمْ بِذَلِكَ، فَلَئِنْ كَانَتِ الْعَرَبُ صَدَقَتْ أَنَّهَا الْفَضْلُ عَلَى الْعَجَمِ، وَصَدَقَتْ قُرَيْشٌ أَنَّهَا الْفَضْلُ عَلَى الْعَرَبِ لِأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ مِنْهَا، إِنْ لَنَا أَهْلُ الْبَيْتِ الْفَضْلُ عَلَى قُرَيْشٍ لِأَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ مِنَّا، فَأَصْبَحُوا يَأْخُذُونَ بِحَقِّنَا وَلَا يَعْرِفُونَ لَنَا حَقًّا، فَهَكَذَا أَصْبَحْنَا. إِذْ لَمْ تَعْلَمْ كَيْفَ أَصْبَحْنَا».

قَالَ: فَظَنَنْتُ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُسْمَعَ مَنْ فِي الْبَيْتِ ^(١).

ونحوه ما رواه ابن الأَثير الكوفي: خَرَجَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) ذاتَ يَوْمٍ، فَجَعَلَ يَمْشِي فِي أَسْوَاقِ دِمَشْقَ، فَاسْتَقْبَلَهُ الْمِنْهَالُ بْنُ عَمْرِو الصَّابِيُّ فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ أَمْسَيْتَ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ؟

قَالَ: «أَمْسَيْنَا كِبْنِي إِسْرَائِيلَ فِي آلِ فِرْعَوْنَ، يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ، يَا مِنْهَالُ! أَمَسَتْ الْعَرَبُ تَفْتَخِرُ عَلَى الْعَجَمِ لِأَنَّ مُحَمَّدًا مِنْهُمْ، وَأَمَسَتْ قُرَيْشٌ تَفْتَخِرُ عَلَى سَائِرِ الْعَرَبِ بِأَنَّ مُحَمَّدًا مِنْهَا، وَأَمْسَيْنَا أَهْلُ بَيْتِ مُحَمَّدٍ وَنَحْنُ مَغْصُوبُونَ مَظْلُومُونَ مَقْهُورُونَ مُقْتَلُونَ مَشْهُورُونَ ^(٢)».

١ - الطبقات الكبرى: ج ٥ ص ٢١٩، تهذيب الكمال: ج ٢٠ ص ٣٩٩، تاريخ الطبري: ج ١١ ص ٦٣٠، تاريخ دمشق: ج ٤١ ص ٣٩٦؛ المناقب للكوفي: ج ٢ ص ١٠٩ ح ٥٩٨، شرح الأخبار: ج ٢ ص ٤٨٤ ح ٨٥٥ نحوه.

٢ - ثبره: حبسه (لسان العرب: ج ٤ ص ٩٩ «ثبر»).

مَطْرُودُونَ، فَ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(١) عَلَى مَا أَمْسَيْنَا فِيهِ يَا مِنْهَالُ^(٢).
 فالإمام يبيِّن للنَّاسِ في هذين النصين المظلومية الكبرى والمصائب
 العظمى التي تعرض لها أهل البيت الأطهار، وأنه قد انتهكت حقوقهم،
 وهتكت أعراضهم، وقتلوا رجالهم، وسبوا نساءهم ظلماً وجوراً وعدواناً،
 فقال: «وَأَمْسَيْنَا أَهْلَ بَيْتِ مُحَمَّدٍ وَنَحْنُ مَغْصُوبُونَ مَظْلُومُونَ مَقْهُورُونَ
 مُقْتَلُونَ مَثْبُورُونَ مَطْرُودُونَ»، وقد أتى هذا الظلم والجور من قبل من
 يتفاخر على الآخرين بأن النبي منهم، فقريش تفتخر على سائر العرب
 لأنه عليه السلام منهم، والعرب تفتخر على العجم بأنه عليه السلام منهم؛ وفي الوقت
 نفسه يقوم هؤلاء المتفخرون بظلم أهل بيته، والتكيل بهم، والاعتداء
 عليهم، وسلب حقوقهم!

أراد الإمام عليه السلام من بيان وإبراز مظلومية أهل البيت أن تبقى قضية
 عاشوراء حيَّة في ذاكرة الأجيال، وخالدة في سجلات التاريخ.

١ - البقرة: ١٥٦.

٢ - الفتوح: ج ٥ ص ١٣٣، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ج ٢ ص ٧١ وفيه «المنهال بن عمرو
 الضبابي» وفيه «مشرّدون» بدل «مَثْبُورُونَ».

٢- إيصال رسالة النهضة الحسينية

من أهم الأدوار السياسية التي قام بها الإمام زين العابدين (عليه السلام) بعد شهادة أبيه الحسين (عليه السلام) إيصال رسالة النهضة الحسينية للناس، والحفاظ على أهدافها ومبادئها، وحفظها من التشويه والتحريف والتزييف، والتعريف بأهدافها وقيمها ومبادئها التي ضحى الإمام الحسين من أجلها بالنفس والنفيس.

وأصبح الإمام زين العابدين (عليه السلام) بعد معركة الطف هو سيد البيت الحسيني، وحامل راية النهضة الحسينية، فاستثمر كل فرصة ومناسبة لإيصال الرسالة الحسينية للناس، ومواجهة الإعلام المضلل للأمويين، وتعريف الرأي العام بحقائق الأمور، ودقائق الأشياء، وأنهم عترة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، والامتداد الطبيعي له (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد خاطب الجموع في الشام قائلاً: «أَيُّهَا النَّاسُ، أُعْطِينَا سِتًّا، وَفُضِّلْنَا بِسَبْعٍ: أُعْطِينَا الْعِلْمَ، وَالْحِلْمَ، وَالسَّامِحَةَ، وَالْفَصَاحَةَ، وَالشَّجَاعَةَ، وَالْمَحَبَّةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ. وَفُضِّلْنَا بِأَنَّ مَنَا النَّبِيَّ الْمُخْتَارَ مُحَمَّدًا (صلى الله عليه وآله وسلم)، وَمَنَا الصِّدِّيقَ، وَمَنَا الطَّيَّارَ، وَمَنَا أَسَدَ اللَّهِ وَأَسَدَ الرَّسُولِ، وَمَنَا سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ فَاطِمَةَ الْبَتُولَ، وَمَنَا سِبْطًا هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَسَيِّدًا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(١).

أشار الإمام في البداية إلى خصائص أهل البيت (عليهم السلام) وهي: العلم، والحلم، والسماحة، والفصاحة، والشجاعة، ومحبة المؤمنين لهم، ثم تطرق إلى ما فضل به أهل البيت على غيرهم، فهم ينتمون إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حسباً ونسباً، وإلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، وإلى بضعة النبي الزهراء (عليها السلام)، كما أن سبطي هذه الأمة وسيدي شباب أهل الجنة: الحسن والحسين من أهل البيت،

١- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: ج ٢ ص ٦٩. بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ١٣٧. الفتوح: ج ٢ ص ١٣٢. المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤ ص ١٦٨. الحقائق الوردية: ج ١ ص ١٢٧.

كما أن الطيار جعفرًا، وأسد الله وأسد رسوله الحمزة من أهل البيت، وهذا التعريف إنما كان الهدف منه تعريف أهل الشام وغيرهم ممن ضلّلوا بالإعلام الأموي والدعاية السوداء بأن هؤلاء الأسرى هم من عتره النبي ﷺ، وأن من استشهدوا في كربلاء ليسوا من الخوارج كما صورهم الإعلام الأموي وإنما هم من أهل بيت رسول الله ﷺ.

واستطاع الإمام عليه السلام بخطبه البليغة والفصيحة التي ألقاها في الكوفة وفي الشام (والتي مرّ ذكرها) أن يسلط الأضواء على معالم وأهداف ثورة الإمام الحسين عليه السلام، ويفضح جرائم الأمويين في عقر دارهم.

قال الشيخ باقر شريف القرشي (رحمه الله): «لقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام من أقوى العوامل في تخليد الثورة الحسينية، وتفاعلها مع عواطف المجتمع وأحاسيسه، وذلك بمواقفه الرائعة التي لم يعرف لها التاريخ مثيلاً في دنيا الشجاعة والبطولات...، وقد كان لحديثه [وخطبه] صدى هام في الأوساط الرسمية وغيرها من عامة الناس، وظل يلقي الأضواء على معالم الثورة الحسينية، ويبث موجاتها على امتداد الزمن والتاريخ. أما خطابه في بلاط يزيد فإنه من أروع الوثائق السياسية في الإسلام، ولا أكاد أعرف خطاباً سياسياً أبلغ، ولا أشد تأثيراً منه في إيقاظ الجماهير وتوعية الرأي العام»^(١).

ويضيف قائلاً: «وبرز الإمام زين العابدين عليه السلام على مسرح الحياة الإسلامية كألمع سياسي إسلامي عرفه التاريخ، فقد استطاع بمهارة فائقة - وهو في قيد المرض وأسر الأمويين - أن ينشر أهداف الثورة العظمى التي فجرها أبوه الإمام الحسين القائد الملهم للمسيرة الإسلامية الظافرة، فأبرز قيمها الأصيلة بأسلوب مشرق كان في منتهى التقنين والأصالة والإبداع»^(٢).

١ - موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام زين العابدين عليه السلام، باقر شريف القرشي، ج ١٥، ص ١١.

٢ - موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام زين العابدين عليه السلام، باقر شريف القرشي، ج ١٥، ص ١٠.

وسُميت السنة التي استشهد فيها الإمام الحسين (عليه السلام) بعام الحزن، فقد كتب الخوارزمي: «إِنَّ السَّنَةَ الَّتِي قُتِلَ فِيهَا الْحُسَيْنُ (عليه السلام)، وَهِيَ سَنَةٌ إِحْدَى وَسِتِّينَ، سُمِّيَتْ عَامَ الْحُزَنِ»^(١).

وقال القرطبي: «اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهُ قُتِلَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، الْعَاشِرَ مِنَ الْمَحْرَمِ، سَنَةَ إِحْدَى وَسِتِّينَ؛ وَيُسَمَّى عَامَ الْحُزَنِ»^(٢).

ولم ينته الحزن في العام الذي استشهد فيه الإمام الحسين (عليه السلام)، ولا في السنة التي بعدها، ولا في السنوات المتتالية بعد شهادته؛ بل يتجدد الحزن في كل عام مع قدوم شهر محرم الحرام، وهو ما جعل نهضة الإمام الحسين نهضة خالدة.

إقامة العزاء على الإمام الحسين (عليه السلام)

اتخذ الإمام زين العابدين (عليه السلام) عدة أساليب لإحياء عاشوراء، وتخليد الثورة الحسينية، والحفاظ على أهدافها وقيمها من الغفلة والنسيان والاندثار، ومن هذه الأساليب إقامة العزاء على الإمام الحسين (عليه السلام) والتشجيع عليها، فكان الإمام أول من أقام العزاء والمآتم على الإمام الحسين (عليه السلام) مع من كان معه من نساء بني هاشم، وأقاموا العزاء أول مرة عند مكان مصرعه في كربلاء، ثم أقاموا له العزاء في الكوفة، ثم في القصر الأموي في الشام.

وفي طريق عودة الركب الحسيني من الشام إلى المدينة أمر الإمام زين العابدين (عليه السلام) الدليل بالمرور على قبر الإمام الحسين وأقاموا عنده العزاء والنحيب واللطم، فقد روي: «[لَمَّا] وَصَلُوا إِلَى مَوْضِعِ الْمَصْرَعِ، فَوَجَدُوا جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ (رحمه الله) وَجَمَاعَةً مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَرِجَالًا مِنْ

١ - مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: ج ٢ ص ٤٠.

٢ - التذكرة للقرطبي: ج ٢ ص ٢٤٢.

آلِ الرَّسُولِ ﷺ قَدْ وَرَدُوا لِزِيَارَةِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام)، فَوَافُوا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، وَتَلَاَقَوْا بِالْبُكَاءِ وَالْحُزْنِ وَاللَّطَمِ، وَأَقَامُوا الْمَاتَمَ الْمُقْرِحَةَ لِلْأَكْبَادِ، وَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِمْ نِسَاءُ ذَلِكَ السَّوَادِ، وَأَقَامُوا عَلَى ذَلِكَ أَيَّامًا»^(١).

وكان الإمام يشجع على إقامة الماتم على الإمام الحسين (عليه السلام)، وكان يصنع الطعام بنفسه لنساء بني هاشم الطعام، فقد روى البرقي عن عمر بن علي بن الحسين (عليه السلام): «لَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ (عليه السلام)، لَبَسْنَ نِسَاءُ بَنِي هَاشِمٍ السَّوَادَ وَالْمُسُوحَ، وَكُنَّ لَا يَشْتَكِينَ مِنْ حَرٍّ وَلَا بَرْدٍ، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) يَعْمَلُ لَهُنَّ الطَّعَامَ لِلْمَاتَمِ»^(٢).

ومن الأساليب التي اتبعتها الإمام في سبيل تخليد النهضة الحسينية وتذكير الناس بأحداث كربلاء الأليمة أنه كان يذكر الناس بمصيبة الإمام الحسين (عليه السلام) عند شربه للماء في كل مرة ويبكي، فقد حدث ابن شهر آشوب قائلاً: كان [الإمام زين العابدين (عليه السلام)] إذا أَخَذَ إِنَاءً يَشْرَبُ مَاءً بَكَى حَتَّى يَمْلَأَهَا دَمْعًا.

فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: «وَكَيْفَ لَا أَبْكِي؟! وَقَدْ مُنِعَ أَبِي مِنَ الْمَاءِ الَّذِي كَانَ مُطْلَقًا لِلْسَّبَاعِ وَالْوُحُوشِ».

وَقِيلَ لَهُ: إِنَّكَ لَتَبْكِي دَهْرَكَ، فَلَوْ قَتَلْتَ نَفْسَكَ لَمَا زِدْتَ عَلَى هَذَا.

فَقَالَ: «نَفْسِي قَتَلْتُهَا، وَعَلَيْهَا أَبْكِي»^(٣).

وبالإضافة إلى أسلوب البكاء عند شربه للماء أو أكله للطعام اتبع الإمام أساليب أخرى كالحث على زيارة الإمام الحسين (عليه السلام)، فعن أبي حمزة الثمالي قال: سَأَلْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ (عليه السلام): عَنْ زِيَارَةِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام)؟

١ - الملهوف: ص ٢٢٥، بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ١٤٦.

٢ - المحاسن: ج ٢ ص ١٩٥ ح ١٥٦٤، بحار الأنوار: ج ٤٥ ص ١٨٨ ح ٣٣.

٣ - المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤ ص ١٦٦، بحار الأنوار: ج ٤٦ ص ١٠٩ ح ١.

فَقَالَ: «زُرُهُ كُلَّ يَوْمٍ، فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ فَكُلَّ جُمُعَةٍ، فَإِنْ لَمْ تَقْدِرْ فَكُلَّ شَهْرٍ، فَمَنْ لَمْ يَزُرْهُ فَقَدْ اسْتَخَفَّ بِحَقِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(١).

وعن أبي حمزة عَنِ الْإِمَامِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ (عليه السلام)، قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصَافَحَهُ مِائَةُ أَلْفِ نَبِيٍّ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ نَبِيٍّ، فَلْيَزُرْ قَبْرَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ (عليه السلام) فِي النَّصَفِ مِنْ شَعْبَانَ: ...، مِنْهُمْ خَمْسَةٌ أُولُو الْعَزَمِ مِنَ الرُّسُلِ».

قُلْنَا: مَنْ هُمْ؟

قَالَ: «نُوحٌ، وَابْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ».

قُلْنَا لَهُ: مَا مَعْنَى أُولُو الْعَزَمِ؟

قَالَ: «بُعِثُوا إِلَى شَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا، جَنَّتْهَا وَإِنْسَهَا»^(٢).

وَمِنْ تِلْكَ الْأَسَالِيبِ الَّتِي اتَّبَعَهَا الْإِمَامُ أَيْضًا لِأَحْيَاءِ قَضِيَّةِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) الْإِحْتِفَازُ بِتَرَابِ قَبْرِ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) لِلْسُجُودِ عَلَيْهِ^(٣)، وَكَذَا كَانَ يَتَخْتَمُ بِخَاتَمِ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ^(٤) كَيْ يَبْقَى اسْمُهُ مَخْلَدًا، كَمَا كَانَ يَنْقُشُ عَلَى خَاتَمِهِ: «خَزِي وَشَقِي قَاتِلَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ (عليه السلام)»^(٥) لِتَذْكِيرِ النَّاسِ بِعَظَمِ الْجَرِيْمَةِ الَّتِي ارْتَكَبَهَا الْجَيْشُ الْأُمَوِيُّ بِحَقِّ سَبْطِ النَّبِيِّ ﷺ وَسَيِّدِ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ. وَمِنْ تِلْكَ الْأَسَالِيبِ أَيْضًا ذِكْرُ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) وَأَصْحَابِهِ فِي كُلِّ مَنَاسِبَةٍ لِتَخْلِيدِ ذِكْرِهِمْ وَالْإِشَادَةِ بِمَآثِرِهِمْ وَمَنَاقِبِهِمْ وَتَضْحِيَاتِهِمْ، فَقَدْ رَوَى الصَّدُوقُ عَنْ ثَابِتِ بْنِ أَبِي صَفِيَّةٍ قَالَ: نَظَرَ سَيِّدُ الْعَابِدِينَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَاسْتَعْبَرَ ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَشَدَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ

١ - فضل زيارة الحسي (عليه السلام) ص ٤٢ ح ١٥ و ١٦.

٢ - بحار الأنوار: ٢٥ / ٣٣ / ١١.

٣ - راجع: بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٧٩.

٤ - الفصول المهمة: ابن الصباغ المالكي، ج ٢، ص ٨٨٤. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٧، ح ١٤.

٥ - بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٥.

عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ يَوْمٍ أَحَدٍ، قُتِلَ فِيهِ عَمُّهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَسَدُ اللَّهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ، وَبَعْدَهُ يَوْمَ مُوتَةٍ، قُتِلَ فِيهِ ابْنُ عَمِّهِ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ».

ثُمَّ قَالَ (عليه السلام): «وَلَا يَوْمَ كَيَوْمِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام)، أَزْدَلَفَ إِلَيْهِ ثَلَاثُونَ أَلْفَ رَجُلٍ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، كُلُّ يَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِدَمِهِ، وَهُوَ بِاللَّهِ يُذَكِّرُهُمْ فَلَا يَتَعِظُونَ، حَتَّى قَتَلُوهُ بَغْيًا وَظُلْمًا وَعُدْوَانًا».

ثُمَّ قَالَ (عليه السلام): «رَحِمَ اللَّهُ الْعَبَّاسَ! فَلَقَدْ آثَرَ وَأَبْلَى وَفَدَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ حَتَّى قُطِعَتْ يَدَاهُ، فَأَبْدَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِمَا جَنَاحَيْنِ يَطِيرُ بِهِمَا مَعَ الْمَلَائِكَةِ فِي الْجَنَّةِ، كَمَا جَعَلَ لَجَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَإِنَّ لِلْعَبَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَنَزَلَةً يَغْبِطُهَا بِهَا جَمِيعُ الشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

وبالإضافة لإشادة الإمام زين العابدين (عليه السلام) بعمه العباس (عليه السلام) كان يشيد أيضًا بتضحيات آل عقيل ووقوفهم مع أبي عبدالله الحسين (عليه السلام)، فقد كان لأولاد عقيل بن أبي طالب دور مؤثر وفاعل في النهضة الحسينية، فمضافاً إلى شهادة مسلم بن عقيل فقد استشهد في هذا السبيل ابنه عبد الله، وإخوته جعفر وعبدالله وعبدالرحمن، وكذلك محمد بن أبي سعيد وهو ابن أخيه الآخر؛ ولذا كان (عليه السلام) يشيد بهم، ويبرز محبة خاصة تجاههم، وحينما قيل له: ما بالك تميل إلى بني عمك هؤلاء دون آل جعفر؟

فقال: «إِنِّي أَذْكُرُ يَوْمَهُمْ مَعَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ (عليه السلام)، فَأَرِقُّ لَهُمْ»^(٢).

وخلاصة الكلام: إن الإمام زين العابدين (عليه السلام) اتبع كل الوسائل والأساليب الممكنة في عصره لإيصال رسالة النهضة الحسينية وبيان أهدافها وقيمها إلى الناس، وهو الأمر الذي خلّد قضية الإمام الحسين (عليه السلام)، وحافظ على الأهداف الإحيائية للنهضة الحسينية المباركة.

١- الأمالي للصدوق: ص ٥٤٧ ح ٧٣١، الخصال: ص ٦٨ ح ١٠١، بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٢٩٨ ح ٤.

٢- كامل الزيارات: ص ٢١٤ ح ٣٠٧، بحار الأنوار: ج ٤٦ ص ١١٠ ح ٤.

٣- بث الوعي في الأمة

من أهم مسؤوليات الإمام المعصوم توجيه الأمة دينياً، وتوعيتها ثقافياً، وتصحيح الانحرافات العقيدية والفكرية والمعرفية، ونشر العلم والمعرفة، ومحاربة الجهل والخرافة، وهذا ما قام به الإمام زين العابدين (عليه السلام) خير قيام، وبذل في سبيله الجهد الجهد لتحقيق ذلك في أوساط الأمة الإسلامية عموماً، والجماعة المؤمنة خصوصاً.

ولأن الإمام كان يعيش في أجواء استبدادية قاهرة، وكانت نشاطاته وحركاته وأعماله محل مراقبة السلطة الأموية الحاكمة؛ لذا اتبع الإمام أسلوب الوعظ والنصيحة والإرشاد تارة، وأسلوب التهجد والدعاء تارة ثانية لتربية المؤمنين وتزكية نفوسهم وتهذيب أخلاقهم، وأسلوب الدرس والتعليم تارة ثالثة لبيان معالم الدين وأحكامه، وتبيين العقائد الحقة والمفاهيم الإسلامية الصحيحة، وتوعية الأمة وتثقيفها بثقافة الإسلام العامة.

الدعوة إلى العلم

كان الإمام زين العابدين (عليه السلام) يدعو الناس إلى كسب العلم والمعرفة؛ لأن نور العلم يبدد ظلام الجهل، وينمي من الوعي لدى الأمة، فكان يحث الناس على العلم ويقول: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي طَلْبِ الْعِلْمِ لَطَلَبُوهُ وَلَوْ بِسَفَكِ الْمُهْجِ»^(١) وَخَوْضِ اللَّجَجِ^(٢)،^(٣) ويبين لهم فضل طلب العلم، فيقول (عليه السلام): «إِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ إِذَا خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ لَمْ يَضَعْ رِجْلَهُ عَلَى رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا سَبَّحَتْ لَهُ إِلَى الْأَرْضِينَ السَّابِعَةِ»^(٤).

١ - المُهْجَة: دُمُ الْقَلْب، وَلَا بَقَاءَ لِلنَّفْسِ بَعْدَ مَا تُثْرَقُ مُهْجَتُهَا (لسان العرب: ج ٢ ص ٣٧٠).

٢ - التَّجُّ الْأَمْر: إِذَا عَظُمَ وَاخْتَلَطَ، وَلُجَّةُ الْبَحْرِ: مُعْظَمُهُ (النهاية: ج ٤ ص ٢٣٣).

٣ - الكافي: ج ١ ص ٣٥ ح ٥ عن أبي حمزة، منية المريد: ص ١١١، عوالي اللآلي: ج ٤ ص ٦١ عن الإمام الصادق (عليه السلام) وفيه صدره إلى «اللجج»، بحار الأنوار: ج ١ ص ١٨٥ ح ١٠٩.

٤ - الخصال: ص ٥١٨ ح ٤ عن حمran بن أعين عن الإمام الباقر (عليه السلام)، بحار الأنوار: ج ١ ص ١٦٨ ح ١٦.

وصرف الإمام جزءاً مهماً من حياته الشريفة في بسط العلم ونشره، وتعليم طلاب العلم والمعرفة أصول الدين وأحكامه، وقد بينا ذلك بشيء من التفصيل في الفصل الأول من الباب الثالث، فراجع.

المراقبة الذاتية

من وسائل التوعية مراقبة الإنسان لنفسه، ولذا يرشد الإمام أصحابه إلى أهمية المراقبة الذاتية للنفس، فيحدد معايير للحفاظ على الذات من الانحراف والجهل، ويدعو إلى عدم القعود مع الجاهلين، وعدم الكلام إلا بما فيه خير ونفع وإلا فالصمت أسلم، وعدم الاستماع إلى القول الباطل كالغيبة والنميمة والغناء واللهو المحرم؛ لأن الإنسان مسؤول عن كل ذلك.

روى عبد العظيم بن عبد الله الحسني، قال: حدثني علي بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر، عن أبيه عليه السلام، قال: قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام): «لَيْسَ لَكَ أَنْ تَقْعُدَ مَعَ مَنْ شِئْتَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾»^(١).

وَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِمَا شِئْتَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾»^(٢)؛ وَلِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا قَالَ خَيْرًا فَعَنِمَ، أَوْ صَمَتَ فَسَلِمَ».

وَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَسْمَعَ مَا شِئْتَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾»^(٣)»^(٤).

١ - الأنعام: ٦٨.

٢ - الإسراء: ٣٦.

٣ - الإسراء: ٣٦.

٤ - مسائل علي بن جعفر: ص ٣٤٣ ح ٨٤٧، بحار الأنوار: ج ٢ ص ١١٦ ح ١٣.

إن الإمام يحذر في هذا النص من الانزلاق في مزالق الفساد والانحراف؛ فالقعود مع أهل الباطل والجهل، ودعاة السوء والفساد، والخوض مع الخائضين في التكلم بالكلام الباطل وما لا يجوز التكلم فيه، والاستماع إلى أهل الفسق والمجون يوقع المرء في الانحراف والفساد والموبقات والمحرمات. وأما مجالسة أهل العلم والمعرفة وأهل الدين والأخلاق وأهل الرشد والرشاد، فإنه ينمي الوعي عند الإنسان، ويزيد من رصيده العلمي والأخلاقي؛ وهذا هو المطلوب.

ولما سُئِلَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام): عَنِ الْكَلَامِ وَالسُّكُوتِ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ فَقَالَ (عليه السلام): «لَكُلٍّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا آفَاتٌ، فَإِذَا سَلِمَا مِنَ الْآفَاتِ فَالْكَلَامُ أَفْضَلُ مِنَ السُّكُوتِ».

قِيلَ: كَيْفَ ذَلِكَ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ؟

قَالَ: «لَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَا بَعَثَ الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَوْصِيَاءَ بِالسُّكُوتِ، إِنَّمَا بَعَثَهُمْ بِالْكَلَامِ، وَلَا اسْتُحِقَّتِ الْجَنَّةُ بِالسُّكُوتِ، وَلَا اسْتُوجِبَتِ وَلَايَةُ اللَّهِ بِالسُّكُوتِ، وَلَا تُوقِفَتِ النَّارُ بِالسُّكُوتِ، إِنَّمَا ذَلِكَ كُلُّهُ بِالْكَلَامِ»^(١).

فالمعيار هو نوعية الكلام، فإذا كان الكلام صادراً عن علم ومعرفة فهو راجح في نفسه ومطلوب لما فيه من فائدة ومنفعة للناس، وأما إذا كان صادراً عن جهل فضرره جسيم، وعندئذ يكون السكوت أفضل.

والإنسان الواعي يدرك الوقت المناسب للكلام ومضمونه المناسب ومناسبته لكل مقام ومكان؛ وأما غير الواعي فهو يتكلم عندما يكون السكوت أفضل، ويسكت عندما يكون الكلام أفضل، ويتكلم بفضول القول وسقيمه، ويخوض فيما لا يفقه فيه ولا يعلم.

رسالة توعوية

وجّه الإمام رسالة توعوية لأصحابه وشيعته احتوت على مضامين مهمة في وجوب اليقظة والتحلي بالوعي، والاتصاف بعلو الهمة والعمل الصالح، والحذر من الاغترار بزخارف الدنيا، والدعوة إلى التفكير في الآخرة والرغبة فيها، واتباع القيادة الإلهية واجتناب الطاغوت، وعدم الركون إلى الظالم، والحذر من مكائد الشيطان وخدعه، ونص الرسالة كما رواها الشيخ الكليني بسند صحيح عن أبي حمزة، عن علي بن الحسين (عليهما السلام)، هي:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، كَفَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ كَيْدَ الظَّالِمِينَ، وَبَغْيِ الْحَاسِدِينَ، وَبَطْشِ^(١) الْجَبَّارِينَ؛ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الطَّوَاعِغُ وَأَتْبَاعُهُمْ مِنْ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، الْمُتَلَبِّسُونَ إِلَيْهَا، الْمُفْتَنُّونَ بِهَا، الْمُقْبِلُونَ عَلَيْهَا وَعَلَى حُطَامِهَا^(٢) الْهَامِدِ^(٣)، وَهَشِيمِهَا^(٤) الْبَائِدِ غَدًا^(٥)، وَاحْذَرُوا مَا حَذَرَكُمُ اللَّهُ مِنْهَا، وَازْهَدُوا فِيمَا زَهَّدَكُمُ اللَّهُ فِيهِ مِنْهَا، وَلَا تَرْكُنُوا^(٦) إِلَى مَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا رُكُونَ مَنْ أَخَذَهَا دَارَ قَرَارٍ وَمَنْزَلَ اسْتِيطَانٍ، وَاللَّهُ إِنْ لَكُمْ مِمَّا فِيهَا عَلَيْهَا دَلِيلًا وَنَبِيهَا

١- البطش: الأخذ القوي الشديد، أو الأخذ بالغنف و السطوة، يقال: بطش به يبطش و يبطش بطشاً، أي أخذه بالغنف والسطوة. راجع: النهاية، ج ١، ص ١٣٥؛ القاموس المحيط، ج ١، ص ٧٩٩ (بطش).

٢- قال الجوهرى: «الْحُطَامُ: مَا تَكْسَرُ مِنَ الْيَبِيسِ»، و عن الأصمعي: «إِذَا تَكْسَرُ يَبِيسُ الْبَقْلُ فَهُوَ حُطَامٌ». الصحاح، ج ٥، ص ١٩٠١؛ لسان العرب، ج ١٢، ص ١٣٧ (حطم).

٣- «الهامد»: اليباس من النبات، و البالي المسود المتغير. راجع: الصحاح، ج ٢، ص ٥٥٧؛ القاموس المحيط، ج ١، ص ٤٧٣ (همد).

٤- الهشيم من النبات: اليباس المتكسر، قال الجوهرى: «والشجرة البالية يأخذها الحاطب كيف يشاء». راجع: الصحاح، ج ٥، ص ٢٠٥٨؛ النهاية، ج ٥، ص ٢٦٤ (هشم).

٥- في شرح المازندراني، ج ١١، ص ١٨٧: «البائد: الزائل الهالك، وغداً ظرف له، أو للهامد أيضاً، وهو كناية عن وقت الموت، أو قبله في أقرب الأوقات، أو بعده يوم القيامة، أو الجميع».

٦- الركون: السكون إلى الشيء والميل إليه، وفعله من باب نصر وعلم ومنع. راجع: النهاية، ج ٢، ص ٢٦١؛ القاموس المحيط، ج ٢، ص ١٥٧٩ (ركن).

مِنْ تَصْرِيفِ أَيَّامِهَا وَتَغْيِيرِ انْقِلَابِهَا وَمَثَلَاتِهَا^(١) وَتَلَاغِبِهَا بِأَهْلِهَا، إِنَّهَا لَتَرْفَعُ
الْخَمِيلَ^(٢)، وَتَضَعُ الشَّرِيفَ، وَتُورِدُ أَقْوَامًا إِلَى النَّارِ غَدًا، فَفِي هَذَا مُعْتَبَرٌ وَمُخْتَبَرٌ
وَرَا جِرُّ لِمُتَبِّهِ، إِنَّ الْأُمُورَ الْوَارِدَةَ عَلَيْكُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ - مِنْ مُظْلِمَاتِ الْفِتَنِ،
وَحَوَادِثِ الْبِدَعِ، وَسُنَنِ الْجَوْرِ، وَبَوَائِقِ^(٣) الزَّمَانِ، وَهَيْبَةِ السُّلْطَانِ، وَوَسْوَسةِ
الشَّيْطَانِ - لَتَشَبَّطُ^(٤) الْقُلُوبَ عَنْ تَبَّهْهَا، وَتُذْهِلُهَا عَنْ مَوْجُودِ الْهُدَى وَمَعْرِفَةِ
أَهْلِ الْحَقِّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ عَصَمَ اللَّهُ، فَلَيْسَ يَعْرِفُ تَصَرُّفَ أَيَّامِهَا، وَتَقْلُبَ
حَالَاتِهَا وَعَاقِبَةَ ضَرَرِ فِتْنَتِهَا إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ، وَنَهَجَ سَبِيلَ الرُّشْدِ، وَسَلَكَ
طَرِيقَ الْقَصْدِ، ثُمَّ اسْتَعَانَ عَلَى ذَلِكَ بِالزُّهْدِ، فَكَرَّرَ الْفِكْرَ، وَاتَّعَظَ بِالصَّبْرِ،
فَارْزَجَرَ وَزَهَّدَ فِي عَاجِلِ بَهْجَةِ الدُّنْيَا، وَتَجَافَى^(٥) عَنْ لَذَائِهَا، وَرَغِبَ فِي دَائِمِ
نَعِيمِ الْآخِرَةِ، وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا، وَرَاقَبَ الْمَوْتَ، وَشَنَأَ^(٦) الْحَيَاةَ مَعَ الْقَوْمِ

١ - المَثَلَات: جمع المَثَلَة بفتح الميم وضمّ الثاء بمعنى العقوبة، ويقال: بضمّ الميم وسكون الثاء
أيضاً، وجمعها: مَثَلَات، مَثَلَات ومَثَلَات. راجع: الصحاح، ج ٥، ص ١٨١٦؛ لسان العرب، ج ١١،
ص ٦١٥ (مثل).

٢ - «الخميل»: من خفي ذكره وصوته، والساقط الذي لانباهة له. راجع: الصحاح، ج ٤، ص
١٦٩٠؛ القاموس المحيط، ج ٢، ص ١٣١٦ (خمل).

٣ - البوائق: جمع البائقة، وهي الداهية والشرّ الشديد. راجع: النهاية، ج ١، ص ١٦٢؛ المصباح
المنير، ص ٦٦ (بوق).

٤ - في الأمالي للمفيد: «ليدراً». والتنثييط: التعويق والشغل عن المراد، يقال: قعد به عن الأمر
وشغله عنه ومنعه وعوّقه وبطأ به عنه. راجع: النهاية، ج ١، ص ٢٠٧؛ المصباح المنير، ص
٨٠ (ثبط).

وفي شرح المازندراني: «وهذا- أي لتتبط- في اللفظ خبر- أي خبر «إن»- وفي المعنى زجر
عن تثبط القلوب بأمثال هذه الموانع عن الحقّ ومعرفة أهله بالتفكر في أنّ هذه الامور خارجة
من القوانين العدليّة، وزمانها قليل منصرم، وعقوبة مخالفة الحقّ وأهله شديدة دائميّة».

٥ - «تجافى» أي بعد واجتنب؛ من الجفاء، وهو البعد والاجتناب عن الشيء. راجع: النهاية ج
١، ص ٢٨٠؛ لسان العرب، ج ١٤، ص ١٤٨ (جفا).

٦ - في الأمالي للمفيد: «وسئم». وشنأه- كمنعه وسمعه- أي أبغضه؛ من الشنأه، وهو البغض.
راجع: القاموس المحيط، ج ١، ص ١٠٩؛ لسان العرب، ج ١، ص ١٠١ (شناً).

الظَّالِمِينَ، نَظَرَ إِلَى مَا فِي الدُّنْيَا بَعَيْنٍ نَيْرَةٍ حَدِيدَةِ النَّظَرِ، وَأَبْصَرَ حَوَادِثَ الْفِتَنِ وَضَلَالَ الْبِدْعِ وَجَوَرَ الْمُلُوكِ الظَّلْمَةِ.

فَقَدْ لَعَمْرِي اسْتَدْبَرْتُمْ الْأُمُورَ الْمَاضِيَةَ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ مِنَ الْفِتَنِ الْمُتَرَاكِمَةِ وَالْإِنْهَمَاكِ^(١) فِيمَا تَسْتَدِلُّونَ بِهِ عَلَى تَجَنُّبِ الْغُوَاةِ^(٢) وَأَهْلِ الْبِدْعِ وَالْبَغْيِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، فَاسْتَعِينُوا بِاللَّهِ، وَارْجِعُوا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ مَنْ هُوَ أَوْلَى بِالطَّاعَةِ مِمَّنْ اتَّبَعَ، فَأُطِيعَ.

فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ قَبْلِ النَّدَامَةِ وَالْحُسْرَةِ وَالْقُدُومِ عَلَى اللَّهِ وَالْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَتَاللَّهِ مَا صَدَرَ^(٣) قَوْمٌ قَطُّ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ إِلَّا إِلَى عَذَابِهِ، وَمَا أَثَرَ قَوْمٌ قَطُّ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ إِلَّا سَاءَ مُنْقَلَبُهُمْ وَسَاءَ مَصِيرُهُمْ، وَمَا الْعِلْمُ بِاللَّهِ وَالْعَمَلُ إِلَّا إِنْفَانٌ^(٤) مُؤْتَلِفَانِ، فَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ خَافَهُ، وَحَثَّهُ الْخَوْفُ عَلَى الْعَمَلِ بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَإِنْ أَرَبَابَ الْعِلْمِ وَاتَّبَاعَهُمُ الَّذِينَ عَرَفُوا اللَّهَ، فَعَمِلُوا لَهُ وَرَغِبُوا

١ - الانهماك: التماذي في الشيء و اللجاج فيه، يقال: انهمك الرجل في الأمر، أي جدّ ولجّ. راجع: الصحاح، ج ٤، ص ١٦١٧؛ النهاية، ج ٥، ص ٢٧٤ (همك).

٢ - «الغواة»: جمع الغاوي، وهو الضالّ الخائب و المنهمك في الباطل؛ من الغي بمعنى الضلال والخيبة والانهماك في الباطل. راجع: الصحاح، ج ٦، ص ٢٤٥٠ (غوي)؛ النهاية، ج ٣، ص ٣٩٧ (غوا).

٣ - قال الجوهرى: «أصدرته فصدر، أي رجعته فرجع». و قال ابن الأثير: «الصدر - بالتحريك - رجوع المسافر من مقصده، والشاربة من الورد، يقال: صدر يصدر صدوراً و صدرّاً». الصحاح، ج ٢، ص ٧١٠؛ النهاية، ج ٣، ص ١٥ (صدر).

وفي شرح المازندراني: «أي ما رجعوا عن معصية الله تعالى وما فرغوا منها إلا إلى عذابه، فيدلّ على مقارنة العذاب للمعصية من غير مفارقة بينهما و لا مهلة؛ فإن جهنم لمحيطه بالكافرين».

٤ - في شرح المازندراني: «في المصباح: ألفته، من باب علم: أنسته و أحببته، و اسم الفاعل: أليف، مثل عليم، و ألف، مثل عالم، وفي القاموس: الإلف، بالكسر و الألف، ككتف: الأليف، و على هذا يجوز في «إفان» مدّ الألف و كسرها، و فتحها مع كسر اللام». و راجع: المصباح المنير، ص ١٨؛ القاموس المحيط، ج ٢، ص ١٥٨ (ألف).

إِلَيْهِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١) فَلَا تَلْتَمِسُوا شَيْئًا مِمَّا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَاشْتَغِلُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بِطَاعَةِ اللَّهِ، وَاعْتَنِمُوا أَيَّامَهَا، وَاسْعَوْا لِمَا فِيهِ نَجَاتُكُمْ غَدًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَقْلٌ لِلتَّبَعَةِ^(٢)، وَأَذْنَى مِنَ الْعُذْرِ، وَأَرْجَى لِلنَّجَاةِ، وَقَدِّمُوا أَمْرَ اللَّهِ وَطَاعَةَ مَنْ أَوْجَبَ اللَّهُ طَاعَتَهُ بَيْنَ يَدَيِ الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَلَا تُقَدِّمُوا الْأُمُورَ الْوَارِدَةَ عَلَيْكُمْ مِنْ طَاعَةِ الطَّوَاعِغِ مِنَ زَهْرَةِ الدُّنْيَا^(٣) بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَطَاعَةَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ. وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عِبِيدُ اللَّهِ وَنَحْنُ مَعَكُمْ^(٤)، يُحْكُمُ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ سَيِّدٌ حَاكِمٌ غَدًا وَهُوَ مُوقِفُكُمْ وَمُسَائِلُكُمْ، فَأَعِدُّوا الْجَوَابَ قَبْلَ الْوُقُوفِ وَالْمُسَاءَلَةِ وَالْعَرْضِ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، يَوْمَئِذٍ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ. وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يُصَدِّقُ يَوْمَئِذٍ كَاذِبًا، وَلَا يَكْذِبُ صَادِقًا، وَلَا يَرُدُّ عُذْرَ مُسْتَحِقٍّ، وَلَا يَعْذِرُ غَيْرَ مَعْذُورٍ^(٥)، لَهُ الْحُجَّةُ عَلَى خَلْقِهِ بِالرُّسُلِ وَالْأَوْصِيَاءِ بَعْدَ الرُّسُلِ.

١- طه: ٣٠.

٢- التبعة- بفتح التاء وكسر الباء-: ما على أحد من حق الغير، سمي بها لأن صاحبه يتبعه ويطلبه ويطلب منه. راجع: لسان العرب، ج ٨، ص ٣٠؛ المصباح المنير، ص ٧٢؛ شرح المازندراني، ج ١١، ص ١٩٤.

٣- في شرح المازندراني: «من» الأولى بيان للأمور، أو ابتدائية لها، وكذا الثانية بعطفها على الأولى من غير عاطف، وتركها شائع، ويحتمل أن يكون الثانية بياناً لطاعة الطواغيت، أو ابتدائية لها. وفي المرأة: «قوله عليه السلام: من طاعة، «من» ابتدائية، وقوله عليه السلام: من زهرة، بيانية، أي لا تقدموا على طاعة الله الأمور التي تحصل لكم بسبب طاعة الطواغيت، والأمور هي زهرات الدنيا، أي بهجتها ونضارتها وحسنها».

٤- في الأمالي للمفيد: «أنكم ونحن عباد الله» بدل «أنكم عبيد الله ونحن معكم».

٥- قال ابن الأثير: «حقيقة عذرت: محوُ الإساءة وطمستها». وقال الفيومي: «عذرتة في ما صنع عُذْرًا، من باب ضرب: رفعت عنه اللوم فهو معذور». النهاية، ج ٣، ص ١٩٧؛ المصباح المنير، ص ٣٩٨ (عذر). وفي شرح المازندراني: «أي يلوم ويعاقب من ليس له عذر في ترك ما امر به من طاعته وطاعة رسوله وطاعة ولي الأمر بعدها، إذ ليس له حجة وعذر على الله بعد البيان وإنما الحجة لله عليه».

فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ، وَاسْتَقْبِلُوا مِنْ إِصْلَاحِ أَنْفُسِكُمْ وَطَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةَ مَنْ تَوَلَّوْنَهُ فِيهَا، لَعَلَّ نَادِمًا قَدْ نَدِمَ فِيمَا فَرَطَ بِالْأَمْسِ فِي جَنْبِ اللَّهِ^(١)، وَضَيَّعَ مِنْ حُقُوقِ اللَّهِ، وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ، وَيَغْفُو عَنِ السَّيِّئَةِ، وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ.

وَيَاكُمْ وَصُحْبَةَ الْعَاصِينَ، وَمَعُونَةَ الظَّالِمِينَ، وَمُجَاوَرَةَ الْفَاسِقِينَ، احْذَرُوا فِتْنَتَهُمْ، وَتَبَاعَدُوا مِنْ سَاحَتِهِمْ.

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ خَالَفَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ، وَدَانَ بِغَيْرِ دِينِ اللَّهِ، وَاسْتَبَدَّ بِأَمْرِهِ دُونَ أَمْرِ وَلِيِّ اللَّهِ، كَانَ^(٢) فِي نَارٍ تَلْتَهِبُ، تَأْكُلُ أَبَدَانًا قَدْ غَابَتْ عَنْهَا أَرْوَاحُهَا^(٣)، وَغَلَبَتْ عَلَيْهَا شِقْوَتُهَا، فَهُمْ مَوْتَى لَا يَجِدُونَ حَرَّ النَّارِ، وَلَوْ كَانُوا أَحْيَاءَ لَوَجَدُوا مَضَضَ^(٤) حَرِّ النَّارِ، وَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ، وَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ. وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَا تَخْرُجُونَ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ إِلَى غَيْرِ قُدْرَتِهِ، وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ؛ فَانْتَفِعُوا بِالْعِظَةِ، وَتَذَبُّوا بِآذَابِ الصَّالِحِينَ^(٥).

١ - في المرأة: «قوله عليه السلام: لعل نادماً، على سبيل المماشاة، أي يمكن أن يندم نادم يوم القيامة على ما قصر بالأمس، أي في الدنيا. في جنب الله، أي في قربه و جواره، أو في أمره و طاعته، أو مقرّي جنبه، أعني الأئمة عليهم السلام و إطاعتهم، كما ورد في الأخبار الكثيرة. والحاصل أنّ إمكان وقوع ذلك الندم كاف في الحذر فكيف مع تحقّقه، أو لأنّ بالنسبة إلى كلّ شخص غير متحقّق. وفي تحف العقول: من إصلاح أنفسكم و طاعة الله و طاعة من تولّونه في ما لعلّ نادماً. وهو أظهر». و راجع: القاموس المحيط، ج ١، ص ١٤٣ (جنب).

٢ - في شرح المازندراني: «قال الفاضل الأمين الإسترآبادي: «كأنّ» بالتشديد؛ ليكون من الحروف المشبهة بالفعل، والمراد أنّ حاله هكذا في الدنيا في نظر أولياء الله. أقول: الجزءاء حيثئذ غير مرتبط بالشرط، وتقدير العائد خلاف الظاهر، والظاهر أنّ «كان» ناقصة».

٣ - في شرح المازندراني: «قد غابت عنها أرواحها، من باب نسبة الجمع إلى الجمع بالتوزيع، والمراد بغيوبها فسادها بالمهلكات».

٤ - المَضَضُ: الألم و الوجع. راجع: الصحاح، ج ٣، ص ١١٠٦؛ المصباح المنير، ص ٥٧٤ (مضض).

٥ - الكافي: ج ٨، ص ١٤، ح ٢. الأُمالي للمفيد، ص ١٩٩، المجلس ٢٣، ح ٣٣، بسنده عن الحسن بن محبوب، تحف العقول، ص ٢٥٢، عن علي بن الحسين عليهما السلام، الوافي، ج ٢٦، ص ٢٤٥، ح ٢٥٤٠٤؛ الوسائل، ج ١٦، ص ١١، ح ٢٠٨٢٨..

وقد تضمنت هذه الرسالة المهمة عدة مضامين ومفاهيم، ومنها:

١- التحذير من الانخداع ببهارج الدنيا وزينتها، والتركيز على الرغبة في الآخرة ونعيمها.

٢- عدم الافتتان بسياسة الطواغيت وأتباعهم من أهل الدنيا، والحذر من الركون إلى الظالمين أو معاونتهم على ظلمهم، لأن ذلك يؤدي إلى الخسران في الدنيا والآخرة، ويورد إلى النار وبئس المصير. قال الإمام محذرًا: «وَيَاكُمْ وَصُحْبَةَ الْعَاصِينَ، وَمَعُونَةَ الظَّالِمِينَ، وَمُجَاوَرَةَ الْفَاسِقِينَ، اخْذَرُوا فِتْنَتَهُمْ، وَتَبَاعَدُوا مِنْ سَاحَتِهِمْ».

٣- اليقظة والانتباه «مِنْ مُظْلِمَاتِ الْفِتَنِ، وَحَوَادِثِ الْبِدْعِ، وَسُنَنِ الْجُورِ، وَبَوَائِقِ^(١) الزَّمَانِ، وَهَيْبَةِ السُّلْطَانِ، وَوَسْوَسةِ الشَّيْطَانِ» كما قال الإمام في رسالته.

٤- أهمية أعمال العقل، وإيقاظ الضمير، والتأمل في الأمور، والنظر بعين بصيرة؛ حتى يزيد من وعيه وفهمه وإدراكه لحقائق الأشياء.

٥- التحلي بالصبر، والزهد عن الدنيا، وذكر الموت، ومحاسبة النفس ومراقبتها، والاستعانة بالله تعالى، والانقياد لطاعة الله وطاعة رسوله وطاعة أوصيائه وهم الأئمة المعصومون.

٦- الوصية بتقوى الله في السر والعلن، وإصلاح النفس وتهذيبها، والتوبة النصوح، والاكثار من الاستغفار، والاستعداد للموت في أي لحظة؛ فإن الاتصاف بذلك من علامات الإنسان المؤمن والصالح.

١ - البوائق: جمع البائقة، وهي الداهية والشرّ الشديد. راجع: النهاية، ج ١، ص ١٦٢؛ المصباح المنير، ص ٦٦ (بوق).

٤ - رعاية الجماعة المؤمنة

في ظل الأوضاع السياسية الصعبة التي كان يعيشها أتباع مدرسة أهل البيت في عصر الإمام زين العابدين (عليه السلام)، والتضييق عليهم سياسيًا، ومحاصرتهم اقتصاديًا، ومصادرة ممتلكاتهم وأموالهم؛ عمل الإمام على التخفيف من معاناتهم، ورعايتهم، وقضاء حوائجهم، وإيصال المساعدات إليهم حتى يستطيعوا مواجهة الظروف الحياتية الصعبة، ويستمروا في السير على نهج أهل البيت الأطهار.

وواجه الشيعة بعد واقعة كربلاء ظروفًا في غاية الصعوبة والتعقيد والقهر السياسي، وتحولت الكوفة من مركز مهم من مراكز الشيعة إلى مركز لقمع الشيعة واضطهادهم، فبالرغم من وجود عدد كبير منهم فيها إلا أنهم لم يكونوا يستطيعون أن يجاهرُوا بتشييعهم، نظرًا للظروف القمعية والقاسية التي اتبعها ابن زياد تجاههم.

وبعد تخلص الإمام زين العابدين (عليه السلام) من قيود الأسر في المدينة المنورة، واستقراره فيها، وابتعاده عن العراق، أضفى الإمام حياة جديدة على أصحابه وشيعته، وبدأ يعيد تكوين الصفوة المؤمنة من خُلص أصحابه، ويرعاهم ويتفقد أحوالهم، ويقدم لهم يد المساعدة والمعونة.

وفي قصة معبرة يتبين فيها تأثير الإمام لأحد أصحابه المحتاجين، وقدم له مساعدة أغتته عن العوز والحاجة، فقد روى الزُّهري قال: كُنْتُ عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: مَا خَبْرُكَ أَيُّهَا الرَّجُلُ؟

فَقَالَ الرَّجُلُ: خَيْرِي يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ، أَنِّي أَصْبَحْتُ وَعَلَيَّ خَمْسُ مِئَةِ دِينَارٍ دَيْنٌ لَا قَضَاءَ عِنْدِي لَهَا، وَبِي عِيَالٌ ثَقَالٌ لَيْسَ لِي مَا أَدْعُو عَلَيْهِمْ بِهِ.

قَالَ: فَبَكَى عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بُكَاءً شَدِيدًا، فَقِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ؟

فَقَالَ: وَهَلْ بَعْدَ الْبُكَاءِ إِلَّا الْمَصَائِبُ وَالْمَحَنُ الْكِبَارُ، قَالُوا: كَذَلِكَ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ.

قَالَ: فَأَيَّةُ مِحْنَةٍ وَمُصِيبَةٍ أَعْظَمَ عَلَى حُرْمَةِ مُؤْمِنٍ مِنْ أَنْ يَرَى بِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ خَلَّةً فَلَا يُمَكِّنُهُ سَدُّهَا، وَيُشَاهِدُهُ عَلَى فَاقَةٍ فَلَا يُطِيقُ رَفْعَهَا.

قَالَ: وَتَفَرَّقُوا عَنْ مَجْلِسِهِمْ ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُ مِنَ الْمَخَالِفِينَ - وَهُوَ يَطْعُنُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) -: عَجَبًا لَهُؤُلَاءِ يَدَّعُونَ أَنَّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَكُلَّ شَيْءٍ تُطِيعُهُمْ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَرُدُّهُمْ عَنْ شَيْءٍ طَلَبًا لَهُمْ، ثُمَّ يَعْتَرِفُونَ أُخْرَى بِالْعَجْزِ عَنْ إِصْلَاحِ خَوَاصِّ إِخْوَانِهِمْ، فَاتَّصَلَ بِالرَّجُلِ صَاحِبُ الْقِصَّةِ، فَجَاءَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام)، فَقَالَ: يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ، بَلَغَنِي عَنْ فُلَانٍ كَذَا وَكَذَا، وَكَانَ ذَلِكَ أَغْلَظَ عَلَيَّ مِنْ مِحَّتِي، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام): فَقَدْ أَذِنَ اللَّهُ فِي فَرَجِكَ، يَا فُلَانَةُ أَجْمَلِي سَحُورِي وَفَطُورِي، فَحَمَلْتُ قُرْصَتَيْنِ، فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) لِلرَّجُلِ: خُذْهُمَا فَلَيْسَ عِنْدَنَا غَيْرُهُمَا، فَإِنَّ اللَّهَ يَكْشِفُ عَنْكَ بِهِمَا وَيُنِيلُكَ خَيْرًا وَاسِعًا مِنْهُمَا، فَأَخَذَهُمَا الرَّجُلُ، وَدَخَلَ السُّوقَ مَا يَذِرِي مَا يَضْنَعُ بِهِمَا، يَتَفَكَّرُ فِي ثَقَلِ دِينِهِ، وَسُوءِ حَالِ عِيَالِهِ، وَيُوسَّوِسُ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ، أَيْنَ مَوْقِعُ هَاتَيْنِ مِنْ حَاجَتِكَ، فَمَرَّ بِسَمَّاكِ قَدْ بَاتَتْ عَلَيْهِ سَمَكْتُهُ قَدْ أَرَا حَتَّ، فَقَالَ لَهُ: سَمَكْتُكَ هَذِهِ بَائِرَةٌ عَلَيْكَ، وَإِحْدَى قُرْصَتَيَّ هَاتَيْنِ بَائِرَةٌ عَلَيَّ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تُعْطِيَنِي سَمَكْتَكَ الْبَائِرَةَ وَتَأْخُذَ قُرْصَتِي هَذِهِ الْبَائِرَةَ؟

فَقَالَ: نَعَمْ، فَأَعْطَاهُ السَّمَكَةَ وَأَخَذَ الْقُرْصَةَ، ثُمَّ مَرَّ بِرَجُلٍ مَعَهُ مِلْحٌ قَلِيلٌ مَزْهُودٌ فِيهِ، فَقَالَ: هَلْ لَكَ أَنْ تُعْطِيَنِي مِلْحَكَ هَذَا الْمَزْهُودَ فِيهِ بِقُرْصَتِي هَذِهِ الْمَزْهُودَ فِيهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، فَفَعَلَ، فَجَاءَ الرَّجُلُ بِالسَّمَكَةِ وَالْمِلْحِ، فَقَالَ: أَصْلِحْ هَذِهِ

بهَذَا، فَلَمَّا شَقَّ بَطْنَ السَّمَكَةِ وَجَدَ فِيهَا لَوْلَتَيْنِ فَاخْرَتَيْنِ فَحَمِدَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا، فَبَيْنَا هُوَ فِي سُورِهِ ذَلِكَ إِذْ قُرِعَ بَابُهُ فَنَظَرَ مَنْ بِالْبَابِ فَإِذَا صَاحِبُ السَّمَكَةِ وَصَاحِبُ الْمَلْحِ قَدْ جَاءَا، يَقُولُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ جَهْدْنَا أَنْ نَأْكَلَ نَحْنُ أَوْ أَحَدٌ مِنْ عِيَالِنَا هَذَا الْقُرْصَ فَلَمْ تَعْمَلْ فِيهِ أَسْنَانُنَا، وَمَا نَظُنُّكَ إِلَّا وَقَدْ تَنَاهَيْتَ فِي سُوءِ الْحَالِ، وَمَرَنْتَ عَلَى الشَّقَاءِ قَدْ رَدَدْنَا عَلَيْكَ الْقُرْصَيْنِ، فَأَخَذَ الْقُرْصَيْنِ مِنْهُمَا، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بَعْدَ انْصِرَافِهِمَا عَنْهُ، قَرَعَ رَجُلٌ بَابَهُ، فَإِذَا رَسُولُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) فَدَخَلَ، فَقَالَ: إِنَّهُ يَقُولُ لَكَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ آتَاكَ الْفَرَجَ، فَارْزُقْ طَعَامَنَا فَإِنَّهُ لَا يَأْكُلُهُ غَيْرُنَا، وَبَاعَ الرَّجُلُ اللَّوْلُوتَيْنِ بِمَالٍ عَظِيمٍ قَضَى دَيْنَهُ مِنْهُ، وَحَسُنْتَ بَعْدَ ذَلِكَ حَالُهُ.

فَقَالَ بَعْضُ الْمُخَالِفِينَ: مَا أَشَدَّ هَذِهِ التَّفَاوُتَ بَيْنَا، عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَسُدَّ مِنْهُ فَاقَتَهُ إِذْ أَغْنَاهُ هَذَا الْغِنَاءُ الْعَظِيمُ، كَيْفَ يَكُونُ هَذَا، وَكَيْفَ يَعْجِزُ عَنْ سَدِّ الْفَاقَةِ مَنْ يَقْدِرُ عَلَى الْغِنَاءِ الْعَظِيمِ؟

فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام): هَكَذَا قَالَتْ قُرَيْشُ لِلنَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم): كَيْفَ يَمْضِي إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ وَيُشَاهِدُ مَا فِيهِ مِنْ آثَارِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ مَكَّةَ وَيَرْجِعُ إِلَيْهَا فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ مَنْ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَبْلُغَ [مِنْ] مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ إِلَّا فِي اثْنِي عَشَرَ يَوْمًا، وَذَلِكَ حِينَ هَاجَرَ مِنْهَا؟!

ثُمَّ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام): جَهِلُوا وَاللَّهِ أَمَرَ اللَّهُ وَأَمَرَ أَوْلِيَائِهِ مَعَهُ أَنَّ الْمُرَاتِبَ الرَّفِيعَةَ لَا تُنَالُ إِلَّا بِالتَّسْلِيمِ لِلَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَتَرْكِ الْإِقْتِرَاحِ عَلَيْهِ، وَالرِّضَا بِمَا يُدَبِّرُهُمْ بِهِ، إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ صَبَرُوا عَلَى الْمِحْنِ وَالْمُكَارِهِ صَبْرًا لَمْ يُسَاوِهِمْ فِيهِ غَيْرُهُمْ، فَجَازَاهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ ذَلِكَ بِإِزَاءِ مَا وَجَبَ لَهُمْ نَجْحُ جَمِيعِ طَلِبَاتِهِمْ، لَكِنَّهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يُرِيدُونَ مِنْهُ إِلَّا مَا يُرِيدُهُ هُمْ^(١).

١ - روضة الواعظين وبصيرة المتعظين (ط - القديمة)، ج ١، ص: ١٩٦ - ١٩٧. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص: ٢٠ - ٢٢.

تكشف هذه القصة عن عناية الإمام زين العابدين (عليه السلام) بأصحابه، ورعايته لأفراد الجماعة المؤمنة، ودعمهم للتقوي على مصاعب الحياة، وتقديم المساعدة والمعاونة لهم، فالإمام كما كان يهتم بتربيتهم أخلاقياً وتعليمهم دينياً، كان يراعى أحوالهم المعيشية والاقتصادية حتى يعيشوا بكرامة واحترام. وكان الإمام (عليه السلام) على علاقة وثيقة بأصحابه من كل بلاد المسلمين، ويتفقد أحوالهم، ويستقبلهم في داره في المدينة، ويطلع على أحوالهم وشؤونهم، ويرشدهم إلى ما ينبغي عليهم القيام به.

رُوي: أَنَّ رَجُلًا مُؤْمِنًا مِنْ أَكْبَرِ بِلَادِ بَلْخِ كَانَ يَحْجُ الْبَيْتَ وَيَزُورُ النَّبِيَّ فِي أَكْثَرِ الْأَعْوَامِ، وَكَانَ يَأْتِي عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) وَيَزُورُهُ، وَيَحْمِلُ إِلَيْهِ الْهَدَايَا وَالتُّحَفَ، وَيَأْخُذُ مَصَالِحَ دِينِهِ مِنْهُ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى بِلَادِهِ، فَقَالَتْ لَهُ زَوْجَتُهُ: أَرَأَيْكَ تُهْدِي تَحَفًا كَثِيرَةً وَلَا أَرَاهُ يُجَازِيكَ عَنْهَا بِشَيْءٍ، فَقَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي يُهْدِي إِلَيْهِ هَدَايَا هُوَ مَلِكُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَجَمِيعُ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ تَحْتَ مَلِكِهِ؛ لِأَنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، وَحُجَّتُهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَهُوَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِمَامُنَا.

فَلَمَّا سَمِعَتْ ذَلِكَ مِنْهُ أَمْسَكَتْ عَنْ مَلَامَتِهِ، ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ تَهَيَّأَ لِلْحَجِّ مَرَّةً أُخْرَى فِي السَّنَةِ الْقَابِلَةِ، وَقَصَدَ دَارَ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ (عليه السلام)، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ فَأَذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَبَّلَ يَدَيْهِ، وَوَجَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ طَعَامًا، فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِ وَأَمَرَهُ بِالْأَكْلِ مَعَهُ، فَأَكَلَ الرَّجُلُ^(١).

ويستفاد من هذه القصة أن الإمام كان يهتم برعاية أصحابه، وتعليمهم أمور دينهم، وأحكام الشرع المقدس حتى يقوموا بدورهم في إيصال هذه الأحكام والإرشادات الدينية والحياتية إلى قومهم.

٥- الإصلاح الاجتماعي

بذل الإمام زين العابدين عليه السلام جهوداً كبيرة في إصلاح المجتمع، ونشر القيم والمبادئ الأخلاقية، والدعوة إلى الفضيلة والتدين، ومواجهة الفساد الاجتماعي، والتحلل الأخلاقي.

في حين نشر حكام بني أمية في زمانه الفساد، وأشاعوا التحلل الأخلاقي، وروجوا اللهو المحرم على نطاق واسع جداً حتى تحولت مدينة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى مركز للفساد واللهو واللعب بدلاً من أن تكون مركزاً للإشعاع الديني والعلمي والحضاري كما ينبغي أن تكون.

ووصل الغناء والمجون في يثرب أيام الأمويين إلى الحد الذي كانت تعج فيه بالمغنين والمغنيات ولا ينكره أحد. قال أبو الفرج الأصبهاني: «إن الغناء في المدينة لا ينكره عالمهم، ولا يدفعه عابدهم»^(١).

وقال أبو يوسف القاضي لبعض أهالي المدينة: «ما أعجب أمركم يا أهل المدينة في هذه الأغاني! ما منكم شريف ولا دنيء يتحاشى عنها!»^(٢). وكان العقيق إذا سال، وأخذ المغنون يلقون أغانيهم لم تبق في المدينة مخبأة ولا شابة ولا شاب ولا كهل إلا خرج ببصره لسمع الغناء^(٣).

ومن طريف ما ينقل «أنه شهد عند عبدالعزیز المخزومي، قاضي يثرب، دحمان المغني الشهير لرجل من أهل المدينة على رجل من أهل العراق فأجاز القاضي شهادته وعدله، فقال له العراقي: إنه يغني ويعلم الجواري الغناء، فقال القاضي: غفر الله لنا ولك، وأينا لا يتغنى»^(٤).

١- الأغاني: ج ٨، ص ٢٢٤.

٢- العقد الفريد: ج ٣، ص ٢٣٣.

٣- العقد الفريد: ج ٣، ص ٢٤٥.

٤- الأغاني: ج ٦، ص ٢١.

وكانت تقام في يثرب والمدينة حفلات الغناء والرقص لأشهر المغنين والمغنيات، وربما كانت مختلطة بين الرجال والنساء، ولم توضع بينهما ستارة^(١). وروى أبو الفرج الأصبهاني: «إن جميلة جلست يوماً، ولبست برنساً طويلاً، وألبست من كان معها برانس، ثم قامت ورقصت، وضربت بالعود، وعلى رأسها البرنس الطويل، وعلى عاتقها بردة يمانية، وعلى القوم أمثالها وقام ابن سريج يرقص، ومعبد والغريدي وابن عائشة ومالك، وفي يد كل منهم عود يضرب به على ضرب جميلة، ورقصها، فغنت وغنى القوم على غنائها، ثم دعت بثياب مصبغة، ودعت للقوم بمثل ذلك فلبسوا، وتمشت ومشى القوم خلفها، وغنت وغنوا بغنائها بصوت واحد»^(٢).

وكانت عائشة بنت طلحة تقيم احتفالات مختلطة من الرجال والنساء، وتغني فيها عزة الميلاء^(٣).

ووصل الأمر إلى أن المغنية الشهيرة جميلة لما ذهبت للحج خرج الناس في استقبالها بما لم يشاهد مثله من قبل، بينما لا يحظى أي فقيه أو محدث أو عالم كبير بمثل ذلك.

فقد ذكر الأصفهاني في أغانيه: «إن جميلة حجّت، فخرج معها من المغنين مشييعين حتى وافوا مكة ورجعوا معها من الرجال المشهورين الحذاق بالغناء مثل: هيت، وطويس، والدلال، وبرد الفؤاد، ونومة الضحى، وفند، ورحمة، وهبة الله - هؤلاء مشايخ وكلّهم طيّب الغناء - ومعبد، ومالك، وابن عائشة، ونافع بن طنبورة، وبديح المليح، ونافع الخير. ومن المغنيات الفرهة، [و] عزة الميلاء، وحبابة، وسلامة، وخليدة، وعقيلة، والشّاسية،

١ - موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام زين العابدين (عليه السلام)، باقر شريف القرشي، ج ١٦، ص ٣٨٥.

٢ - الأغاني: ج ٨، ص ٢٢٧.

٣ - الأغاني: ج ١٠، ص ٥٧.

وفرعة، وبلبله، ولذة العيش، وسعيدة، والزرقاء. ومن غير المغنين ابن أبي عتيق، والأحوص، وكثير عزة، ونصيب، وجماعة من الأشراف. وكذلك من النساء من مواليتها وغيرهن. وأما سياط فذكر أنه حجّ معها من القيان مشيعات لها ومعظّمات لقدرها ولحقّها زهاء خمسين قينة، وجّه بهنّ مواليهنّ معها فأعطوهنّ النفقات وحملوهنّ على الإبل في الهودج والقباب وغير ذلك؛ فأبت جميلة أن تنفق واحدة منهنّ درهماً فما فوقه حتى رجعن. وأما يونس فذكر أنه حجّ معها من الرجال المغنين مع من سمّينا زهاء ثلاثين رجلاً، وتخايروا في اتخاذ أنواع اللباس العجيب الظريف وكذلك في الهودج والقباب. وقيل: فيما قال أهل المدينة: إنهم ما رأوا مثل ذلك الجمع سفراً طيباً وحسناً وملاحة. قالوا: ولما قاربوا مكة تلقّاهم سعيد بن مسجح، وابن سريج، والغريض، وابن محرز، والهلاليون، وجماعة من المغنين من أهل مكة وقيان كثير لم يسمّين لنا، ومن غير المغنين عمر بن أبي ربيعة، والحارث بن خالد المخزومي، والعرجي، وجماعة من الأشراف. فدخلت جميلة مكة وما بالحجاز مغنّ حاذق ولا مغنيّة إلا وهو معها وجماعة من الأشراف ممن سمّينا وغيرهم من الرجال والنساء. وخرج أبناء أهل مكة من الرجال والنساء ينظرون إلى جمعها وحسن هيئتهم^(١).

وتدل هذه الروايات على مستوى الانحطاط الأخلاقي الذي كان سائداً في المدينة آنذاك، بفعل السياسة الأموية التي كانت تشجع على نشر التحلل والميوعة والفساد الاجتماعي.

وانتشر الفساد والمجون والغناء والرقص في بلاد المسلمين، وخصوصاً في يثرب رغم ما تمثله من ثقل ديني كبير، بفعل السياسة الأموية التي أرادت

إلهاء الناس عن أحداث كربلاء، وجرائم الجيش الأموي بحق الأبرياء في المدينة ومكة، وأعظمها ما حدث في واقعة عاشوراء الدامية.

وفي الوقت الذي كان فيه الأمويون يقابلون من يختلف معهم في الرأي والمنهج بالسجن والقتل وقطع العطاء من بيت المال، كانوا يبذلون الأموال على المغنين والمغنيات وشعراء اللهو وأهل الفسق والفجور، ويجزلون لهم العطايا والهدايا النفيسة، ومن الأمثلة على ذلك: أعطى الوليد بن يزيد معبداً المغني اثني عشر ألف دينار^(١). واستقدم جميع مغني ومغنيات الحجاز وأغدق عليهم الجوائز الكثيرة^(٢). ووفد على يزيد بن عبد الملك معبد ومالك بن أبي السمح وابن عائشة؛ فأمر لكل واحد منهم بألف دينار، وطلب الوليد المغني يونس الكاتب فذهب إليه وغناه فأعجب بغنائه، فأجازه بثلاثة آلاف دينار^(٣).

الإمام وبيان حرمة الغناء

في مواجهة هذا الفساد والانحطاط الأخلاقي كان الإمام زين العابدين (عليه السلام) يجهر ببيان حرمة الغناء، فعندما سُئِلَ (عليه السلام): عَنْ شِرَاءِ جَارِيَةٍ لَهَا صَوْتُ؟ فَقَالَ: «مَا عَلَيْكَ لَوْ اشْتَرَيْتَهَا فَذَكَّرْتِكَ الْجَنَّةَ، يَعْنِي بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَالزُّهْدِ وَالْفَضَائِلِ الَّتِي لَيْسَتْ بِغِنَاءٍ، فَأَمَّا الْغِنَاءُ فَمَحْظُورٌ»^(٤).

وأوضح (عليه السلام) الآثار السلبية لانتشار الغناء وآلات اللهو المحرم في المجتمع، إذ روي عنه (عليه السلام) أنه قَالَ: «لَا يُقَدِّسُ اللَّهُ أُمَّةً فِيهَا بَرَبُطٌ»^(٥) يُقَعِّعُ وَنَايَةً تُفَجِّعُ»^(٦).

١- الأغاني: ج ١، ص ٥٥.

٢- الأغاني: ج ٥، ص ١١١.

٣- الأغاني: ج ٤، ص ٥٤١.

٤- وسائل الشيعة: ج ١٧، ص: ١٢٢، ح ٢٢١٥٠.

٥- البربط: العود، وهو من آلات اللهو. (مجمع البحرين- بربط- ٤- ٢٣٧).

٦- وسائل الشيعة: ج ١٧، ص: ٣١٣، ح ٢٢٦٢٩.

جهود الإمام الإصلاحية

قام الإمام زين العابدين عليه السلام بعدة أعمال لإصلاح الأوضاع الفاسدة، ودفع المجتمع تدريجيًا نحو التغيير الإيجابي، ومن أهمها ما يأتي:

١ - تربية الكوادر الرسالية:

من أهم الأعمال التي قام بها الإمام لمواجهة الأوضاع السياسية السيئة والتحلل الأخلاقي والتخلف العلمي هو تربية كوادر رسالية مؤهلة علميًا وعمليًا، وكان يرعى هذه الكوادر أخلاقيًا وتربويًا، ويعتني بالخواص من أصحابه، ويوجههم ويرشدهم لما فيه الخير والهدى والصالح.

٢ - التركيز على البعد الروحي:

في مواجهة سياسة نشر الفساد والتحلل الأخلاقي الذي اتبعه الأمويون قام الإمام بالتركيز على البعد الروحي والمعنوي والأخلاقي، واتبع أسلوب التربية بالدعاء، والحث على العبادة والانقطاع إلى الله سبحانه، والزهد في الدنيا وإيثار الآخرة.

٣ - التشجيع على العلم:

كان الإمام كثيرًا ما يشجع على اكتساب العلوم والمعارف الإسلامية، ويحث الشباب ويشجعهم على التعلم والدراسة، فالمجتمع لا يمكن إصلاحه إلا بالقيم الدينية والاستزادة من العلم والأخلاق الحسنة.

٤ - التوجيه السياسي:

كان الإمام متابعًا بدقة للأوضاع السياسية في عصره، فلم يكن منفصلًا عن الواقع الاجتماعي والسياسي للأمة؛ فالإصلاح الاجتماعي يتطلب معرفة ما يدور في المجتمع من أحداث وتطورات حتى يمتلك القدرة على ممارسة التغيير والإصلاح.

ومن الشواهد على ذلك ما رواه ابن سعد (ت ٢٣٠هـ): عن عبدالله بن حسن^(١) أنه قال: «كان علي بن حسين بن علي بن أبي طالب يجلس كل ليلة، هو وعروة بن الزبير في مؤخر مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد العشاء الآخرة، فكنت أجلس معهما فتحدثنا ليلة فذكر جور من جار من بني أمية والمقام معهم وهو لا يستطيعون تغيير ذلك، ثم ذكرا ما يخافان من عقوبة الله لهم، فقال عروة لعلي: يا علي، إن من اعتزل أهل الجور والله يعلم منه سخطه لأعمالهم فإن كان منهم على ميل ثم أصابتهم عقوبة الله رجي له أن يسلم مما أصابهم، قال: فخرج عروة فسكن العقيق. قال عبد الله: وخرجت أنا فنزلت سويقة»^(٢).

وأما الإمام زين العابدين (عليه السلام) فلم يخرج من المدينة، بل بقي فيها متابعاً لأحداث الساحة الاجتماعية والسياسية، وموجهاً أصحابه لما يجب عليهم القيام به، ومربياً للخواص والثقات من تلامذته وطلابه ومريديه، وقائماً بأدوار الإمامة وشؤونها العامة.

١ - المقصود به: عبد الله بن الحسن بن الحسن. راجع تاريخ مدينة دمشق: ج ٤٠، ص ٢٧٨.

٢ - الطبقات الكبرى: ابن سعد، ج ٥، ص ١٨١.

خلاصة الباب الرابع

الباب الرابع من هذا الكتاب كان موسومًا بـ «السيرة السياسية للإمام زين العابدين (عليه السلام)»، وتطرقنا فيه إلى صفحة مهمة من حياة الإمام زين العابدين (عليه السلام) وهي السيرة السياسية من مختلف جوانبها وأبعادها، فقد عاصر (عليه السلام) عددًا من الأحداث السياسية الكبرى، ومن أبرزها واقعة كربلاء بكل تفاصيلها؛ فقد شاهد بأُمن عينيه وقائعها الدامية، إذ كان موجودًا فيها وشاهدًا على مجرياتها، وعانى بعدها أيام الأسر والمحن، وقاد مع عمته السيدة زينب (عليها السلام) الركب الحسيني حتى عودته إلى المدينة المنورة، ثم عاش أيام إمامته في ظل ستة من حكام الجور والظلم، وكانت حافلة بالأحداث والحروب الداخلية والثورات والتقلبات السياسية، وقد تضمن هذا الباب ثلاثة فصول، وهي:

الفصل الأول: حمل عنوان: «الإمام زين العابدين (عليه السلام) وحكام عصره»، وتطرقنا فيه إلى حياة الإمام زين العابدين (عليه السلام) في ظل الحكام الأمويين وابن الزبير الذين عاصروهم فترة إمامته، وهم: يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (٦١ - ٦٤ هـ / ٦٨٠ - ٦٨٣)، ثم تولى الحكم بعده لفترة وجيزة ابنه معاوية بن يزيد بن معاوية (٦٤ هـ - ٦٤ هـ / ٦٨٣ - ٦٨٤ م)، وتولى مقاليد الحكم في الحجاز بعد هلاك يزيد عبدالله بن الزبير بن العوام (٦٤ - ٧٣ هـ / ٦٨٣ - ٦٩٢ م)، وفي الشام تولى الحكم بعد معاوية بن يزيد، مروان بن الحكم بن أبي العاص (٦٤ - ٦٥ هـ / ٦٨٤ / ٦٨٥ م)، ثم تولى مقاليد السلطة ابنه عبدالملك بن مروان بن الحكم (٦٥ - ٨٦ هـ / ٦٨٥ - ٧٠٥ م)، ثم تولى مقاليد الحكم ابنه الوليد بن عبدالملك (٨٦ - ٩٦ هـ / ٧٠٧ - ٧١٥ م)، واستشهد الإمام زين العابدين (عليه السلام) في عهده، ووُوري جثمانه الطاهر في البقيع.

وعانى الإمام زين العابدين (عليه السلام) من هؤلاء الحكام الظلم والجور والعسف، وضيقوا عليه الخناق، ووضعوا عليه العيون لمراقبته ورصد جميع تحركاته وأنشطته وأعماله؛ وكانت له مواقف مشهودة معهم، كما كانت لهم مواقف مع الإمام يغلب عليها الطابع السلبي.

وكان أول حاكم عاصره الإمام أيام إمامته هو يزيد بن معاوية، وهو من أعتى طغاة بني أمية، وأشدّهم ظلمًا وبطشًا وجورًا بمعارضيه وخصومه، ويكفي ما فعله بعثرة النبي (صلى الله عليه وآله) في كربلاء، ورميه للكعبة المشرفة، واستباحته لمدينة الرسول الأعظم، وقتله للأبرياء في المدينة ومكة.

وكان للإمام (عليه السلام) مشادات قوية مع يزيد حتى إنه همّ بقتله لولا حفظ الله له، فقد أنجاه الله من القتل في عدة مواطن: في واقعة كربلاء، وعندما أراد ابن زياد قتله، وكذا لما حرّض عليه بعض رجالات أهل الشام يزيد كي يقتله، وعندما استباح جيش يزيد المدينة المنورة وقتل فيها الآلاف من الناس بمن فيهم الصحابة والقراء وغيرهم، وفي كل مرة يخلصه الله تعالى من القتل حتى تستمر الإمامة في نسله المبارك ولا تنقطع.

وأما الحاكم الأموي الثاني الذي عاصره الإمام زين العابدين (عليه السلام) أيام إمامته فهو معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بعد هلاك أبيه يزيد وبوصية منه، فبايعه الناس في دمشق مقر الخلافة الأموية في سنة ٦٤ هـ، ولكن سرعان ما تنازل عن العرش ولم يوص لأحد من بعده، فبايع الأمويون مروان بن الحكم.

وتشير المصادر التاريخية إلى أن معاوية بن يزيد بن معاوية كان رجلاً فيه خير وصلاح، فقد ألقى خطاباً مهماً عندما أراد ترك الحكم، وذكر فيه عدم أحقية جده معاوية بالخلافة، وأن الإمام علي (عليه السلام) هو الأحق بها، وأن أباه

يزيد ليس مؤهلاً للحكم، وأنه ارتكب فضائع شديدة، وكان من أعظمها قتل الإمام الحسين عليه السلام والصفوة من أهله وأصحابه، وأنه لا يريد ارتكاب أي شيء من الموبقات، فخلع نفسه من الحكم.

وبعد تنازل معاوية بن يزيد انتقل الحكم من البيت السفيفاني إلى البيت المرواني في الأسرة الأموية ليكون مروان بن الحكم أول حكام بني مروان، إذ سارع الأمويون لترتيب بيتهم الداخلي من أجل إبقاء الحكم بأيديهم، وعدم خروجه عن الأسرة الأموية التي بدأت تواجه معارضة شديدة من عدة جهات كابن الزبير، وحدثت انتفاضات وثورات متعددة ضد الحكم الأموي الذي ارتكب أفضع جريمة في التاريخ بقتله سبط النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسيد شباب أهل الجنة.

وبعد هلاك يزيد تولى مقاليد الحكم في الحجاز عبدالله بن الزبير بن العوام في سنة (٦٤ هـ - ٦٨٣ م)، وبايعه أهل الحجاز وما حولها، وامتد حكمه لمصر والعراق واليمن وخراسان، بينما بايع أهل الشام مروان بن الحكم بعد تخلي معاوية بن يزيد عن الحكم.

واتسم ابن الزبير بشدة العداوة لبني هاشم، ومع أنه كان العدو اللدود للأمويين أيضاً إلا أن عداؤه لبني هاشم كان أشد وأعظم، حتى إنه ترك الصلاة على النبي في خطبه وصلاته كرهاً لهم!

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يتخوف من بطش ابن الزبير وطغيانه، لما عرف عنه من قساوة وعداوة شديتين لبني هاشم، فقد كان أكثر عداوة وبغضاً وبطشاً من عتاة بني أمية.

وتخوَّف الإمام عليه السلام من ابن الزبير إنما هو ناجم من أن عهده كان يتسم بالشدة والقسوة والأخذ بالظنة، واتباع سياسة البطش والقمع والقتل

لمخالفيه، حتى إنه هدد أعيان ووجوه بني هاشم في مكة بعد أن سجنهم بالحرق إن لم يبايعوه! وهدم الكعبة المشرفة، وقتل في عهده الآلاف من الناس في الحروب الداخلية مع بني أمية، ومع الثوار الذين انتفضوا ضده كثورة المختار، وقتل المعارضين لحكمه.

ولهذا كله، كان الإمام زين العابدين (عليه السلام) يتجنب لقاء ابن الزبير، لما عُرف عنه من بغض ونصب لأهل البيت (عليهم السلام)، ولم يستقر الإمام في مكة عندما اتخذها ابن الزبير عاصمة له، كما فعل ابن عباس وابن الحنفية وابن عمر وغيرهم، بل اتخذ من المدينة مقراً دائماً له.

وتولى مروان بن الحكم بن أبي العاص الحكم بالشام بعد تنحي معاوية بن يزيد بن معاوية في سنة ٦٤ هـ، وهو أول من تولى مقاليد الحكم من بني الحكم بن أبي العاص، وإليه ينسب (بنو مروان) ودولتهم (المروانية).

وتسابق أهل الشام وأصحاب الأهواء والمصالح على مبايعة مروان، لتبدأ حقبة جديدة بقيادة المروانيين الذين أذاقوا المسلمين في فترة حكمهم شتى أنواع الظلم والجور والقهر والاستبداد، وبدأ مروان عهده بالحروب الداخلية مع ابن الزبير من جهة ومع السفينيين من جهة أخرى.

وعُرف مروان بن الحكم بعدائه الشديد لأمر المؤمنين (عليهم السلام)، ولأبنائه الأظهار، فهو الذي كان يشتم أمير المؤمنين (عليه السلام) عندما كان والياً على المدينة المنورة، وحاربه في وقعة الجمل، وفي وقعة صفين، وهو الذي حرّض على منع دفن الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) بجوار جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو الذي كان يشجع والي المدينة على قتل الإمام الحسين (عليه السلام) إن رفض البيعة ليزيد، وهو الذي كان يتبع شيعة أمير المؤمنين (عليهم السلام) لقتلهم ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم.

وكانت خلافة مروان قصيرة جدًا، فهي أقل من سنة على رأي معظم المؤرخين، ولكنها كانت مليئة بالنزاعات والحروب بين المسلمين أنفسهم، وخاصة مع ابن الزبير.

ثم تولى الحكم ابنه عبد الملك بن مروان بعد قتل أبيه، بعد أن أخذ له البيعة قبل وفاته بثلاثة أشهر، واستمر حكمه لأكثر من عشرين عامًا، وامتد حكمه للحجاز بعد مقتل ابن الزبير الذي كان حاكمًا عليها.

وكان عبد الملك يتظاهر أمام العامة بالعبادة والتسك وتلاوة القرآن قبل توليه الحكم، فلما تولى مقاليد السلطة أخذ يشرب الخمر ويسفك الدماء، وكان يهدد ويتوعد كل من يعارضه ولو بكلمة واحدة بالقتل؛ بل إنه كان يتوعد كل من يدعو إلى تقوى الله بضرب عنقه!

وعين عبد الملك بن مروان ولاية طغاة على أهم الأقاليم الإسلامية، عانى منهم المسلمون معاناة شديدة، فتعاملوا مع الناس بقسوة وشدة وغلظة، وقتلوا كثيرًا من العلماء والأخيار، وسجنوا الآلاف من الأبرياء في السجون المظلمة، ولم يسلم منهم حتى النساء والأطفال.

وقضى الإمام زين العابدين (عليه السلام) أغلب أيام إمامته في عهد عبد الملك بن مروان والذي دام واحدًا وعشرين عامًا، واتسم عهده بالقمع والكبت والقهر والاضطهاد، وتعامل الإمام مع هذا الحاكم المستبد بالمقاطعة السلبية لحكمه؛ لما عُرف عنه من ظلم وجور ضد أهل البيت (عليهم السلام) وشيعتهم وأصحابهم ومحبيهم.

وسجل لنا التاريخ بعض المواقف والمحطات بين الإمام (عليه السلام) وعبد الملك بن مروان، وقد ذكرناها في هذا الفصل بشيء من التفصيل.

ولما اشتهر الإمام زين العابدين (عليه السلام) بين الخاصة والعامة، وشاع صيته

في كل مكان، وملاً علمه الآفاق، وأصبح ملء السمع والبصر؛ فلما وصلت التقارير بذلك إلى عبدالملك بن مروان أمر بإلقاء القبض عليه، وحمله إلى دمشق عاصمة الخلافة الأموية؛ لكنه اضطر بعد ذلك إلى إطلاق سراحه. وكان الوليد بن عبدالملك آخر حاكم أموي عاصره الإمام زين العابدين (عليه السلام) أيام إمامته، واتفق أهل السير والتراجم على أن الوليد كان جباراً عنيداً، وظلوماً غشوماً، وعُرف بالبطش والقسوة والظلم والتعسف في تعامله مع الناس، وقتله لمن يخالفه أو يعارضه كما هي عادة حكام الجور والظلم.

وسلّط الوليد على رقاب المسلمين أعتى الولاة وأقساهم، وأشدّهم إجراماً وتنكيلاً، فكانت الشام تخضع لسلطته المباشرة، وفي العراق أبقى الطاغية الحجاج واليّا عليهم، وفي الحجاز كان عثمان بن حيان، وفي اليمن محمد بن يوسف، وفي مصر قرة بن شريك؛ وهؤلاء الولاة كانوا معروفين بشدة الظلم والبطش بالناس، وأشدّهم فتكاً بالأبرياء، فملأوا بلاد المسلمين ظلماً وجوراً.

وكان الوليد ناصبياً يبغيض عليّاً (عليه السلام) بغضاً شديداً، ويتعامل مع أهل البيت بمنتهى القسوة والشدة والإهانة، ويمعن في إذلالهم وإهانتهم وحبسهم وقتلهم.

وعاصر الإمام زين العابدين (عليه السلام) معظم أيام الوليد في الحكم، إذ هلك الوليد سنة ٩٦ هـ بينما استشهد الإمام (عليه السلام) سنة ٩٥ هـ، وكان تعامله سيئاً جداً مع الإمام (عليه السلام)، وكان يحقد عليه ويتوجس منه خيفة، وكان يرى أن حكمه لن يستمر مع وجود الإمام حيّاً، فقرر قتله للتخلص منه، ودس إليه السم فقتله؛ فانتقم الله منه سريعاً، وقصف عمره فهلك بعد فترة وجيزة من شهادة الإمام.

ويكفي الوليد خزيًا وعارًا ما قام به من دس السم للإمام زين العابدين عليه السلام؛ فهذه الجريمة النكراء تعد أمّ الجرائم، وكبيرة الكبائر، وأكثرها بشاعة وجرمًا وظلمًا بحق إمام من أئمة المسلمين الكبار، وقد أحدث ذلك ضجة عظيمة في بلاد المسلمين، وخصوصًا في المدينة المنورة وما حولها.

٢- الفصل الثاني: كان موسومًا بـ «المواقف السياسية للإمام زين العابدين عليه السلام» تركّز البحث فيه على مجموعة من المواقف السياسية المهمة للإمام عليه السلام في ظل الحكم الأموي الظالم، وكان من أبرزها موقفه من الثورات والانتفاضات التي اندلعت أيام إمامته، فما إن انتهت واقعة كربلاء باستشهاد الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه في يوم عاشوراء سنة ٦١ هـ، حتى بدأت ردود الأفعال على ما حدث فيها من مأسٍ وفجائع مؤلمة؛ فاندلعت الثورات والانتفاضات والاحتجاجات المتتالية ضد الحكم الأموي في أهم الأقاليم الإسلامية وأكبرها، وكان من أهمها: ثورة التوابين، وثورة المختار، وثورة أهل المدينة، وغيرها من الثورات التي أشرنا إليها في هذا الفصل. واتخذ الإمام عليه السلام بعد شهادة أبيه الإمام الحسين عليه السلام عدم الانخراط المباشر أو التأييد العلني لأية ثورة أو انتفاضة شعبية حتى لو كانت أهدافها حقّة وصحيحة كثورة المختار؛ لأن ظروفه لم تكن تسمح له بمثل ذلك العمل، فقد كان خاضعًا لمراقبة شديدة من قبل الأمويين، وكان الإمام يعلم بذلك، ويدرك الظروف السياسية الصعبة المحيطة به.

والأمر الآخر أن معظم تلك الثورات لم تكن سائرة على نهج أهل البيت أو لأهداف إسلامية بحتة، بل كان غالب هدف قادتها الطموح السياسي للسيطرة على الحكم كما هو الحال في ثورة ابن الزبير الذي كان معاديًا في الأصل لأهل البيت ومنهجهم، وكان العلويون وفي طليعتهم الإمام

زين العابدين (عليه السلام) يرفضون تحركات ابن الزبير وفتنته؛ وأما ثورة أهل المدينة فلم تكن أهدافها واضحة ولا مدروسة، كما أنهم لم يستشيروا الإمام ولم يأخذوا موافقته، وكان الثوار ضد الحكم الأموي من مشارب مختلفة ومدارس متغايرة، كما أن الإمام كان يتوقع فشلها وهزيمتها.

والمستفاد من كل مواقف الإمام (عليه السلام) بعد استقراره في المدينة المنورة أنه اتخذ مسلك المنهج العلمي والأخلاقي، وتربية الكفاءات العلمية، وإحياء القيم الدينية والأخلاقية، والإصلاح الاجتماعي؛ وهو وإن كان ليس بعيداً عن الأحداث السياسية، وكان يراقب الأوضاع والتحولات السياسية بدقة فائقة، ولكنه كان يرفض الانجرار إلى الأساليب العسكرية والعنفية في مواجهة السلطات الأموية أو سلطة ابن الزبير؛ لأن ذلك كان سيؤدي إلى قتله وقتل ما تبقى من أهل بيته وأصحابه وشيعته؛ وهذا سيؤدي إلى القضاء نهائياً على الأسرة العلوية وإبادتها.

ولا شك أن الإمام استفاد سياسياً بصورة غير مباشرة من تلك الثورات المتعاقبة ضد الحكم الأموي، لأنها جعلت الأمويين تنشغل عن الإمام بمواجهتها، والسيطرة على الأوضاع؛ ما فتح المجال نسبياً له كي يمارس أنشطته الدينية والعلمية والأخلاقية والتربوية، بالرغم من مراقبة السلطات الأموية لأنشطته، لكنها كانت تخشى من اغتياله لأنه سيؤدي إلى مزيد من الاحتقان السياسي، وتزايد المعارضة للحكم الأموي، وهو ما لا تريده بعدما حدث من تداعيات خطيرة بعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام).

ومن المواقف السياسية البارزة للإمام زين العابدين (عليه السلام) موقفه الشديد من علماء البلاط الأموي، ومن سار على نهجهم؛ لأن علماء السوء يشكلون خطراً على الدين، ومن أشدهم سوءاً الذين يكونون في خدمة حكام الظلم

والجور، ويزينون لهم أعمالهم الظالمة، ويفتون لهم بحسب طلباتهم ورغباتهم، ويعينونهم على ظلمهم وجورهم للناس.

والقارئ للتاريخ يجد أن حكام بني أمية المعروفين بالظلم والجور والقسوة والاستبداد كانوا يقربون إليهم علماء السوء، ويجزلون لهم العطايا والهدايا النفيسة، ويغدقون عليهم الأموال الوفيرة، لأنهم يعطونهم الغطاء الديني لحكمهم الظالم فيعطونهم ما أحبوا من الدنيا وزينتها.

ومن الأمثلة الواضحة على ذلك ابن شهاب الزهري الذي كان من تلامذة الإمام زين العابدين عليه السلام، وقد جالسه كثيرًا وتعلم منه الكثير، وكان يشي على الإمام ثناءً كبيرًا؛ ولكن الدنيا غرته، والأموال الوفيرة جذبتة ليكون في خدمة بني أمية والقاضي لهم، فتوجه نحو دمشق عاصمة الخلافة الأموية في عهد عبد الملك بن مروان، وأعجب به فقرّبه إليه وأكرمه، وعيّن له راتبًا مجزيًا، وقضى ديونه، وأعطاه خادمًا، ليبدأ الزهري مرحلة جديدة في حياته، ويكون من المقربين والندماء للحاكم الأموي عبد الملك بن مروان وأولاده.

وحاول الإمام بكل الوسائل والأساليب المختلفة أن يبعده عن هذا المنزلق الخطير؛ فاتبع معه تارة أسلوب الموعظة والنصيحة، وتارة ثانية أسلوب التخويف من العاقبة السيئة ومن نار جهنم، وتارة ثالثة أسلوب المصارحة وبيان أخطائه الكبيرة، فلعل وعسى أن يرتدع عن ارتباطه الوثيق بالأمويين ويتعد عنهم؛ ولكن شهوة المال والسلطة والشهرة أعمت بصيرته وختمت على قلبه.

وعندما أصبح الزهري من علماء السلاطين ووعاظهم الكبار، ومن المدافعين عنهم، ومن المزينين لهم سوء أفعالهم، وبعدما تولى منصب الإفتاء

والقضاء في الدولة الأموية، وكان من الذين يختلفون الأحاديث والروايات الموضوعية وينسبونها إلى رسول الله ﷺ كذباً وزوراً، أرسل إليه الإمام زين العابدين (عليه السلام) رسالة شديدة اللهجة، داعياً إياه إلى الانتباه إلى آخرته، والتفكير في عاقبة أمره، وألا تغره بهارج الدنيا وزينتها، مبيئاً له (ولأمثاله من وعاظ السلاطين) أخطار الارتباط بحكام الظلم والجور ومعاونتهم؛ وروى هذه الرسالة الخاصة والعامة، ونقلنا نص هذه الرسالة كما رواها ابن شعبة الحراني في كتابه المعروف «تحف العقول عن آل الرسول».

واحتوت هذه الرسالة الدامغة والقاصعة على دلالات مهمة وتنبهات عديدة، منها أن هذه الرسالة المهمة تدل على أن الإمام كان يراقب الأوضاع السياسية في زمانه بدقة فائقة، وكان على معرفة تامة بما يدور في أروقة البلاط الأموي، وعلاقة الحكام الأمويين بالعلماء المتماهين معهم كالزهرري.

ومنها أن هذه الرسالة تحمل في طياتها مواقف سياسية واضحة من حكام الظلم والجور، فهو يعتبر الحكام الأمويين ظلمة وفسقة، والتعامل معهم حرام، ومعاونتهم على أفعالهم الظالمة من أشد المحرمات والمنكرات، ولذا كان يدعو الزهرري إلى ترك العمل معهم، والابتعاد عنهم حتى يحافظ على دينه، وألا يخسر آخرته.

ومنها بيان وتبيين خطر وعاظ السلاطين، وعلماء السوء على الدين والأمة، وهم الذين يجرّمون ما أحلّ الله، ويحلّلون ما حرّم الله، ويزينون للظالمين أفعالهم السيئة، وأن هذا الأمر من الفتن الكبرى والابتلاءات العظمى، وباعثه حب الدنيا، وحب الرئاسة، وحب المال والشهرة.

ثم تطرقنا في هذا الفصل إلى موقف الإمام (عليه السلام) من حكام الظلم والجور، ورفض الاعتراف بشرعية حكمهم، وعدم إظهار التأييد لهم، وتحذير شيعته

وأتباعه من التعامل الإيجابي معهم، أو الركون إليهم، أو الإتيان بأي عمل فيه معاونته لهم على ظلمهم.

وعاش الإمام عليه السلام في ظروف سياسية صعبة ومعقدة، تميزت بالاستبداد والدكتاتورية والظلم والجور والقهر والعسف، وعاصر الإمام ستة من الحكام في زمان إمامته، وتعامل معهم بمنتهى الحكمة والحنكة والحذر للحفاظ على ما تبقى من عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد واقعة كربلاء، والحفاظ على ما بقي من شيعته وأتباعه من الإبادة والفناء، وكى يستمر نهج مدرسة أهل البيت في البقاء والديمومة، والحفاظ على الإسلام المحمدي الأصيل.

وعندما نقرأ في سيرة الإمام مع حكام عصره، نجد أنه واجه يزيد بكل جرأة وشجاعة منقطعة النظير، فبالرغم من أنه كان من أعتى طغاة بني أمية وأبعدهم عن الإنسانية وأشدّهم بطشاً، فقد استنكر عليه الإمام وأمامه مباشرة عندما أحضر إليه في قصره بالشام ما فعله في كربلاء من قتل سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، وسببه للنساء والأطفال؛ ولولا لطف الله وحفظه لقتله كما همّ بذلك. وأما تعامله مع عبدالله بن الزبير وصراعه المير مع الأمويين فكان الإمام محايداً، بمعنى أنه لم يؤيد طرفاً ضد الطرف الآخر، وكان يعتبر الحروب الداخلية بين المسلمين فتنة، وكان يتحاشى التعامل معه لعلمه بعدائه الشديد لأهل البيت، وانحرافه عن منهج الحق.

وأما مواقفه من باقي حكام بني أمية كمروان بن الحكم وابنه عبدالملك ثم ابنه الوليد فقد كان يتجنب التصادم والمواجهة معهم بقدر الإمكان، كما أنه لم يكن يقر لهم بأية شرعية دينية، بالرغم من محاولات الحكام الأمويين الحصول على مباركة الإمام لحكمهم؛ لكن الإمام كان حريصاً على عدم إعطائهم أي غطاء شرعي لحكمهم الظالم.

وكان يرفض التواصل الاختياري أو التعامل الإيجابي معهم إلا بقدر ما تفرضه الضرورة والمصلحة العامة والتقية، فالإمام كان على طرف نقيض مع حكمهم الظالم، ولم يعطهم أي موقف أو كلمة تدل على إعطائهم أي غطاء شرعي لهم؛ وانشغل بتوجيه الأمة وإرشادها، ونشر العلوم والمعارف الدينية، وتربية الجماعة المؤمنة، وإصلاح الأخلاق وتهذيب النفوس، وبث الوعي في الأمة.

وأمر الإمام (عليه السلام) شيعته باتباع التقية والكتمان في زمانه، وعدم إظهار أسرار أهل البيت وخصوصياتهم وأحاديثهم للمعاندين الحاقدين للحفاظ عليهم من الأذى والضرر.

٣- الفصل الثالث من الباب الرابع كان موسومًا بـ «خطط الإمام زين العابدين (عليه السلام) في مواجهة الاستبداد الأموي». تركز البحث فيه على ما قام به الإمام من خطوات وأفعال سياسية مهمة في مواجهة الاستبداد والظلم الأموي الذي عايشه في ظل الأوضاع السياسية القائمة على الجور والظلم والقهر أيام الأمويين وأيام حكم ابن الزبير.

عاش الإمام زين العابدين (عليه السلام) وشيعته في أجواء سياسية بالغة الشدة والصعوبة، واتسمت بأجواء الظلم والقمع والقهر والاضطهاد والتضييق السياسي والاقتصادي والاجتماعي، فما حدث بعد كربلاء لم يكن كما قبلها؛ فقد عمت بلاد المسلمين موجات من الغضب والسخط على الحكم الأموي، واتبع الأمويون في مواجهة ذلك أشد أنواع القهر والقمع والبطش بمخالفهم.

وكان من أهم الخطط السياسية التي اتبعها الإمام زين العابدين (عليه السلام) في مواجهة السلطة الأموية الظالمة التأكيد على مظلومية أهل البيت الأطهار (عليهم السلام)، وخصوصًا مظلومية الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته وأصحابه الذين استشهدوا

معه في كربلاء، وإبراز ما حدث لهم من مأسٍ مؤلمة وفجائع فضيعة وأهوال رهيبة، وتذكير الناس الدائم بمأساة كربلاء الأليمة وأحداثها العظيمة.

ولا شك أن التأكيد المستمر على (المظلومية) يدفع الناس للتعاطف مع المظلوم، والوقوف ضد الظالم، وهذا الأمر هو الذي جعل مظلومية أهل البيت عامة، ومظلومية الإمام الحسين خاصة قضية مركوزة في أذهان الناس ووجدانهم طوال قرون من الزمن.

وهذا التأكيد المركز هو الذي يفسر ظاهرة الإكثار من البكاء عند الإمام زين العابدين عليه السلام حتى عُدَّ من البكائين الذين مثلوا الحزن والأسى على امتداد التاريخ، ولم يكن الدافع لذلك مجرد التأثر العاطفي لما حدث لأبيه سيد الشهداء وأهل بيته وأصحابه في واقعة كربلاء، وإنما من أجل تخليد النهضة الحسينية، وكي تبقى رسالة الإمام الحسين حيّة في الأذهان، وخالدة على مرّ العصور والأزمان.

ومن أهم الأدوار السياسية الأخرى التي قام بها الإمام زين العابدين عليه السلام بعد شهادة أبيه الحسين عليه السلام هو إيصال رسالة النهضة الحسينية للناس، والحفاظ على أهدافها ومبادئها، وحفظها من التشويه والتحريف والتزييف، والتعريف بأهدافها وقيمها ومبادئها التي ضحى الإمام الحسين من أجلها بالنفس والنفيس.

وقد أصبح الإمام زين العابدين عليه السلام بعد معركة الطف هو سيد البيت الحسيني، وحامل راية النهضة الحسينية، فاستثمر كل فرصة ومناسبة لإيصال الرسالة الحسينية للناس، ومواجهة الإعلام المضلل للأمويين، وتعريف الرأي العام بحقائق الأمور، ودقائق الأشياء، وأنهم عترة النبي صلى الله عليه وآله، والامتداد الطبيعي له عليه السلام.

واتخذ الإمام زين العابدين (عليه السلام) عدة أساليب لإحياء عاشوراء، وتخليد الثورة الحسينية، والحفاظ على أهدافها وقيمها من الغفلة والنسيان والاندثار، ومن هذه الأساليب إقامة العزاء على الإمام الحسين (عليه السلام) والتشجيع عليها، فهو أول من أقام العزاء والمآتم على الإمام الحسين (عليه السلام) بعد شهادته مع من كان معه من نساء بني هاشم، وقد أقاموا العزاء أول مرة عند مكان مصرعه في كربلاء، ثم أقاموا له العزاء في الكوفة، ثم في القصر الأموي في الشام. وفي طريق عودة الركب الحسيني من الشام إلى المدينة أمر الإمام زين العابدين (عليه السلام) الدليل بالمرور على قبر الإمام الحسين (عليه السلام) وأقاموا عنده العزاء والنحيب واللطم والبكاء.

ومن الأساليب التي اتبعتها الإمام في سبيل تخليد النهضة الحسينية وتذكير الناس بأحداث كربلاء الأليمة أنه كان يذكر الناس بمصيبة الإمام الحسين (عليه السلام) عند شربه للماء في كل مرة ويبكي بكاءً شديداً.

واتبع الإمام (عليه السلام) كل الوسائل والأساليب الممكنة في عصره لإيصال رسالة النهضة الحسينية وبيان أهدافها وقيمها إلى كافة الناس، وهو الأمر الذي خلّد قضية الإمام الحسين (عليه السلام)، وحافظ على الأهداف الإحيائية للنهضة الحسينية المباركة.

ثم تحدثنا في هذا الفصل عما بذله الإمام من جهد في سبيل بث الوعي في الأمة لمواجهة سياسة التجهيل التي اتبعتها النظام الأموي لتضليل الرأي العام، وتحريف الحقائق الدينية والسياسية.

ولأن الإمام كان يعيش في أجواء استبدادية قاهرة، وكانت نشاطاته وتحركاته وأعماله محل مراقبة السلطة الأموية الحاكمة؛ لذا اتبع الإمام أسلوب الوعظ والنصيحة والإرشاد تارة، وأسلوب التهجد والدعاء تارة ثانية لتربية

المؤمنين وتركية نفوسهم وتهذيب أخلاقهم، وأسلوب الدرس والتعليم تارة
ثالثة لبيان معالم الدين وأحكامه، وتبيين العقائد الحقّة والمفاهيم الإسلامية
الصحيحة، وتوعية الأمة وثقيفها بثقافة الإسلام العامة.

وفي سبيل نشر الوعي بين شيعته وجّه الإمام رسالة توعوية مهمة لهم
احتوت على مضامين مهمة في وجوب اليقظة والتحلي بالوعي، والاتصاف
بعلو الهمة والعمل الصالح؛ والحذر من الاغترار بزخارف الدنيا، والدعوة
إلى التفكير في الآخرة والرغبة فيها، واتباع القيادة الإلهية واجتناب الطاغوت،
وعدم الركون إلى الظالم، والحذر من مكائد الشيطان وخدعه، وقد نقلنا نص
رسالته كما رواها الشيخ الكليني بسند صحيح عن أبي حمزة الثمالي عنه (عليه السلام).
ثم تركّز البحث في هذا الفصل على رعاية الإمام للجماعة المؤمنة، إذ في
ظل الأوضاع السياسية الصعبة التي كان يعيشها أتباع مدرسة أهل البيت في
عصر الإمام (عليه السلام)، والتضييق عليهم سياسياً، ومحاصرتهم اقتصادياً، ومصادرة
ممتلكاتهم وأموالهم؛ عمل الإمام على التخفيف من معاناتهم، ورعايتهم،
وقضاء حوائجهم، وإيصال المساعدات إليهم حتى يستطيعوا مواجهة
الظروف المعيشية الصعبة، ويستمرّوا في السير على نهج أهل البيت الأطهار.
وواجه الشيعة بعد واقعة كربلاء ظروفًا في غاية الصعوبة والتعقيد والقهر
السياسي، فتحوّلت الكوفة من مركز مهم من مراكز الشيعة إلى مركز لقمع
الشيعة واضطهادهم، فبالرغم من تواجد عدد كبير منهم فيها إلا أنهم لم
يكونوا يستطيعون أن يجاهرُوا بتشيّعهم؛ نظرًا للظروف القمعية والقاسية التي
اتبعتها ابن زياد تجاههم.

وبعد تخلص الإمام زين العابدين (عليه السلام) من قيود الأسر واستقراره في
المدينة المنورة، وابتعاده عن العراق، أضفى الإمام حياة جديدة على أصحابه

وشيعته، وبدأ يعيد تكوين الصفوة المؤمنة من خلّص أصحابه، وكان يرعاهم ويتفقد أحوالهم، ويقدم لهم يد المساعدة والمعونة.

وكان الإمام (عليه السلام) على علاقة وثيقة بأصحابه من كل بلاد المسلمين، ويتفقد أحوالهم، ويستقبلهم في داره في المدينة، ويطلع على أحوالهم وشؤونهم، ويرشدهم إلى ما ينبغي عليهم القيام به.

وختمنا هذا الفصل بما بذله الإمام (عليه السلام) من جهود كبيرة في إصلاح المجتمع، ونشر القيم والمبادئ الأخلاقية والإنسانية، والدعوة إلى الفضيلة والتدين، ومواجهة الفساد الأخلاقي، والتفكك الاجتماعي.

ونشر حكام بني أمية في زمانه الفساد، وأشاعوا التحلل الأخلاقي، وروّجوا للمجون واللهو المحرم على نطاق واسع جداً حتى تحوّلت مدينة النبي (صلى الله عليه وآله) إلى مركز للفساد واللهو واللعب بدلاً من أن تكون مركزاً للإشعاع الديني والعلمي والحضاري كما ينبغي أن تكون.

ووصل الغناء والمجون في يثرب أيام الأمويين إلى الحد الذي كانت تعجب فيه بالمغنين والمغنيات ولا ينكره أحد!

وفي مواجهة هذا الفساد والانحطاط الأخلاقي كان الإمام (عليه السلام) يجهر ببيان حرمة الغناء، كما قام (عليه السلام) بعدة أعمال لإصلاح الأوضاع الفاسدة، ودفع المجتمع تدريجياً نحو التغيير الإيجابي، ومن أهمها تربية الكوادر والكفاءات الرسالية، والتركيز على البعد الروحي والمعنوي، والتشجيع على اكتساب العلوم والمعارف الإسلامية، والتوجيه الديني والسياسي للأمة؛ فقد كان الإمام متابِعاً بدقة للأوضاع السياسية في عصره، فلم يكن منفصلاً عن الواقع الاجتماعي والسياسي للأمة؛ فالإصلاح الاجتماعي يتطلب معرفة بما يدور في المجتمع من أحداث وتطورات وتغيرات حتى يمتلك القدرة على ممارسة التغيير والإصلاح.

وبقي الإمام في المدينة متابعاً لأحداث الساحة الاجتماعية والسياسية والثقافية، وموجهاً أصحابه لما يجب عليهم القيام به، ومربياً للخواص والثقات من تلامذته وطلابه ومريديه، وقائماً بأدوار الإمامة وشؤونها العامة حتى مضى إلى ربه في سنة ٩٥ للهجرة.

الباب الخامس

الإمام زين العابدين عليه السلام شهادة وخلود

الفصل الأول: شهادة الإمام زين العابدين عليه السلام

الفصل الثاني: حُكْم ومواعظ بليغة للإمام زين العابدين عليه السلام

الفصل الأول

شهادة الإمام زين العابدين عليه السلام

- الإمام زين العابدين عليه السلام يودّع الدنيا
- نصه بالإمامة على الإمام الباقر عليه السلام
- وصاياه عليه السلام لولده الإمام الباقر عليه السلام
- وفاة الإمام زين العابدين عليه السلام
- تجهيزه عليه السلام والصلاة عليه
- مواراته عليه السلام الثرى في البقيع



الإمام زين العابدين عليه السلام يودّع الدنيا

عاش الإمام زين العابدين عليه السلام حياة حافلة بالعلم والعمل، بالعبادة والدعاء، بالنشاط والإنجاز، بالآلام والآمال، بالأحداث والتقلبات والتغيرات المتتالية؛ وتحمل مسؤوليات الإمامة، وقيادة الأمة روحياً ومعنوياً ودينياً، وحمل راية النهضة الحسينية بعد شهادة سيد الشهداء عليه السلام، وواجه الطغاة وعلماء السوء وأهل الجهل والبدع والضلالة، وفند شبهات الفرق المنحرفة وأصحاب المقالات الفاسدة، ووقف مع الفقراء والمساكين والأيتام، وعمل جاهداً على نشر العلم والقيم والأخلاق الفاضلة في المجتمع، وبَيّن للناس الحقوق التي لهم والواجبات التي عليهم؛ وربّى جيلاً من الفقهاء والعلماء والرواة والمفسرين وغيرهم، ولم يترك فرصة أو مناسبة إلا استثمرها في توضيح معالم الدين ومفاهيمه، وأحكام الإسلام ومعارفه.

وبعد هذه الحياة الزاخرة بالعطاء والنشاط والإنجاز، ودّع الدنيا الوداع الأخير ليلتحق بركب الأنبياء والأئمة من أجداده وآبائه الطاهرين، وقد قُبِضَ عليه السلام بالمدينة المنورة في الخامس والعشرين من شهر محرم الحرام من سنة خمس وتسعين للهجرة على أرجح الأقوال^(١).

الإمام عليه السلام ينعى نفسه

أخبر الإمام عليه السلام ولده الإمام الباقر وأهل بيته بقرب رحيله من الدنيا، فقد روى الكليني بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام، قَالَ: «لَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي وُعدَ فِيهَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ)، قَالَ لِحَمَدٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): يَا

بُنَيَّ، أَبْغِنِي^(١) وَضُوءًا^(٢)، قَالَ: فَقُمْتُ فَجِئْتُهُ بِوَضُوءٍ...، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، هَذِهِ اللَّيْلَةُ الَّتِي وَعَدْتُهَا^(٣).

وروى الطبري الإمامي عن فضالة بن أيوب، عن أبان بن عثمان الأحمري، عن أبي عبد الله بن سليمان، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد (عليهما السلام)، قال: حَضَرَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عليهما السلام) الْمَوْتَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَيُّ لَيْلَةٍ هَذِهِ؟
قَالَ: لَيْلَةُ كَذَا وَكَذَا.

قَالَ: وَكَمْ مَضَى مِنَ الشَّهْرِ؟

قَالَ: كَذَا وَكَذَا.

قَالَ: وَكَمْ بَقِيَ؟

قَالَ: كَذَا وَكَذَا.

قَالَ: إِنَّهَا اللَّيْلَةُ الَّتِي وَعَدْتُهَا.

قَالَ: وَدَعَا بِوَضُوءٍ...، ثُمَّ تَوَضَّأَ وَصَلَّى، حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرُ اللَّيْلِ تُوفِّيَ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ)^(٤).

وإخبار الإمام (عليه السلام) بموعد وفاته، ووقوع الأمر كما أخبر بالضبط يدل على صدق إمامته، وصحة دعوى علم الإمام المعصوم (عليه السلام) بموعد أجله، وقد دللت على ذلك طائفة من الروايات والأحاديث الشريفة.

١ - يقال: ابغني كذا بهمزة الوصل، أي اطلب لي. وأبغني، بهمزة القطع، أي أعني على الطلب. وكلاهما محتمل هنا. راجع: النهاية، ج ١، ص ١٤٣ (بقي).

٢ - «الْوَضُوءُ»: الماء الذي يُتَوَضَّأُ به. النهاية، ج ٥، ص ١٩٥ (وضاً).

٣ - الكافي: ج ١، ص ٤٦٨، ح ٤.

٤ - دلائل الإمامة: ص ٢٠٨، ح ٢٠. الهداية الكبرى: ٢٢٤ نحوه، فرج المهموم: ٢٢٨ عن الدلائل. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٤٣، ح ٤١.

حال احتضاره

كان الإمام عليه السلام يلهج بذكر الله تعالى في كل وقت وحين، وكان ملازمًا للقرآن الكريم حتى عند احتضاره، فقد قرأ سورتي الواقعة والفتح. روى الكليني عن محمد بن أحمد، عن عمه عبدالله بن الصلت، عن الحسن بن علي ابن بنت إلياس^(١): «عن أبي الحسن (عليه السلام)، قال: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «إِنَّ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ أُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ فَتَحَ عَيْنَيْهِ، وَقَرَأَ ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾^(٢) و ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾^(٣) وَقَالَ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَبَوًّا﴾^(٤) مِنْ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾^(٥)، ثُمَّ قَبِضَ مِنْ سَاعَتِهِ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا»^(٦).

وروى الكليني أيضًا عن سهل بن زياد قال: «لَمَّا حَضَرَ عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) الْوَفَاةُ، أُغْمِيَ عَلَيْهِ^(٧)، فَبَقِيَ سَاعَةً، ثُمَّ رُفِعَ عَنْهُ الثَّوْبُ، ثُمَّ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَوْرَثَنَا الْجَنَّةَ، نَبَوًّا مِنْهَا حَيْثُ نَشَاءُ، فَنِعْمَ أَجْرُ

١- الحسن بن عليّ هذا، هو الحسن بن عليّ الوشاء. وابن بنت إلياس وصف للحسن نفسه، كما يعلم من مصادر ترجمته. راجع: رجال النجاشي: ص ٣٩، الرقم ٨٠؛ الفهرست للطوسي: ص ١٣٨، الرقم ٢٠٢؛ رجال الطوسي: ص ٣٥٤، الرقم ٥٢٤٤، و ص ٣٨٥، الرقم ٥٦٦٥.

٢- هي سورة الواقعة (٥٦).

٣- وهي سورة الفتح (٤٨).

٤- «نَبَوًّا»، أي ننزل منازلها حيث نهوى. يقال: تَبَوَّأتُ مَنْزِلًا، أي نزلته. راجع: الصحاح: ج ١، ص ٣٧؛ مجمع البحرين: ج ١، ص ٦٧ (بوأ).

٥- سورة الزمر: الآية ٧٤.

٦- الكافي: ج ١، ص ٤٦٨، ح ٥. تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٥٤ بسند آخر؛ التهذيب: ج ١، ص ٤٥١، ح ١٤٦٩، بسند آخر عن أبي عبد الله عليه السلام، مع زيادة في أوله و اختلاف. الوافي: ج ٣، ص ٧٦٦، ح ١٣٩٠؛ بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ١٥٢، ح ١٣.

٧- في مرآة العقول: «قوله عليه السلام: اغمي عليه، قال الشهيد الثاني (رحمه الله): لا يريد به حقيقة الإغماء، بل مجازه بمعنى أنه قد حصل له ما أوجب عند الحاضرين أن يصفوه بذلك من دون أن يكون قد حصل له حقيقة؛ لأنَّ المعصوم ما دام حيًّا لا يجوز أن يخرج من التكليف».

الْعَامِلِينَ»^(١) ثُمَّ قَالَ: «احْفَرُوا لِي، وَابْلُغُوا إِلَى الرَّشْحِ» قَالَ: ثُمَّ مَدَّ الثُّوبَ عَلَيْهِ، فَمَاتَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)^(٢).

وروى علي بن إبراهيم القمي قال: حدّثني أبي قال: حدّثنا إسماعيل بن همام، عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: «لَمَّا حَضَرَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (عليه السلام) الْوَفَاةَ أُغْمِيَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ فِي الْمَرَّةِ الْأَخِيرَةِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾»^(٣)، ثُمَّ تَوَفَّى (عليه السلام)^(٤).

١ - إشارة إلى الآية ٧٤ من سورة الزمر (٣٩) في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾.

٢ - الكافي: ج ٣، ص ١٦٥، ح ١. التهذيب: ج ١، ص ٤٥١، ح ١٤٦٩، بسند آخر عن أبي عبد الله عليه السلام، مع اختلاف يسير. الوافي: ج ٢٥، ص ٥٠٣، ح ٢٤٥١٥؛ الوسائل: ج ٣، ص ١٦٥، ذيل ح ٣٢٠٢؛ بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ١٥٣، ح ١٥.

٣ - الزمر: ٧٤.

٤ - تفسير القمي: ج ٢، ص ٢٥٤. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ١٤٧، ح ١.

نصّه بالإمامة على الإمام الباقر عليه السلام

نصّ الإمام زين العابدين عليه السلام قبل رحيله على الإمام اللاحق الذي يأتي من بعده، وأوصى بالإمامة إلى ولده الإمام محمد الباقر عليه السلام، وأوصى شيعته وأصحابه بوجوب الرجوع إليه، ولزوم طاعته، واتباع أوامره، وأخذ أحكام الدين منه، والافتداء بهديه، واقتباس العلوم والمعارف الدينية منه.

روى الخزاز القمي في كفاية الأثر بسنده عن عثمان بن عثمان بن خالد، عن أبيه، قال: «مَرَضَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرَضَهُ الَّذِي تُوفِّيَ فِيهِ، فَجَمَعَ أَوْلَادَهُ مُحَمَّدًا وَالْحَسَنَ وَعَبْدَ اللَّهِ وَعُمَرَ وَزَيْدًا وَالْحُسَيْنَ، وَأَوْصَى إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدٍ وَكَتَبَهُ الْبَاقِرَ، وَجَعَلَ أَمْرَهُمْ إِلَيْهِ»^(١). وروى الراوندي: لما سُئِلَ الْإِمَامُ زَيْنُ الْعَابِدِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَنْ الْإِمَامُ بَعْدَكَ؟ قال: «مُحَمَّدُ ابْنِي، يَبْقُرُ الْعِلْمَ بَقْرًا»^(٢).

وسأل الزهري الإمام زين العابدين عليه السلام فقال له: يا بن رسول الله، إن كان من الأمر ما لا بد لنا منه، ووقع في نفسي أنه قد نعي نفسه، فإلى من نختلف بعدك؟

قال: «يا أبا عبد الله إلى ابني هذا، وأشار إلى محمد ابنه، إنه وصي ووارثي، وعيبة علمي، ومعدن العلم، وباقر العلم»^(٣).

وروى علي بن الحسين المسعودي في كتاب إثبات الوصية، قال: «فلما قربت أيامه - يقصد علي بن الحسين عليه السلام -، أحضر أبا جعفر محمدًا ابنه، وأوصى إليه، فحضر جماعة من خواصه الوصية الظاهرة، وسلّم إليه بعد ذلك الاسم الأعظم، ومواريث الأنبياء»^(٤).

١ - كفاية الأثر: ص ٢٣٩.

٢ - الخرائج والجرائح: ج ١، ص ٢٦٨، ح ١٢. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٢٣٠، ح ٥.

٣ - بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٢٣٢، ح ٩.

٤ - إثبات الهداة: الحر العاملي، ج ٤، ص ٩٢، ح ١٠.

وبهذه الوصية الواضحة لابنه الإمام محمد الباقر عليه السلام أوضح لشيعة وأصحابه أنه الإمام واجب الطاعة بعده، وأن عليهم الالتفاف حول قيادته، والعمل بأوامره وإرشاداته، وأخذ أحكام دينهم منه، والاستفادة من علومه ومعارفه الغزيرة.

وصاياہ علیہ السلام لولده الإمام الباقر

أوصى الإمام زين العابدين عليه السلام عند احتضاره ولده الإمام الباقر عليه السلام بعدة وصايا، وكان من أهم وصاياہ ما يأتي:

١- روى الكليني بسنده عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر [الباقر] عليه السلام، قال: «لَمَّا حَضَرَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام الْوَفَاةَ ضَمَّنِي إِلَى صَدْرِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا بُنَيَّ! أَوْصِيكَ بِمَا أَوْصَانِي بِهِ أَبِي عليه السلام حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، وَبِمَا ذَكَرَ أَنَّ أَبَاهُ أَوْصَاهُ بِهِ، قَالَ: يَا بُنَيَّ، إِيَّاكَ وَظُلْمَ مَنْ لَا يَجِدُ عَلَيْكَ نَاصِرًا إِلَّا اللَّهَ»^(١).

٢- روى الكليني أيضًا بسنده عن أبي حمزة، عن أبي جعفر [الباقر] عليه السلام، قال: «لَمَّا حَضَرَتْ أَبِي عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام الْوَفَاةَ، ضَمَّنِي إِلَى صَدْرِهِ وَقَالَ: يَا بُنَيَّ أَوْصِيكَ بِمَا أَوْصَانِي بِهِ أَبِي حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، وَبِمَا ذَكَرَ أَنَّ أَبَاهُ أَوْصَاهُ بِهِ: يَا بُنَيَّ، اصْبِرْ عَلَى الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مَرًّا»^(٢).

٣- أوصاه أن يتولى بنفسه تغسيله وتكفينه وسائر شؤونه، لأن الإمام لا يغسله إلا إمام مثله، فقد روى قطب الدين الراوندي بسنده عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «كَانَ فِيهَا أَوْصَى بِهِ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام أَنْ قَالَ: يَا بُنَيَّ، إِذَا أَنَا مِتُّ فَلَا يَلِي غُسْلِي غَيْرُكَ، فَإِنَّ الْإِمَامَ لَا يَغْسِلُهُ إِلَّا إِمَامٌ مِثْلُهُ»^(٣).

٤- أوصاه بناقته التي حجَّ عليها عشرين حجة بدفنها بعد موتها، روى الصدوق بسنده عن يونس بن يعقوب عن الصادق عليه السلام قال: قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام لِابْنِهِ مُحَمَّدٍ عليه السلام حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ: «إِنِّي قَدْ حَجَجْتُ

١- الكافي: ج ٢ ص ٣٣١ ح ٥، الخصال: ص ١٦ ح ٥٩، الأموال للصدوق: ص ٢٤٩ ح ٢٧٢، روضة الواعظين: ص ٥١٠، بحار الأنوار: ج ٤٦ ص ١٥٣ ح ١٦.

٢- الكافي: ج ٢ ص ٩١ ح ١٣، مشكاة الأنوار: ص ٥٨ ح ٦٧، بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ١٨٤ ح ٥٢.

٣- الخرائج والجرائح: ج ١، ص ٢٦٤، بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ١٦٦، ح ٩.

عَلَى نَاقَتِي هَذِهِ عَشْرِينَ حَجَّةً، فَلَمْ أَقْرَعْهَا بِسَوْطِ قَرَعَةٍ، فَإِذَا نَفَقَتْ فَادْفَنْهَا
لَا تَأْكُلْ لَحْمَهَا السَّبَاعُ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَا مِنْ بَعِيرٍ يُوقَفُ عَلَيْهِ
مَوْقِفَ عَرَفَةَ سَبْعَ حَجَجٍ إِلَّا جَعَلَهُ اللَّهُ مِنْ نَعَمِ الْجَنَّةِ، وَبَارَكَ فِي نَسْلِهِ، فَلَمَّا
نَفَقَتْ حَفَرَ لَهَا أَبُو جَعْفَرٍ (عليه السلام) وَدَفَنَهَا»^(١).

١ - ثواب الأعمال: ص ١١٧، ح ١. المحاسن: البرقي، ص ٦٣٥. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٧٠، ح ٤٦..

وفاة الإمام زين العابدين عليه السلام

اختلفت المصادر التاريخية حول سبب وفاة الإمام زين العابدين عليه السلام، وهل أنه مات حتف أنفه، أم بسبب مرض ألمَّ به، أم أنه مات مسمومًا؟ هناك رأيان حول وفاته عليه السلام:

أولاً - مات حتف أنفه:

ذكر بعض المؤرخين والأعلام وفاة الإمام عليه السلام، وسنة وفاته، وعمره، من دون الإشارة إلى كيفية وفاته، ومن دون ذكر أنه مات مسمومًا؛ ما قد يرجح القول - عندهم - بوفاته حتف أنفه، ومنهم:

١ - الشيخ الكليني (ت ٣٢٩ هـ) قال ما نصه: «وقبض في سنة خمس وتسعين، وله سبع وخمسون سنة»^(١).

وروى الكليني أيضًا بسنده عن أبي بصير عن أبي عبدالله [الصادق] عليه السلام قال: «قُبِضَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام وَهُوَ ابْنُ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، فِي عَامِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ، عَاشَ بَعْدَ الْحُسَيْنِ عليه السلام خَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً»^(٢).

١ - الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) قال في إرشاده ما نصه بالحرف: «وتوفي بالمدينة سنة خمس وتسعين للهجرة، وله يومئذ سبع وخمسون سنة»^(٣). وكذا قال نحوه في المقنعة: «وقبض عليه السلام بالمدينة سنة خمس وتسعين، وله يومئذ سبع وخمسون سنة»^(٤).

٢ - المؤرخ المسعودي ذكر أيضًا وفاته من دون الإشارة إلى كيفية وفاته، ومن دون ذكر أنه توفي بالسم، إذ قال ما نصه: «وفي سنة خمس وتسعين قبض علي بن الحسين بن

١ - الكافي: دار المعارف للطبوعات، بيروت، ط ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ج ١ ص ٥٣٩.

٢ - الكافي: ج ١ ص ٥٤١ ح ٦، بحار الأنوار: ج ٤٦ ص ١٥٢ ح ١٤.

٣ - الإرشاد: الشيخ المفيد، ص ٢٤٣.

٤ - المقنعة: الشيخ المفيد، ص ٤٧٢.

علي بن أبي طالب في ملك الوليد، ودفن بالمدينة في بقيع الغرقم مع عمه الحسن بن علي، وهو ابن سبع وخمسين سنة، ويقال: إنه قبض سنة أربع وتسعين»^(١).

٣- كذلك المؤرخ اليعقوبي ذكر وفاته من دون ذكر وفاته بالسهم قائلاً: «وتوفي علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب في سنة ٩٩ هـ، وقال قوم سنة ١٠٠ هـ، وله ثمان وخمسون سنة»^(٢).

٤- الفتحال النيسابوري (ت ٥٠٨ هـ) ذكر وفاته من دون إشارة إلى موته بالسهم قائلاً: «توفي بالمدينة يوم السبت لاثني عشرة ليلة بقيت من المحرم سنة خمس وتسعين من الهجرة، وله يومئذ سبع وخمسون سنة»^(٣).

٥- ابن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ) قال: «وتوفي بالمدينة سنة أربع وتسعين، وقيل اثنتين وتسعين، ودفن بالبقيع وهو ابن ثمان وخمسين سنة»^(٤).

ثانياً- مات مسموماً:

تشير بعض المصادر التاريخية إلى أن الإمام زين العابدين (عليه السلام) مات مسموماً، وممن قال بهذا القول:

١- الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ) قال ما نصه: «وعلي بن الحسين سيد العابدين (عليه السلام) سمه الوليد بن عبد الملك فقتله»^(٥).

٢- قال الطبري الإمامي: «وكان سبب وفاته أن الوليد بن عبد الملك سمّه، ودُفِنَ بالبقيع مع عمّه الحسن بن علي (عليه السلام)»^(٦).

١- مروج الذهب: المسعودي، ج ٣، ص ١٣٣.

٢- تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢١٢.

٣- روضة الواعظين: ص ٢٢٢.

٤- صفة الصفوة، ابن الجوزي، ج ١، ص ٣٢٨، رقم الترجمة ١٦٥.

٥- الاعتقادات في دين الإمامية: الشيخ الصدوق، ص ١٠٠. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ١٣، ضمن ح ٢٤.

٦- دلائل الإمامة: ص ١٩١. المناقب لابن شهر آشوب: ج ٤ ص ١٧٥ نحوه.

٣- ذكر الكفعمي (ت ٩٠٥ هـ) [في الجدول]: «إِنَّ الَّذِي سَمَّهَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَكَانَ فِي مَلِكِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ»^(١).

٤- وذكر السيد ابن طاووس (رحمه الله) في كتاب الاقبال في الصلاة الكبيرة التي أوردتها فيه: «وَضَاعِفِ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ قَتَلَهُ [وَهُوَ الْوَلِيدُ]»^(٢).

٥- نقل علي بن يوسف المطهر الحلي (ت نحو سنة ٧١٠ هـ) ما ذكره من سبقه من كبار العلماء قائلًا: «وفي كتاب الكافي والارشاد والدر: توفي في المحرم سنة خمس وتسعين من الهجرة. وقيل: توفي (عليه السلام) يوم السبت ثامن عشر المحرم سنة خمس وسبعين»^(٣)، سمه الوليد بن عبد الملك بن مروان»^(٤).

٦- ذكر ابن الصباغ المالكي (ت ٨٥٥ هـ) هذا القول بصيغة التضعيف، بعد أن ذكر تاريخ وفاته وعمره، قائلًا: «يقال: إنه مات مسمومًا، وإنَّ الَّذِي سَمَّهَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ فِي الْقَبْرِ الَّذِي دُفِنَ فِيهِ عَمَّهُ الْحَسَنُ فِي الْقَبَّةِ الَّتِي فِيهَا الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطَّلِبِ»^(٥).

٧- نقل ابن حجر الهيتمي المكي (ت ٩٧٤ هـ)، هذا القول بصيغة التضعيف أيضًا، بعد أن ذكر وفاته وعمره، قائلًا: «توفي وعمره سبع وخمسون... وقيل: سَمَّهَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ عِنْدَ عَمِّهِ الْحَسَنِ»^(٦).

٨- قال يوسف بن حاتم الشامي المشغري العاملي (ت ٦٦٤ هـ): «قبض (عليه السلام) بالمدينة في المحرم سنة خمس وتسعين من الهجرة، وقد كمل

١- المصباح: ص ٦٩١. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ١٥٢، ح ١٤.

٢- إقبال الأعمال: السيد ابن طاووس، (ط. ق)، ص ٩٩. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ١٥٣، ح ١٤.

٣- تصحيح، والتصحيح وتسعين كما نصَّ عليه المؤرخون.

٤- العدد القوية لدفع المخاوف اليومية: علي بن يوسف المطهر الحلي، ص ٣١٦.

٥- الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ج ٢، ص ٨٧٤.

٦- الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة: أحمد بن حجر الهيتمي المكي، المكتبة العصرية، بيروت، ص ٢٤٨.

عمره سبعا وخمسين سنة، ودفن بالبيع مع عمه الحسن (عليه السلام)، وكان سبب وفاته أن الوليد بن عبد الملك سمّه^(١).

٩- ومن المعاصرين ذكر المحقق السيد عبدالرزاق المقرّم (ت ١٣٩١ هـ) مجموعة من المصادر التاريخية التي نصّت على أن الإمام مات مسموماً^(٢)، ثم قال: «وقبض (عليه السلام) مظلوماً مضطهداً شهيداً بسمّ أوعز به الوليد بن عبد الملك إلى أخيه هشام»^(٣).

١٠- ومن المعاصرين أيضاً ذهب المحقق الشيخ باقر شريف القرشي (ت ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م) إلى القول باغتيال الامام بالسم، وأنه لم يمت حتف أنفه، وقال: «كان الإمام (عليه السلام) يتمتّع بشعبية هائلة، قد تحدّث الناس بإعجاب عن علمه وفقهه وعبادته، وعجّت الأنديّة بالتحدّث عن صبره وسائر ملكاته، وقد احتلّ قلوب الناس وعواطفهم، فكان السعيد من يحظى برؤيته، ويتشرّف بمقابلته والاستماع إلى حديثه، وقد شقّ ذلك على الأمويين، وأقصّ مضاجعهم، وكان من أعظم الحاقدين عليه الوليد بن عبد الملك، قد روى الزهري: عن الوليد أنّه قال: «لا راحة لي وعلي بن الحسين موجود في دار الدنيا»، وأجمع رأي هذا الخبيث الدنس على اغتيال الإمام زين العابدين (عليه السلام) حينما آل إليه الملك والسلطان، فبعث سمّاً قاتلاً إلى عامله على يثرب، وأمره أن يدسّه للإمام (عليه السلام)، ونفّذ عامله ذلك»^(٤).

وبقي الإمام بعد ذلك أياماً قلائل يعاني فيها الآلام الشديدة والأسقام الموجعة بفعل تفاعلات السم في جسده الطاهر حتى سمت روحه العظيمة إلى بارئها.

١- الدر النظيم: يوسف بن حاتم الشامي المشغري العاملي، ص ٥٩١.

٢- حياة الإمام زين العابدين (عليه السلام): ص ٥٦٨.

٣- حياة الإمام زين العابدين (عليه السلام): ص ٥٧٨.

٤- موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام زين العابدين (عليه السلام): باقر شري القرشي، ج ١٦، ص ٢٩٧ - ٣٩٨.

الرأي المختار

بعد استعراض أبرز آراء المؤرخين والأعلام حول سبب وفاة الإمام زين العابدين عليه السلام، وهل أنه مات حتف أنفه كما ذهب إلى ذلك بعض المؤرخين، أم أنه مات مسمومًا كما قال بعضهم الآخر، فإن الأرجح المؤيد بالقرائن تشير إلى أنه قُتل مسمومًا بأوامر مباشرة من الحاكم الأموي الوليد بن عبد الملك (ت ٩٦ هـ / ٧١٥ م) والذي وصفه المؤرخون وأهل السير والتراجم بأنه كان شديد البغض والحقد على أهل البيت، وأنه «كان جبارًا عنيدًا»^(١). و«ظلوًا غشومًا»^(٢). و«وكان... جبارًا ظالمًا»^(٣).

وتكشف هذه الأوصاف التي أطلقها عليه المعاصرون له والمؤرخون لسيرته ما كان يتصف به الوليد من بطش وقسوة وشدة وظلم وتعسف في تعامله مع الناس، وقتله لمن يخالفه أو يعارضه كما هي عادة حكام الجور والظلم في كل زمان ومكان.

ولم يسلم من بطشه وجوره حتى أقرب الناس إليه، حتى إنه قتل بعض العلماء المقربين للبلاط الأموي، فحاكم كهذا عُرِف بأنه كان شديد البغض لأهل البيت، وفي طليعتهم الإمام زين العابدين عليه السلام الذي كان يحقد عليه أشد الحقد، ويتعامل معه تعاملًا سيئًا، وكان يتوجس منه خيفة، ويزداد غيظًا كلما رأى التفاف الناس في المدينة حوله، وكان يرى كما نقل عنه الزهري أن حكمه لن يستمر مع وجود الإمام حيًّا. هذه القرائن والدوافع

١ - الكامل في التاريخ: ابن الأثير، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ج ٤، ص ٢٤٠.

٢ - مروج الذهب: المسعودي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م، ج ٣، ص ١٣١.

٣ - تاريخ الخلفاء: السيوطي، المكتبة العصرية، طبع عام ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، ص ٢٥٣.

ترجح القول إن الإمام مات بالسم الذي دسَّ إليه في شراب أو غيره وبأوامر صادرة من الحاكم الأموي الوليد بن عبد الملك، وأن الذي نفَّذ الجريمة هو أخوه هشام بن عبد الملك..

وقد سمت روحه الطاهرة إلى بارئها حيث جنان الخلد بعد أن أبلى بلاءً حسنًا، وجاهد جهادًا عظيمًا بأخلاقه الرفيعة، وعلمه الغزير، وتدريسه للعلوم والمعارف، وتربيته للفقهاء والعلماء والرواة، وترسيخه للقيم والمبادئ والأخلاق، ونشره للأدعية والمناجاة، ومواقفه المشهودة المعروفة ضد حكام الظلم والجور في زمانه، وتحمله لآلام والشدائد والمعاناة الشديدة في سبيل الله تعالى؛ فبقي خالدًا وسيبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وكانت روحه الطاهرة قد عرجت إلى خالقها في اليوم الخامس والعشرين من شهر محرم الحرام من سنة خمس وتسعين عن سبع وخمسين سنة على أصح الأقوال.

تجهيزه عليه الصلاة والسلام

بعد أن فارق الإمام زين العابدين عليه السلام هذه الحياة الفانية، قام الإمام الباقر عليه السلام بتجهيز جثمان أبيه، فغسل جسده الطاهر، وبعد الانتهاء منه أدرجه في أكفانه، ثم صلى عليه صلاة الميت.

وكان الإمام الباقر عليه السلام قد أحضر معه من يعاونه من أهل بيته في تجهيز جثمان أبيه، فرأوا آثار العبادة ظاهرة عند مواضع سجوده، كما رأوا آثار حمل الجراب للفقراء على ظهره. روى القاضي النعمان عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام: أَنَّهُ لَمَّا أَخَذَ فِي غَسْلِ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام أَحْضَرَ مَعَهُ مَنْ رَعَاهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، فَنَظَرُوا إِلَى مَوَاضِعِ السُّجُودِ مِنْهُ فِي رُكْبَتِهِ وَظَاهِرِ قَدَمَيْهِ وَبَاطِنِ كَفِّهِ وَجَبْهَتِهِ، قَدْ غَلِظَتْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ حَتَّى صَارَتْ كَمَبَارِكِ الْبَعِيرِ.

وكان يصلي عليه السلام في كل يوم وليلة ألف ركعة، ثم نظروا إلى جبل عاتقه، وعليه أثر قد اخشوشن، فقالوا لأبي جعفر: أمّا هذه فقد علمنا أنّها من أثر السُّجُود، فما هذا الذي على عاتقه؟

قال: «والله، ما علم به أحد غيري، وما علمته من حيث علم أنّي علمته، ولولا أنّه قد مات ما ذكرته. كان عليه السلام إذا مضى من الليل صدر، قام وقد هدأ كل من في منزله، فأسبغ وضوءه وصلى ركعتين خفيفتين، ثم نظر إلى كل ما فضل في البيت من قوت أهله، فجعله في جراب، ثم رمى به على عاتقه وخرج مختفياً يتسلّل لا يعلم به أحد، فيأتي به دوراً فيها أهل مسكنة وفقر، فيفرّق ذلك عليهم وهم لا يعرفونه، إلا أنّهم قد عرفوا ذلك منه، فكانوا ينتظرونه، وكان إذا أقبل قالوا: هذا صاحب الجراب، وفتحوا أبوابهم ليفرّق عليهم ما في الجراب وانصرف به فارغاً، يتغي بذلك فضل صدقة السرّ وفضل صدقة الليل وفضل إعطاء الصدقة بيده، ثم يرجع فيقوم في محرابه

فيصلي باقي ليلته، فهذا الذي ترون على عاتقه أثر ذلك الجراب»^(١).

وروى الصدوق بسنده عن إسماعيل بن المنصور، عن بعض أصحابنا قال: «لما وضع علي بن الحسين (عليه السلام) على السرير ليُغسل نظر إلى ظهره وعليه مثل ركب الإبل مما كان يحمل على ظهره إلى منازل الفقراء والمساكين»^(٢).
وروى أبو نعيم الأصفهاني بسنده عن عمرو بن ثابت قال: «لما مات علي بن الحسين فغسلوه جعلوا ينظرون إلى آثار سواد بظهره».
فقالوا: ما هذا؟

ف قيل: «كان يحمل جرب الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة»^(٣). والروايات في هذا الشأن مستفيضة.
بكاء الإمام الباقر عند غسله لأبيه

تشير بعض الروايات إلى أن الإمام الباقر (عليه السلام) بكى بكاءً شديداً عند غسله لأبيه لما رآه من آثار الجامعة على عنقه، والأغلال والقيود التي وضعت في رجله. روى جابر الجعفي، قال: «لما جرّد مولاي محمد الباقر، مولاي علي بن الحسين ثيابه ووضعه على المغتسل وكان قد ضرب دونه حجاباً سمعته ينشج ويبكي حتى أطال ذلك فأمهلت عن السؤال حتى إذا فرغ من غسله ودفنه، فأتيت إليه وسلّمت عليه وقلت له: جعلت فداك، ممّ كان بكائك وأنت تغسل أباك ذلك حزناً عليه؟

قال: «لا، يا جابر، لكن لما جرّدت أبي ثيابه ووضعت على المغتسل رأيت آثار الجامعة في عنقه، وآثار جرح القيد في ساقيه وفخذه، فأخذتني الرقة لذلك وبكيت»^(٤).

١ - دعائم الإسلام: القاضي النعمان المغربي، ج ٢، ص ٣٣٠، ح ١٢٤٨.

٢ - علل الشرائع: الشيخ الصدوق، ج ١، ص ٢٣١، ح ٦. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٦٦، ح ٢٩.

٣ - حلية الأولياء: ج ٣، ص ١٣٦. بحار الأنوار: ج ٤٦، ص ٩٠، ح ٧٧.

٤ - المجالس السنية: السيد محسن الأمين، ج ٤، ص ٢٧٥.

لقد عانى الإمام زين العابدين عليه السلام من محن كثيرة وابتلاءات شديدة، ومن أشدها بعد واقعة كربلاء وضع الجامعة في عنقه والقيود والأغلال في رجليه، وسوقه مع النساء والأطفال من عترة النبي صلى الله عليه وآله أسارى يطاف بهن من بلد إلى آخر، وما بقاء آثار هذه الأغلال والقيود على جسده الطاهر إلى حين وفاته إلا دليل على شدة القسوة التي عومل بها الإمام بعد عاشوراء.

مواراته الشرى في البقية

بعد الفراغ من تجهيز جثمان الإمام الطاهر هبَّ المسلمون قاطبة لتشيعه نحو مأواه الأخير في البقية، وحظي الإمام (عليه السلام) بتشيع مهيب لم تشهد له المدينة نظيراً، فشيعه الصالح والطالح، والبرُّ والفاجر، والمؤمن والمنافق، والتفت الناس حول نعشه الطاهر، وهم في حالة من البكاء والنحيب والجزع والحزن والألم والأسى على رحيل هذا الإمام العظيم.

ورد في الروايات: «فلما أن مات شهد جنازته البرُّ والفاجر، وأثنى عليه الصَّالح والطَّالِح، وانهال النَّاس يتبعونه، حتَّى وضعت الجنازة، فقلت: إن أدركت الدهر فاليوم، فلم يبقَ رجل ولا امرأة»^(١).

كان الإمام مدرسة في الإيمان والتقوى، وفي الأخلاق والآداب، فأحبه الناس على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم، فلما مات أظهروا الحزن والأسى على رحيله، وانهال أهل المدينة ومن حولها زرافات زرافات في تشيعه، والتشرف بحمل نعشه المبارك، والمشاركة في مواراته الشرى.

إلى بقية الغرق

وجيء بالجثمان الطاهر إلى البقية وسط صيحات من البكاء والنحيب والعيول، وحالة من الحزن والألم والأسى على رحيل زين العابدين وسيد الساجدين وإمام المتقين، يتخلل ذلك هالة من التكبير والتحميد والتهليل، فحفروا له قبراً حول قبر عمه الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام)، وأنزل الإمام الباقر جثمان أبيه بكل رفق ولين وهو يعتصر ألماً وحزناً إلى مأواه الأخير، وقد وارى بمواراته الإيمان والتقوى والورع المتجسد في شخصيته العظيمة،

١ - الثاقب في المناقب: ابن حمزة، ص ٣٥٦، ح ٢٩٥.

والأخلاق الرفيعة، والعلم الغزير، وروحانية الدعاء والمناجاة والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى.

وأجمع المؤرخون على مواراة جثمانه الظاهر الثرى في البقيع إلى جوار عمه الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، فقالوا: «دُفن الإمام السَّجَّاد (عليه السلام) في البقيع، إلى جانب عمِّه الإمام الحسن عليه السلام»^(١).

وبمواراته الثرى اختتمت أيام الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام في هذه الدنيا الفانية، ومضى إلى ربه شاهداً وشهيداً ليحيا مخلداً في أعلى عليين في جنات النعيم، مع النبيين والصديقين والأوصياء والشهداء والصالحين؛ وحسن أولئك رفيقاً.

١ - الإرشاد: الشيخ المفيد، ص ٢٤٣. دلائل الإمامة: ص ١٩٢. مجموعة نفيسة: ص ١١٤ (تاج المواليد). الطبقات الكبرى: ج ٥ ص ٢٢١. أنساب الأشراف: ج ٣ ص ٣٦٢. مروج الذهب: ج ٣ ص ١٦٩. وفيات الأعيان: ج ٢ ص ٢٦٩.

الفصل الثاني

حِكْمَ ومواعظ بليغة للإمام زين العابدين عليه السلام



قصار الحكم للإمام زين العابدين عليه السلام

روي عن الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام في كتب الحديث والتاريخ والسيرة مواعظ بليغة، وحكم نفيسة، ودرر ثمينة، وكلمات مؤثرة، وتحتوي تلك المواعظ والحكم والدرر الفاخرة على الموعدة الحسنة، والنصيحة الصادقة، والتوجيه التربوي، والإرشاد المخلص، وتحض على تزكية النفس، وتهذيب الروح، وتنقية الفؤاد؛ وفيها إنارة للعقل، وإثراء للفكر، وإغناء للمعرفة، وإيقاظ للوعي، وإعلاء لقيم الأخلاق الفاضلة والآداب العامة. وتضمنت هذه الحكم النفيسة والمواعظ البليغة مفاهيم عقدية ومعرفية وفكرية وأخلاقية وتربوية وسلوكية، وعليها الاستفادة من هذه الدرر الثمينة والجواهر النفيسة، والآلئ الجميلة، والعمل بما جاء فيها كي نبني أنفسنا روحياً ومعنوياً وأخلاقياً، وننمي روح الحكمة والبصيرة في تفكيرنا وفكرنا، والتعقل والتوازن في سلوكنا وتصرفاتنا وأفعالنا، وفي جميع شؤون حياتنا الخاصة والعامة، بما يساعدنا على الارتقاء في مسيرة دنيا حياتنا، ونيل الفلاح في حياة آخرتنا.

وننقل إليكم طائفة مما اخترناه لكم من هذه الحكم النفيسة والمواعظ البليغة للإمام زين العابدين عليه السلام، فقد روي عنه من قصار حكمه ومواعظه البليغة ما يأتي:

- ١- لَا يَهْلِكُ مُؤْمِنٌ بَيْنَ ثَلَاثِ خِصَالٍ: شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَشَفَاعَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَسَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ ^(١).
- ٢- أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَمُلَ إِسْلَامُهُ، وَمُحَصَّتٌ عَنْهُ ذُنُوبُهُ، وَلَقِيَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ: مَنْ وَفَى لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَا يَجْعَلُ عَلَى نَفْسِهِ لِلنَّاسِ،

وَصَدَقَ لِسَانُهُ مَعَ النَّاسِ، وَاسْتَحْيَا مِنْ كُلِّ قَبِيحٍ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ النَّاسِ، وَحَسَّنَ خُلُقَهُ مَعَ أَهْلِهِ^(١).

٣- إِنَّ الْمَعْرِفَةَ بِكَمَالِ دِينِ الْمُسْلِمِ تَرْكُهُ الْكَلَامَ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، وَقِلَّةَ الْمِرَاءِ، وَحِلْمُهُ، وَصَبْرُهُ، وَحُسْنَ خُلُقِهِ^(٢).

٤- عِلَامَاتُ الْمُؤْمِنِ خَمْسٌ: الْوَرَعُ فِي الْخَلْوَةِ، وَالصَّدَقَةُ فِي الْقِلَّةِ، وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْمَصِيبَةِ، وَالْحِلْمُ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَالصَّدْقُ عِنْدَ الْخَوْفِ^(٣).

٥- خَمْسٌ لَوْ رَحَلْتُمْ فِيهِنَّ لَأَنْضَيْتُمُوهُنَّ^(٤) وَمَا قَدَرْتُمْ عَلَى مِثْلِهِنَّ: لَا يَخَافُ عَبْدٌ إِلَّا ذَنْبَهُ، وَلَا يَرْجُو إِلَّا رَبَّهُ، وَلَا يَسْتَحْيِي الْجَاهِلُ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَتَعَلَّمَ، وَالصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ، وَلَا إِيْمَانُ لِمَنْ لَا صَبْرَ لَهُ^(٥).

٦- الْمُؤْمِنُ خَلَطَ عِلْمَهُ بِالْحِلْمِ، يَجْلِسُ لِيَعْلَمَ، وَيَنْصِتُ لِيَسْلَمَ، وَيَنْطِقُ لِيَفْهَمَ، لَا يُحَدِّثُ أَمَانَتَهُ الْأَصْدِقَاءَ^(٦).

٧- إِنَّهُ لَيُعْجِبُنِي الرَّجُلُ أَنْ يُدْرِكَهُ حِلْمُهُ عِنْدَ غَضَبِهِ^(٧).

٨- إِنِّي لَا أَكْرَهُ أَنْ يُعَافَى الرَّجُلُ فِي الدُّنْيَا، وَلَا يُصِيبَهُ شَيْءٌ مِنَ الْمَصَائِبِ^(٨).

٩- رَأَيْتُ الْخَيْرَ كُلَّهُ قَدْ اجْتَمَعَ فِي قَطْعِ الطَّمَعِ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ^(٩).

١- بحار الأنوار: ٧٢/٩٣/٦.

٢- بحار الأنوار: ٢/١٢٩/١١.

٣- بحار الأنوار: ٦٤/٢٩٣/١٥.

٤- أنضت الدابة: هزلتها الأسفار. والظاهر أن الضمير راجع إلى المطية التي تفهم من فحوى الكلام، ورواه الصدوق في الخصال عن أمير المؤمنين (عليه السلام) بدون قوله «لأنضيتموهن».

٥- بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٣٩، ح ٢١.

٦- بحار الأنوار: ٦٤/٢٩١/١٤.

٧- الكافي: ٢/١١٢/٣.

٨- بحار الأنوار: ٧٨/١٧٦/١٤.

٩- بحار الأنوار: ٧٠/١٧١/١٠.

- ١٠ - مَنْ رَمَى النَّاسَ بِمَا فِيهِمْ رَمَوْهُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ^(١).
- ١١ - الْحَيْرُ كُلُّهُ صَيَانَةُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ^(٢).
- ١٢ - الْعَقْلُ قَائِدُ الْحَيْرِ^(٣).
- ١٣ - مَنْ طَلَبَ رِضَا اللَّهِ بَسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ أُمُورَ النَّاسِ، وَمَنْ طَلَبَ رِضَا النَّاسِ بَسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَّهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ^(٤).
- ١٤ - خَيْرُ مَفَاتِيحِ الْأُمُورِ الصَّدْقُ، وَخَيْرُ خَوَاتِيمِهَا الْوَفَاءُ^(٥).
- ١٥ - مِنْ سَعَادَةِ الرَّجُلِ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ يَسْتَعِينُ بِهِمْ^(٦).
- ١٦ - إِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، يَتْرُكُ الدُّنْيَا لِلدُّنْيَا، وَيَرَى أَنَّ لَذَّةَ الرِّئَاسَةِ الْبَاطِلَةَ أَفْضَلُ مِنْ لَذَّةِ الْأَمْوَالِ وَالنَّعْمِ الْمُبَاحَةِ الْمُحَلَّلَةِ، فَيَتْرُكُ ذَلِكَ أَجْمَعَ طَلَبًا لِلرِّئَاسَةِ^(٧).
- ١٧ - أَكْبَرُ مَا يَكُونُ ابْنُ آدَمَ الْيَوْمَ الَّذِي يَلِدُ مِنْ أُمِّهِ^(٨).
- ١٨ - وَيَحْكُ يَا بَنَ آدَمَ! الْغَافِلُ وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ، ابْنُ آدَمَ إِنَّ أَجَلَكَ أَسْرَعُ شَيْءٍ إِلَيْكَ، قَدْ أَقْبَلَ نَحْوَكَ حَشِيشًا يَطْلُبُكَ...!^(٩).
- ١٩ - اْعْلَمْ وَيَحْكُ يَا بَنَ آدَمَ! أَنَّ قَسْوَةَ الْبُطْنَةِ، وَكِظَّةَ الْمِالَةِ، وَسُكْرَ الشُّبْعِ، وَغِرَّةَ الْمُلْكِ، مِمَّا يُثَبِّطُ وَيُطَيِّئُ عَنِ الْعَمَلِ، وَيُنْسِي الذِّكْرَ، وَيُلْهِي عَنِ اقْتِرَابِ الْأَجَلِ، حَتَّى كَأَنَّ الْمُبْتَلَى بِحُبِّ الدُّنْيَا بِهِ خَبَلٌ مِنْ سُكْرِ الشَّرَابِ^(١٠).

١ - بحار الأنوار: ٧٥ / ١٦٠ / ٢١.

٢ - تحف العقول: ٢٧٨.

٣ - أعلام الدين: ص ٩٦.

٤ - الاختصاص: ٢٢٥.

٥ - بحار الأنوار: ٧٥ / ١٦١ / ٢١.

٦ - الكافي: ٦ / ٢ / ٢.

٧ - بحار الأنوار: ٨٤ / ٢ / ١٠.

٨ - الاختصاص: ٣٤٢.

٩ - تنبيه الخواطر: ٢ / ٤٧.

١٠ - تحف العقول: ٢٧٣.

- ٢٠- عَجَبًا لِلْمُتَكَبِّرِ الْفَخُورِ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ نُطْفَةً ثُمَّ هُوَ غَدًا جِيفَةً^(١).
- ٢١- مَنْ عَمِلَ بِمَا افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَهُوَ مِنْ خَيْرِ^(٢) النَّاسِ^(٣).
- ٢٢- مَنْ كَتَمَ عِلْمًا أَحَدًا، أَوْ أَخَذَ عَلَيْهِ أَجْرًا رِفْدًا، فَلَا يَنْفَعُهُ أَبَدًا^(٤).
- ٢٣- الْقَوْلُ الْحَسَنُ يُثْرِي الْمَالَ، وَيُنْمِي الرِّزْقَ، وَيُنْسِي فِي الْأَجَلِ، وَيُحِبُّ إِلَى الْأَهْلِ، وَيُدْخِلُ الْجَنَّةَ^(٥).
- ٢٤- كَفُّ الْأَذَى مِنْ كَمَالِ الْعَقْلِ^(٦).
- ٢٥- مَنْ عَتَبَ عَلَى الزَّمَانِ طَالَتْ مَعْتَبَتُهُ^(٧).
- ٢٦- الْحَقُودُ يَمُوتُ كَمَدًّا^(٨).
- ٢٧- مَنْ طَلَبَ الْغِنَى وَالْأَمْوَالَ وَالسَّعَةَ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهَا يَطْلُبُ ذَلِكَ لِلرَّاحَةِ، وَالرَّاحَةُ لَمْ تُخْلَقْ فِي الدُّنْيَا وَلَا لِأَهْلِ الدُّنْيَا، إِنَّمَا خُلِقَتِ الرَّاحَةُ فِي الْجَنَّةِ وَلِأَهْلِ الْجَنَّةِ^(٩).
- ٢٨- مَنْ اتَّكَلَ عَلَى حُسْنِ اخْتِيَارِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ لَمْ يَتَمَنَّ أَنْهُ فِي غَيْرِ الْحَالِ الَّتِي اخْتَارَهَا اللَّهُ تَعَالَى لَهُ^(١٠).

١- الكافي: ٢ / ٣٢٨ / ١.

٢- ورد في الكافي أيضاً، ج ٢، ص ٨٤، ح ٧: «أعبد».

٣- الكافي: ج ٢، ص ٨١، ح ١. الزهد: ص ٧٩، ح ٤١. الأمالي للمفيد: ص ١٨٤، المجلس ٢٣، ح ٩. الوافي: ج ٤، ص ٣٢١، ح ٢٠١٤. الوسائل: ج ١٥، ص ٢٥٩، ح ٢٠٤٤٥. البحار: ج ٦٨، ص ١٩٥، ح ١.

٤- حلية الأولياء: ج ٣ ص ١٤٠.

٥- الأمالي للصدوق: ١ / ٤٩.

٦- الكافي: ج ١ ص ٢٠ ح ١٢ عن هشام بن الحكم، تحف العقول: ص ٣٩٠ كلاهما عن الإمام الكاظم عليه السلام.

٧- بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٤٢، ح ٥.

٨- نزهة الناظر: ص ١٤٤ ح ٢٧٠، مستدرک الوسائل: ج ١٢ ص ٢٠ ح ١٣٤٠٠.

٩- الخصال: ص ٦٤ ح ٩٥ عن الزهري، بحار الأنوار: ج ٧٠ ص ٩٢ ح ٦٩.

١٠- بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٤٢، ح ٥.

٢٩- إِنْ الْجَسَدَ إِذَا لَمْ يَمْرُضْ يَأْشُرُ^(١)، وَ لَا خَيْرَ فِي جَسَدٍ يَأْشُرُ^(٢).

٣٠- احْفَظْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ؛ تَمْلِكُ بِهِ إِخْوَانَكَ^(٣).

٣١- فَقَدْ الْأَحَبَّةَ غُرَبَةً^(٤).

٣٢- إِيَّاكَ وَالْإِتِّهَاجَ بِالذَّنْبِ؛ فَإِنَّ الْإِتِّهَاجَ بِهِ أَعْظَمُ مِنْ رُكُوبِهِ^(٥).

٣٣- وَأَمَّا حَقُّ أَخِيكَ: فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ يَدُكَ وَعِزُّكَ وَقُوَّتُكَ، فَلَا تَتَّخِذْهُ سِلَاحًا عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا عُدَّةً لِلظُّلْمِ لَخَلْقِ اللَّهِ، وَلَا تَدْعُ نُصْرَتَهُ عَلَى عَدُوِّهِ وَالنَّصِيحَةَ لَهُ، فَإِنْ أَطَاعَ اللَّهُ وَإِلَّا فَلْيَكُنِ اللَّهُ أَكْرَمَ عَلَيْكَ مِنْهُ^(٦).

٣٤- مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ مَتَجَرُّهُ فِي بِلَادِهِ، وَيَكُونَ خُلْطَاؤُهُ صَالِحِينَ، وَيَكُونَ لَهُ وَلَدٌ يَسْتَعِينُ بِهِمْ^(٧).

٣٥- هَلَكَ مَنْ لَيْسَ لَهُ حَكِيمٌ يُرْشِدُهُ، وَذَلَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ سَفِيهٌ يَعْضُدُهُ^(٨).

٣٦- لِكُلِّ شَيْءٍ فَاعِيَةٌ، وَفَاعِيَةُ السَّمْعِ الْكَلَامُ الْحَسَنُ^(٩).

٣٧- إِيَّاكَ وَالرِّضَا بِالذَّنْبِ، فَإِنَّهُ أَعْظَمُ مِنْ رُكُوبِهِ^(١٠).

٣٨- كُلُّ عَيْنٍ سَاهِرَةٌ^(١١) يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا ثَلَاثَ عُيُونٍ: عَيْنٌ سَهَرَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ فَاضَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ^(١٢).

١- أشر يأشر أي بطر و مرج.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٥٨.

٣- تنبيه الخواطر: ٢ / ٩٣، بحار الأنوار: ٦٨ / ٢٢٩ / ٦.

٤- بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٥٨.

٥- بحار الأنوار: ٧٥ / ١٥٩ / ١٠.

٦- الخصال: ١ / ٥٦٨.

٧- الخصال: ١٥٩ / ٢٠٧.

٨- بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٥٩.

٩- بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٦٠، ح ٢١.

١٠- بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٦١.

١١- العين الساهرة هي العين التي لم تنم ليلاً.

١٢- بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٦١.

٣٩- لَا تَمْتَنِعْ مِنْ تَرْكِ الْقَيْحِ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ عُرِفْتَ بِهِ^(١).

٤٠- الشَّرَفُ فِي التَّوَاضُّعِ، وَالْغِنَى فِي الْقَنَاعَةِ^(٢).

٤١- مِنْ شَقَاءِ الْمَرْءِ أَنْ تَكُونَ عِنْدَهُ امْرَأَةٌ مُعْجَبٌ بِهَا، وَهِيَ تَخُونُهُ^(٣).

٤٢- الْعَمَلُ وَعَاءُ الْفَهْمِ^(٤).

٤٣- مَنْ لَمْ يُعْرِفْ دَاوُودَ، أَفْسَدَهُ دَاوُودُ^(٥).

٤٤- أَلَا إِنَّ لِلْعَبْدِ أَرْبَعَ أَعْيُنٍ: عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا أَمْرَ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَعَيْنَانِ

يُبْصِرُ بِهِمَا أَمْرَ آخِرَتِهِ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرٍا فَتَحَ لَهُ الْعَيْنَيْنِ اللَّتَيْنِ فِي قَلْبِهِ،

فَأَبْصَرَ بِهِمَا الْغَيْبَ فِي أَمْرِ آخِرَتِهِ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ تَرَكَ الْقَلْبَ بِمَا فِيهِ^(٦).

٤٥- لَا تُعَادِيَنَّ أَحَدًا وَإِنْ ظَنَنْتَ أَنَّهُ لَا يَضُرُّكَ، وَلَا تَزْهَدَنَّ فِي صَدَاقَةِ أَحَدٍ

وَإِنْ ظَنَنْتَ أَنَّهُ لَا يَنْفَعُكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى تَرْجُو صَدِيقَكَ، وَلَا تَدْرِي مَتَى

تَخَافُ عَدُوَّكَ^(٧).

٤٦- وَاللَّهُ، مَا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ إِلَّا كَكِفَّتَيِ الْمِيزَانِ، فَأَيُّهُمَا رَجَحَ ذَهَبَ

بِالْآخِرِ^(٨).

٤٧- أَشْكُرْكُمْ لِلَّهِ أَشْكُرْكُمْ لِلنَّاسِ^(٩).

١- بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٦١.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٦١.

٣- الكافي: ج ٥ ص ٢٥٨ ح ٣، مشكاة الأنوار: ص ٤٥٨ ح ١٥٣٣. وسائل الشيعة: ج ١٢ ص

١٨٠ ح ٢.

٤- أعلام الدين: ص ٩٦.

٥- أعلام الدين: ص ٢٩٩، بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٦٠، ح ٢١.

٦- الخصال: ٩٠ / ٢٤٠.

٧- الدرّة الباهرة: ٢٦.

٨- الخصال: ٩٥ / ٦٤.

٩- الكافي: ٣٠ / ٩٩ / ٢.

- ٤٨- الدُّعَاءُ يَدْفَعُ الْبَلَاءَ النَّازِلَ وَمَا لَمْ يَنْزِلْ^(١).
- ٤٩- الْعَصِيَّةُ الَّتِي يَأْتُمُ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا: أَنْ يَرَى الرَّجُلُ شِرَارَ قَوْمِهِ خَيْرًا مِنْ خِيَارِ قَوْمٍ آخَرِينَ، وَلَيْسَ مِنَ الْعَصِيَّةِ أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ قَوْمَهُ، وَلَكِنْ مِنَ الْعَصِيَّةِ أَنْ يُعَيِّنَ قَوْمَهُ عَلَى الظُّلْمِ^(٢).
- ٥٠- اتَّقُوا الْكَذِبَ الصَّغِيرَ مِنْهُ وَالْكَبِيرَ، فِي كُلِّ جِدٍّ وَهَزَلٍ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَذَبَ فِي الصَّغِيرِ اجْتَرَأَ عَلَى الْكَبِيرِ^(٣).
- ٥١- إِيَّاكُمْ وَالْغِيْبَةَ؛ فَإِنَّهَا إِدَامٌ كِلَابِ النَّارِ^(٤).
- ٥٢- مَا اسْتَغْنَى أَحَدٌ بِاللَّهِ إِلَّا افْتَقَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ^(٥).
- ٥٣- أَظْهِرِ الْيَأْسَ مِنَ النَّاسِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ الْغِنَى^(٦).
- ٥٤- إِرْشَادُ الْمُسْتَشِيرِ قَضَاءٌ لِحَقِّ النِّعْمَةِ^(٧).
- ٥٥- حَقُّ الْمُسْتَشِيرِ: إِنْ عَلِمْتَ أَنَّ لَهُ رَأْيًا أَشْرْتَ عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ تَعْلَمْ أَرْشَدْتَهُ إِلَى مَنْ يَعْلَمُ^(٨).
- ٥٦- أَصْبَحْتُ مَطْلُوبًا بِثَمَانٍ: اللَّهُ تَعَالَى يَطْلُبُنِي بِالْفَرَائِضِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بِالسُّنَّةِ، وَالْعِيَالُ بِالْقُوتِ، وَالنَّفْسُ بِالشَّهْوَةِ، وَالشَّيْطَانُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَالْحَافِظَانِ بِصَدَقِ الْعَمَلِ، وَمَلَكُ الْمَوْتِ بِالرُّوحِ، وَالْقَبْرُ بِالْجَسَدِ، فَأَنَا بَيْنَ هَذِهِ الْخِصَالِ مَطْلُوبٌ^(٩).

١- الكافي: ٢ / ٤٦٩ / ٥.

٢- الكافي: ٢ / ٣٠٨ / ٧.

٣- بحار الأنوار: ٦٩ / ٢٣٥ / ٢.

٤- بحار الأنوار: ٧٢ / ٢٥٦ / ٤٣.

٥- الدرّة الباهرة: ٢٦.

٦- الأمالي للمفيد: ١٨٣ / ٦.

٧- تحف العقول: ٢٨٣.

٨- الخصال: ١ / ٥٧٠.

٩- جامع الأخبار: ٢٣٧ / ٦٠٣.

- ٥٧- ما مِنْ قَطْرَةٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قَطْرَتَيْنِ: قَطْرَةُ دَمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَطْرَةُ دَمْعَةٍ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ لَا يُرِيدُ بِهَا الْعَبْدُ إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ^(١).
- ٥٨- ثَلَاثُ مُنْجِيَّاتٍ لِلْمُؤْمِنِ: كَفُّ لِسَانِهِ عَنِ النَّاسِ وَاغْتِيَابِهِمْ، وَإِشْغَالُهُ نَفْسَهُ بِمَا يَنْفَعُهُ لِآخِرَتِهِ وَدُنْيَاهُ، وَطَوْلُ الْبُكَاءِ عَلَى خَطِيئَتِهِ^(٢).
- ٥٩- مَا مِنْ مُؤْمِنٍ ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ^(٣).
- ٦٠- اسْتِثْمَارُ^(٤) الْمَالِ تَمَامُ الْمَرْوَةِ^(٥).
- ٦١- عَجِبْتُ لِمَنْ يَحْتَمِي عَنِ الطَّعَامِ لِمَضَرَّتِهِ، وَلَا يَحْتَمِي مِنَ الذَّنْبِ لِمَعَرَّتِهِ^(٦).
- ٦٢- الْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ لِمَنْ شَكَّ فِي اللَّهِ وَهُوَ يَرَى الْخَلْقَ^(٧).
- ٦٣- الْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ لِمَنْ أَنْكَرَ النِّشْأَةَ الْآخَرَى وَهُوَ يَرَى النِّشْأَةَ الْأُولَى^(٨).
- ٦٤- الْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ لِمَنْ عَمَلَ لِدَارِ الْفَنَاءِ وَتَرَكَ دَارَ الْبَقَاءِ^(٩).
- ٦٥- لَا عِبَادَةَ إِلَّا بِالتَّقْوَةِ^(١٠).
- ٦٦- مَنْ قَالَ: «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ» فَلَيْسَ بِمُسْتَكْبِرٍ وَلَا جَبَّارٍ، إِنَّ الْمُسْتَكْبِرَ مَنْ يُصِرُّ عَلَى الذَّنْبِ الَّذِي قَدْ غَلَبَهُ هَوَاهُ فِيهِ، وَآثَرَ دُنْيَاهُ عَلَى آخِرَتِهِ^(١١).

١- بحار الأنوار: ٩٧/ ١٠/ ١٦.

٢- تحف العقول: ص ٢٨٢، معدن الجواهر: ص ٣٤، بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٤٠ ح ٣٠.

٣- عوالي اللآلي: ج ٤ ص ٣٢ ح ١١٣.

٤- في تحف العقول: ص ٢٨٣: اسْتِثْمَاءُ.

٥- الكافي: ١/ ٢٠/ ١٢.

٦- بحار الأنوار: ٧٥/ ١٥٩/ ١٠.

٧- الأمالي للطوسي: ٦٦٣/ ١٣٨٧.

٨- الأمالي للطوسي: ٦٦٣/ ١٣٨٧.

٩- الأمالي للطوسي: ٦٦٤/ ١٣٨٧.

١٠- تحف العقول: ٢٨٠.

١١- بحار الأنوار: ٩٠/ ٢٧٧/ ٣.

- ٦٧- مَنْ ضَحِكَ ضَحَكَةً مَجَّ مِنْ عَقْلِهِ مَجَّةٌ عِلْمٌ^(١).
- ٦٨- مَا تَجَرَّعْتُ جُرْعَةً أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ لَا أَكْفِي بِهَا صَاحِبَهَا^(٢).
- ٦٩- مَنْ كَفَّ عَنْ أَعْرَاضِ الْمُسْلِمِينَ أَقَالَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَثْرَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٣).

- ٧٠- إِيَّاكَ وَمَا يُعْتَدَرُ مِنْهُ^(٤).
- ٧١- لَا يَعْتَدِرُ إِلَيْكَ أَحَدٌ إِلَّا قَبِلَتْ عُذْرُهُ؛ وَإِنْ عَلِمْتَ أَنَّهُ كَاذِبٌ^(٥).
- ٧٢- إِنْ شَتَمَكَ رَجُلٌ عَنْ يَمِينِكَ ثُمَّ تَحَوَّلَ إِلَى يَسَارِكَ وَاعْتَدَرَ إِلَيْكَ فَاقْبَلْ عُذْرَهُ^(٦).
- ٧٣- كَفَى بِنَصْرِ اللَّهِ لَكَ أَنْ تَرَى عَدُوَّكَ يَعْمَلُ بِمَعَاصِي اللَّهِ فِيكَ^(٧).
- ٧٤- أَشَدُّ سَاعَاتِ ابْنِ آدَمَ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ: السَّاعَةُ الَّتِي يُعَايِنُ فِيهَا مَلَكَ الْمَوْتِ، وَالسَّاعَةُ الَّتِي يَقُومُ فِيهَا مِنْ قَبْرِهِ، وَالسَّاعَةُ الَّتِي يَقِفُ فِيهَا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فِيمَا إِلَى الْجَنَّةِ، وَفِيمَا إِلَى النَّارِ....^(٨).
- ٧٥- اَعْلَمْ... أَنَّ صَلَاحَ شَأْنِ الدُّنْيَا بِحَذَائِرِهَا فِي كَلِمَتَيْنِ: إِصْلَاحُ شَأْنِ الْمَعَاشِ مِلْءُ مِكْيَالٍ ثُلَاثُ فِطْنَةٍ وَثُلَاثُ تَغَافُلٍ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَتَغَافَلُ عَنْ شَيْءٍ^(٩) قَدْ عَرَفَهُ فَقَطِنَ لَهُ^(١٠).

١- بحار الأنوار: ٩/٧٥/١٥٨.

٢- الكافي: ١/١٠٩/٢.

٣- صحيفة الإمام الرضا عليه السلام: ١٩٥/٨٥.

٤- الأمالي للمفيد: ٦/١٨٤.

٥- الدرّة الباهرة: ٢٦.

٦- بحار الأنوار: ٣٤/١٤١/٧٥.

٧- تحف العقول: ٢٧٨.

٨- الخصال: ١٠٨/١١٩.

٩- هكذا والظاهر أنّ الصحيح: «لا يتغافل إلا عن شيء».

١٠- كفاية الأثر: ص ٢٤٠، تحف العقول: ص ٣٥٩، نزهة الناظر: ص ١٠٠ ح ١٨، كشف الغمة: ج ٢ ص ٣٦٢، الدرّة الباهرة: ص ٢٨، بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٨٨ ح ٣٣.

- ٧٦- أَرْضَاكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَصْبَغُكُمْ^(١) عَلَى عِيَالِهِ^(٢).
- ٧٧- مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِ: الْإِنْفَاقُ عَلَى قَدْرِ الْإِقْتَارِ، وَالتَّوَسُّعُ عَلَى قَدْرِ التَّوَسُّعِ، وَإِنْصَافُ النَّاسِ، وَابْتِدَاؤُهُ إِيَّاهُمْ بِالسَّلَامِ عَلَيْهِمْ^(٣).
- ٧٨- مَنْ بَاتَ شَبَعَانٌ وَبَحَضَرَتِهِ مُؤْمِنٌ طَاوٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: مَلَأْتُكَتِي، أَشْهَدُكُمْ عَلَى هَذَا الْعَبْدِ إِنِّي أَمَرْتُهُ فَعَصَانِي وَأَطَاعَ غَيْرِي فَوَكَّلْتُهُ إِلَى عَمَلِهِ، وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا غَفَرْتُ لَهُ أَبَدًا^(٤).
- ٧٩- إِنِّي لَا أَسْتَحْيِي مِنْ رَبِّي أَنْ أَرَى الْأَخَ مِنْ إِخْوَانِي فَأَسْأَلَ اللَّهَ لَهُ الْجَنَّةَ وَأُبْخَلَ عَلَيْهِ بِالدِّينَارِ وَالذَّرْهَمِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ قِيلَ لِي: لَوْ كَانَتْ الْجَنَّةُ لَكَ لَكُنْتَ بِهَا أَبْخَلَ، وَأَبْخَلَ، وَأَبْخَلَ!^(٥).
- ٨٠- الْمُؤْمِنُ يَصُمْتُ لَيْسَلَمَ، وَيَنْطِقُ لَيْغَمَ... إِنْ زُكِّيَ خَافَ مِمَّا يَقُولُونَ، وَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ، لَا يَغْرُهُ قَوْلُ مَنْ جَهِلَهُ، وَيَخَافُ إِحْصَاءَ مَا عَمِلَهُ^(٦).
- ٨١- آدَابُ الْعُلَمَاءِ زِيَادَةُ فِي الْعَقْلِ^(٧).
- ٨٢- إِنْ أَحَبَّكُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَحْسَنْكُمْ عَمَلًا، وَإِنْ أَعْظَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَمَلًا أَعْظَمَكُمْ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ رَغْبَةً^(٨).

- ١- أسبغ: أفاض وأتم (المصباح المنير: ص ٢٦٤ «سبغ»).
- ٢- الكافي: ج ٤ ص ١١ ح ١، كتاب من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٤٠٨ ح ٥٨٨٤، تنبيه الخواطر: ج ٢ ص ٤٧، أعلام الدين: ص ٢٢٢ وفيه «أشبعكم» بدل «أسبغكم». تحف العقول: ص ٢٧٩، بحار الأنوار: ج ١٠١ ص ٧٣ ح ٢٥.
- ٣- الكافي: ج ٢ ص ٢٤١ ح ٣٦ عن أبي حمزة، تحف العقول: ص ٢٨٢، بحار الأنوار: ج ٦٤ ص ٣٦١ ح ٦٥.
- ٤- المحاسن: ١/ ١٨٢ / ٢٩٠.
- ٥- مصادقة الإخوان: ١/ ١٦٩ / ١.
- ٦- الكافي: ٢/ ٢٣١ / ٣.
- ٧- تحف العقول: ٢٨٣.
- ٨- الكافي: ٨/ ٦٨ / ٢٤.

- ٨٣- إِنْ أَنْجَاكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَشَدُّكُمْ خَشْيَةً لِلَّهِ^(١).
- ٨٤- إِنْ أَقْرَبَكُمْ مِنَ اللَّهِ أَوْسَعَكُمْ خُلُقًا^(٢).
- ٨٥- إِنْ أَكْرَمَكُمْ عَلَى اللَّهِ اتَّقَاكُمْ لِلَّهِ^(٣).
- ٨٦- إِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْكَذَّابِ؛ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ السَّرَابِ يُقَرِّبُ لَكَ الْبَعِيدَ، وَيُبْعِدُ لَكَ الْقَرِيبَ^(٤).
- ٨٧- إِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْفَاسِقِ؛ فَإِنَّهُ بَايَعَكَ بِأُكْلَةٍ^(٥)، أَوْ أَقَلِّ مِنْ ذَلِكَ^(٦).
- ٨٨- إِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْبَخِيلِ؛ فَإِنَّهُ يَخْذُلُكَ فِي مَالِهِ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ^(٧).
- ٨٩- إِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْأَحْمَقِ؛ فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيُضِرُّكَ^(٨).
- ٩٠- إِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْقَاطِعِ لِرَحِمِهِ؛ فَإِنِّي وَجَدْتُهُ مَلْعُونًا فِي كِتَابِ اللَّهِ^(٩).
- ٩١- لَا تَزْهَدْ فِي مُرَاجَعَةِ الْجَهْلِ، وَإِنْ كُنْتَ قَدْ شَهَرْتَ بِتَرْكِهِ^(١٠).
- ٩٢- مَا اخْتَلَجَ عِرْقٌ وَلَا صُدِعَ مُؤَمِّنٌ إِلَّا بِذَنْبِهِ، وَمَا يَعْفُو اللَّهُ عَنْهُ أَكْثَرُ^(١١).
- ٩٣- طَلَبُ الْحَوَائِجِ إِلَى النَّاسِ مَذَلَّةٌ لِلْحَيَاةِ، وَمَذْهَبَةٌ لِلْحَيَاءِ، وَاسْتِخْفَافٌ بِالْوَقَارِ، وَهُوَ الْفَقْرُ الْحَاضِرُ، وَقِلَّةُ طَلَبِ الْحَوَائِجِ مِنَ النَّاسِ هُوَ الْغِنَى الْحَاضِرُ^(١٢).

- ١- بحار الأنوار: ج ٧٥، ص: ١٣٦، ح ١٣.
- ٢- الكافي: ٨ / ٦٩ / ٢٤.
- ٣- بحار الأنوار: ج ٧٥، ص: ١٣٦، ح ١٣.
- ٤- الكافي: ج ٢ ص ٦٤١، ح ٧. بحار الأنوار: ج ٧٥، ص: ١٣٧، ح ١٤.
- ٥- الأكلة - بضم الهمزة -: اللقمة.
- ٦- بحار الأنوار: ج ٧٥، ص: ١٣٧، ح ١٤.
- ٧- الكافي: ج ٢ ص ٦٤١، ح ٧. بحار الأنوار: ج ٧٥، ص: ١٣٧، ح ١٤.
- ٨- الكافي: ج ٢ ص ٦٤١، ح ٧. بحار الأنوار: ج ٧٥، ص: ١٣٧، ح ١٤.
- ٩- الكافي: ج ٢ ص ٦٤١، ح ٧. بحار الأنوار: ج ٧٥، ص: ١٣٧، ح ١٤.
- ١٠- نزهة الناظر: ص ٩٢ ح ١٧. بحار الأنوار: ج ٧٥ ص ١٦١ ح ٢١.
- ١١- الأمالي للمفيد: ص ٣٥ ح ١، الأمالي للطوسي: ص ٦٣ ح ١٣٠٠، بحار الأنوار: ج ٧٨ ص ١٨٦ ح ٤١.
- ١٢- تحف العقول: ٢٧٩.

- ٩٤- ضَمِنْتُ عَلَى رَبِّي أَنْ لَا يَسْأَلَ أَحَدٌ أَحَدًا مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَّا اضْطَرَّتْهُ حَاجَةٌ بِالْمَسْأَلَةِ يَوْمًا إِلَى أَنْ يَسْأَلَ مِنْ حَاجَةٍ^(١).
- ٩٥- ابْنُ آدَمَ، لَا تَزَالُ بِخَيْرٍ مَا كَانَ لَكَ وَاعِظْ مِنْ نَفْسِكَ، وَمَا كَانَتْ الْمُحَاسَبَةُ مِنْ هَمِّكَ^(٢).
- ٩٦- ابْنُ آدَمَ، إِنَّكَ مَيِّتٌ وَمَبْعُوثٌ وَمَوْقُوفٌ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَسْئُولٌ فَأَعِدَّ جَوَابًا^(٣).
- ٩٧- ابْنُ آدَمَ، لَا تَزَالُ بِخَيْرٍ... مَا كَانَ الْخَوْفُ لَكَ شِعَارًا وَالْحُزْنُ دِثَارًا^(٤).
- ٩٨- إِنْ أَبْغَضَ النَّاسُ إِلَى اللَّهِ مَنْ يَقْتَدِي بِسُنَّةِ إِمَامٍ وَلَا يَقْتَدِي بِأَعْمَالِهِ^(٥).
- ٩٩- مَجَالِسُ الصَّالِحِينَ دَاعِيَةٌ إِلَى الصَّلَاحِ^(٦).
- ١٠٠- مَنْ لَمْ يَرْجُ النَّاسَ فِي شَيْءٍ، وَرَدَّ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، اسْتَجَابَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ^(٧).
- ١٠١- الْمُؤْمِنُ مِنْ دُعَائِهِ عَلَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يُدْخَرَ لَهُ، وَإِمَّا أَنْ يُعَجَّلَ لَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدْفَعَ عَنْهُ بَلَاءٌ يُرِيدُ أَنْ يُصِيبَهُ^(٨).
- ١٠٢- إِنْ اللَّهُ لَيَبْغِضُ الْبَخِيلَ السَّائِلَ الْمُلْحِفَ^(٩).
- ١٠٣- إِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْبَخِيلِ، فَإِنَّهُ يَحْذُلُكَ فِي مَالِهِ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ^(١٠).

١- بحار الأنوار: ٣٧/٩٣/١٥٨.

٢- الأُمَالِي لِلطُّوسِي: ١١٥/١٧٦.

٣- الأُمَالِي لِلطُّوسِي: ١١٥/١٧٦.

٤- الأُمَالِي لِلطُّوسِي: ١١٥/١٧٦.

٥- الكافي: ٣١٢/٢٣٤/٨.

٦- بحار الأنوار: ٣٥/١٤١/٧٥.

٧- بحار الأنوار: ١٦/١١٠/٧٢.

٨- تحف العقول: ٢٨٠.

٩- بحار الأنوار: ٢٧/١٤٠/٧٥.

١٠- الكافي: ج ٢ ص ٣٧٧ ح ٧ و ص ٦٤١ ح ٧، تحف العقول: ص ٢٧٩، الاختصاص: ص ٢٣٩.

- ١٠٤- الزُّهْدُ عَشْرَةُ أَجْزَاءٍ: فَأَعْلَى دَرَجَاتِ الزُّهْدِ أَدْنَى دَرَجَاتِ الْوَرَعِ، وَأَعْلَى دَرَجَاتِ الْوَرَعِ أَدْنَى دَرَجَاتِ الْيَقِينِ، وَأَعْلَى دَرَجَاتِ الْيَقِينِ أَدْنَى دَرَجَاتِ الرِّضَا^(١).
- ١٠٥- خَفِ اللَّهُ تَعَالَى لِقُدْرَتِهِ عَلَيْكَ، وَاسْتَحْيِ مِنْهُ لِقُرْبِهِ مِنْكَ^(٢).
- ١٠٦- مَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا هَانَتْ عَلَيْهِ مَصَائِبُهَا وَلَمْ يَكْرَهْهَا^(٣).
- ١٠٧- الْمُنَافِقُ يَنْهَى وَلَا يَتَّهِي، وَيَأْمُرُ بِمَا لَا يَأْتِي، إِذَا قَامَ فِي الصَّلَاةِ اعْتَرَضَ، وَإِذَا رَكَعَ رَبَضَ، وَإِذَا سَجَدَ نَقَرَ، وَإِذَا جَلَسَ شَعَرَ، يُمَسِّي وَهْمُهُ الطَّعَامُ وَهُوَ مُفْطِرٌ، وَيُصْبِحُ وَهْمُهُ النَّوْمُ وَلَمْ يَسْهَرْ، إِنْ حَدَّثَكَ كَذَبَكَ، وَإِنْ وَعَدَكَ أَخْلَفَكَ، وَإِنْ ائْتَمَّتْهُ خَانَكَ، وَإِنْ خَالَفَتْهُ اغْتَابَكَ^(٤).
- ١٠٨- إِنْ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِ الْإِنْفَاقَ عَلَى قَدْرِ الْإِقْتَارِ^(٥).
- ١٠٩- ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ كَانَ فِي كَنْفِ اللَّهِ وَأَظْلَلَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ وَآمَنَهُ مِنْ فَزَعِ الْيَوْمِ الْأَكْبَرِ: مَنْ أَعْطَى مِنْ نَفْسِهِ مَا هُوَ سَائِلُهُمْ لِنَفْسِهِ، وَرَجُلٌ لَمْ يُقَدِّمْ يَدًا وَلَا رِجْلًا حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ قَدَّمَهَا أَوْ فِي مَعْصِيَتِهِ، وَرَجُلٌ لَمْ يَعْصِ أَخَاهُ بِعَيْبٍ حَتَّى يَتْرَكَ ذَلِكَ الْعَيْبَ مِنْ نَفْسِهِ^(٦).
- ١١٠- إِنَّ الْمَلِكَ الْمُوَكَّلَ عَلَى الْعَبْدِ يَكْتُبُ فِي صَحِيفَةِ أَعْمَالِهِ، فَأَمْلُوا بِأَوَّلِهَا وَآخِرِهَا خَيْرًا يُغْفَرَ لَكُمْ مَا بَيْنَ ذَلِكَ^(٧).

عن محمد بن مسلم عن الإمام الصادق عن أبيه عنه عليه السلام، بحار الأنوار: ج ٧١ ص ٢٠٨ ح ٤٤؛ الصواعق المحرقة: ص ١٣١ عن الإمام علي عليه السلام، تاريخ دمشق: ج ٤١ ص ٤٠٩ عن أبي حمزة عن الإمام الباقر عنه عليه السلام.

١- بحار الأنوار: ٧٥/١٣٦/١١.

٢- بحار الأنوار: ٦٨/٣٣٦/٢٢.

٣- تحف العقول: ٢٨١.

٤- الأمالي للصديق: ٥٨٢/٨٠٢.

٥- تحف العقول: ٢٨٢.

٦- تحف العقول: ٢٨٠. بحار الأنوار: ٧٥/١٤٠/٣٢.

٧- بحار الأنوار: ٥/٣٢٩/٢٥.

- ١١١ - الرِّضَا بِمَكْرُوهِ الْقَضَاءِ مِنْ أَعْلَى دَرَجَاتِ الْيَقِينِ^(١).
- ١١٢ - الرِّضَا بِالْمَكْرُوهِ أَرْفَعُ دَرَجَاتِ الْمُتَّقِينَ^(٢).
- ١١٣ - أَعْلَى دَرَجَةِ الزُّهْدِ أَدْنَى دَرَجَةِ الْوَرَعِ، وَأَعْلَى دَرَجَةِ الْوَرَعِ أَدْنَى دَرَجَةِ الْيَقِينِ، وَأَعْلَى دَرَجَةِ الْيَقِينِ أَدْنَى دَرَجَةِ الرِّضَا^(٣).
- ١١٤ - إِنَّ الْكَرِيمَ يَتَّبِعُ بِفَضْلِهِ، وَاللَّيْمَ يَفْتَخِرُ بِمُلْكِهِ^(٤).
- ١١٥ - مَنْ كَرَّمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا^(٥).
- ١١٦ - مَنْ قَنَعَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ فَهُوَ مِنْ أَغْنَى النَّاسِ^(٦).
- ١١٧ - لَا يَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ تَقْوَى، وَكَيْفَ يَقِلُّ مَا يُتَقَبَّلُ^(٧).
- ١١٨ - لَا حَسَبَ لِقَرْشِيٍّ وَلَا لِعَرَبِيٍّ إِلَّا بِتَوَاضُعٍ، وَلَا كَرَمٍ إِلَّا بِتَقْوَى، وَلَا عَمَلٍ إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَلَا عِبَادَةٍ إِلَّا بِالتَّفَقُّهِ^(٨).
- ١١٩ - كَمْ مِنْ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ، وَكَمْ مِنْ مَعْرُورٍ بِحُسْنِ السَّيْرِ عَلَيْهِ، وَكَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ^(٩).
- ١٢٠ - نَظَرُ الْمُؤْمِنِ فِي وَجْهِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ لِلْمَوَدَّةِ وَالْمَحَبَّةِ لَهُ عِبَادَةٌ^(١٠).

١ - التمهيد: ٦٠ / ١٣١.

٢ - بحار الأنوار: ٧٩ / ١٣٤ / ١٧.

٣ - الكافي: ٢ / ١٢٨ / ٤.

٤ - الدرة الباهرة: ٢٧.

٥ - تحف العقول: ٢٧٨.

٦ - تحف العقول: ٢٧٩.

٧ - تحف العقول: ٢٧٩.

٨ - تحف العقول: ٢٨٠.

٩ - تحف العقول: ٢٨٠.

١٠ - تحف العقول: ٢٨٠.

١٢١- مَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ مِنْ عِفَّةِ بَطْنٍ وَفَرْجٍ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ^(١).

١٢٢- آيَاتُ الْقُرْآنِ خَزَائِنُ الْعِلْمِ، فَكُلَّمَا فَتَحْتَ خَزَانَةً فَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَنْظُرَ فِيهَا^(٢).

١٢٣- لَا إِيْمَانَ لِمَنْ لَا صَبْرَ لَهُ^(٣).

١٢٤- أَفْعَلِ الْخَيْرِ إِلَى كُلِّ مَنْ طَلَبَهُ مِنْكَ؛ فَإِنْ كَانَ أَهْلُهُ فَقَدْ أَصَبْتَ مَوْضِعَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بِأَهْلٍ كُنْتَ أَنْتَ أَهْلُهُ^(٤).

١٢٥- فَأَمَّا حَقُّ اللَّهِ الْأَكْبَرُ عَلَيْكَ: فَأَنْ تَعْبُدَهُ، لَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ بِإِخْلَاصٍ جَعَلَ لَكَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَكْفِيكَ أَمْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ^(٥).

١٢٦- حَقُّ الصَّغِيرِ: رَحْمَتُهُ فِي تَعْلِيمِهِ، وَالْعَفْوُ عَنْهُ، وَالسَّتْرُ عَلَيْهِ، وَالرَّفْقُ بِهِ، وَالْمَعُونَةُ لَهُ^(٦).

١٢٧- حَقُّ الْكَبِيرِ: تَوْقِيرُهُ لِسَنِّهِ، وَإِجْلَالُهُ لِتَقَدُّمِهِ فِي الْإِسْلَامِ قَبْلَكَ، وَتَرْكُ مُقَابَلَتِهِ عِنْدَ الْخِصَامِ، وَلَا تَسْبِقْهُ إِلَى طَرِيقٍ وَلَا تَتَقَدَّمْهُ، وَلَا تَسْتَجْهَلْهُ، وَإِنْ جَهِلَ عَلَيْكَ احْتِمَلْتَهُ وَأَكْرَمْتَهُ لِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحُرْمَتِهِ^(٧).

١٢٨- حَقُّ السَّمْعِ: تَنْزِيهُهُ عَنْ سَمَاعِ الْغَيْبَةِ، وَسَمَاعِ مَا لَا يَحِلُّ سَمَاعُهُ^(٨).

١- تحف العقول: ٢٨٠.

٢- بحار الأنوار: ٨٩ / ٢١٦ / ٢٢.

٣- الكافي: ج ٢ ص ٨٩ ح ٤، الارشاد: ج ١ ص ٢٩٧ عن الإمام علي (عليه السلام)، عيون اخبار الرضا (عليه السلام): ج ٢ ص ٤٤ ح ١٥٥، الخصال: ص ٣١٥ ح ٩٥ كلاهما عن أحمد بن عامر الطائي عن الإمام الرضا عن آبائه عن الإمام علي (عليه السلام)، بحار الأنوار: ج ٦٦ ص ٣٧٦ ح ٢٧، المصنّف لعبد الرزاق: ج ١١ ص ٤٦٩ ح ٢١٠٣١ عن عكرمة عن الإمام علي (عليه السلام).

٤- تحف العقول: ٢٨٠.

٥- بحار الأنوار: ٧١ / ٣ / ١.

٦- كتاب من لا يحضره الفقيه: ٢ / ٦٢٥ / ٣٢١٤.

٧- الخصال: الشيخ الصدوق، ص ٥٧.

٨- كتاب من لا يحضره الفقيه: ٢ / ٦٢٥ / ٣٢١٤.

١٢٩- أَمَّا حَقُّ جَارِكَ: فَحِفْظُهُ غَائِبًا، وَإِكْرَامُهُ شَاهِدًا، وَنُصْرَتُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، وَلَا تَتَّبِعْ لَهُ عَوْرَةً، فَإِنْ عَلِمْتَ عَلَيْهِ سُوءًا سَتَرْتَهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ عَلِمْتَ أَنَّهُ يَقْبَلُ نَصِيحَتَكَ نَصَحْتَهُ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، وَلَا تُسْلِمُهُ عِنْدَ شَدِيدَةٍ، وَتُقِيلُ عَثْرَتَهُ، وَتَغْفِرُ ذَنْبَهُ، وَتُعَاشِرُهُ مُعَاشَرَةً كَرِيمَةً^(١).

١٣٠- :إِيَّاكَ... أَنْ تُصَاحِبَ الْأَحَقَّ أَوْ تُخَالِطَهُ، وَاهْجُرْهُ وَلَا تُخَادِثْهُ؛ فَإِنَّ الْأَحَقَّ هُجْنَةٌ غَائِبًا كَانَ أَوْ حَاضِرًا، إِنْ تَكَلَّمَ فَضَحَهُ حُكْمُهُ، وَإِنْ سَكَتَ قَصَرَ بِهِ عِيَّهُ، وَإِنْ عَمَلَ أَفْسَدَ، وَإِنْ اسْتُرِعِيَ أَضَاعَ. لَا عِلْمُهُ مِنْ نَفْسِهِ يُغْنِيهِ، وَلَا عِلْمُ غَيْرِهِ يَنْفَعُهُ، وَلَا يُطِيعُ نَاصِحَهُ، وَلَا يَسْتَرِيحُ مَقَارِنُهُ، تَوَدُّ أُمُّهُ أَنَّهَا تَكَلَّتَهُ، وَأَمْرَأَتُهُ أَنَّهَا فَقَدَتْهُ، وَجَارُهُ بَعْدَ دَارِهِ، وَجَلِيسُهُ الْوَحْدَةَ مِنْ مُجَالَسَتِهِ. إِنْ كَانَ أَصْغَرَ مَنْ فِي الْمَجْلِسِ أَعْنَى مَنْ فَوْقَهُ، وَإِنْ كَانَ أَكْبَرَهُمْ أَفْسَدَ مَنْ دُونَهُ^(٢).

١٣١- وَأَمَّا حَقُّ الزَّوْجَةِ: فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَهَا لَكَ سَكَنًا وَأُنْسًا، فَتَعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكَ فَتُكْرِمُهَا وَتَرْفُقَ بِهَا، وَإِنْ كَانَ حَقُّكَ عَلَيْهَا أَوْ جَبَّ فَإِنَّ لَهَا عَلَيْكَ أَنْ تَرْحَمَهَا^(٣).

١٣٢- حَقُّ السَّائِلِ: إِعْطَاؤُهُ عَلَى قَدْرِ حَاجَتِهِ^(٤).

١٣٣- الذُّنُوبُ الَّتِي تَرُدُّ الدُّعَاءَ: سُوءُ النِّيَّةِ، وَخُبْثُ السَّرِيرَةِ، وَالنِّفَاقُ مَعَ الْإِخْوَانِ، وَتَرْكُ التَّصَدِيقِ بِالْإِجَابَةِ، وَتَأْخِيرُ الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَاتِ حَتَّى تَذْهَبَ أَوْقَاتُهَا، وَتَرْكُ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْبِرِّ وَالصَّدَقَةِ، وَاسْتِعْمَالُ الْبَذَاءِ، وَالْفُحْشِ فِي الْقَوْلِ^(٥).

١- الخصال: ١/٥٦٩.

٢- الأمالي للطوسي: ١٢٦٨/٦١٣.

٣- بحار الأنوار: ١/٥/٧١.

٤- الخصال: ١/٥٧٠.

٥- معاني الأخبار: ٢/٢٧١.

١٣٤- الذُّنُوبُ الَّتِي تَحْبِسُ غَيْثَ السَّمَاءِ: جَوْرُ الْحُكَّامِ فِي الْقَضَاءِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، وَكِتْمَانُ الشَّهَادَةِ^(١).

١٣٥- اللَّجَاجَةُ مَقْرُونَةٌ بِالْجَهَالَةِ، وَالْحَمِيَّةُ مَوْصُولَةٌ بِالْبَلِيَّةِ، وَسَبَبُ الرَّفْعَةِ التَّوَاضُّعُ^(٢).

١٣٦- أَمَّا حَقُّ جَلِيسِكَ: فَإِنْ تُلِينَ لَهُ جَانِبَكَ، وَتُنْصِفَهُ فِي مُجَازَاةِ اللَّفْظِ، وَلَا تَقُومَ مِنْ مَجْلِسِكَ إِلَّا بِإِذْنِهِ. وَمَنْ يَجْلِسُ إِلَيْكَ يَجُوزُ لَهُ الْقِيَامُ عَنْكَ بِغَيْرِ إِذْنِكَ، وَتَنْسَى زَلَّاتِهِ، وَتَحْفَظُ خَيْرَاتِهِ، وَلَا تُسْمِعُهُ إِلَّا خَيْرًا^(٣).

١٣٧- رُبَّ مَغْرُورٍ مَفْتُونٍ يُصْبِحُ لَاهِيًا ضَاحِكًا يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، وَهُوَ لَا يَدْرِي لَعَلَّهُ قَدْ سَبَقَتْ لَهُ مِنَ اللَّهِ سَخَطَةٌ يَصْلِي بِهَا نَارَ جَهَنَّمَ^(٤).

١- معاني الأخبار: ٢٧١ / ٢.

٢- نزهة الناظر: ص ٩١ ح ١٤.

٣- الخصال: ص ٥٦٩.

٤- تحف العقول: ٢٨٢.

خلاصة الباب الخامس

الباب الخامس والأخير من هذا الكتاب كان موسومًا بـ «الإمام زين العابدين (عليه السلام) شهادة وخلود»، وقد قسمته إلى فصلين، وهما:

١ - الفصل الأول: كان بعنوان: «شهادة الإمام زين العابدين (عليه السلام)»، تضمن البحث فيه حول وفاته (عليه السلام)؛ وهل أنه مات حتف أنفه أم مسمومًا؟ اختلف المؤرخون والأعلام حول ذلك، فذهب بعضهم إلى أن الإمام (عليه السلام) مات حتف أنفه؛ وذهب القسم الآخر إلى أنه مات مسمومًا، وأن الذي أمر باغتياله بالسم هو الوليد بن عبد الملك، وكان المباشر لتنفيذ الاغتيال أخوه هشام بن عبد الملك، وهذا الرأي هو الأرجح المؤيد بالقرائن والدوافع التي تؤيد فرضية قتل الإمام (عليه السلام) بالسم، فقد اتصف الوليد بالبطش والقسوة والشدة والظلم والتعسف في تعامله مع عامة الناس، وقتله لكل من يخالفه أو يعارضه في الرأي.

وحاكم كهذا عرف بأنه شديد البغض والعداء لأهل البيت، وفي طليعتهم الإمام زين العابدين (عليه السلام) الذي كان يحقد عليه أشد الحقد، ويتعامل معه تعاملًا سيئًا جدًّا، وكان يتوجس منه خيفة، ويزداد غيظًا كلما رأى التفاف الناس حوله في المدينة وما حولها، وكان يرى - كما نقل عنه الزهري - أن حكمه لن يستمر مع وجود الإمام حيًّا؛ هذه القرائن والدوافع ترجّح القول بأن الإمام أُغتيل بالسم الذي دسَّ إليه في شراب أو غيره وبأوامر صادرة مباشرة من الوليد بن عبد الملك، وأن الذي نفَّذ الجريمة هو أخوه هشام بن عبد الملك.

وبدأنا هذا الفصل بالإشارة إلى الأخبار والروايات التي تدل على أن الإمام زين العابدين (عليه السلام) قد نعى نفسه لما علم باقتراب أجله، ودنو رحيله

من هذه الدنيا الفانية، وقد أخبر ولده الإمام الباقر (عليه السلام) وأهل بيته بقرب مفارقتهم، ونصّ الإمام (عليه السلام) عند دنو رحيله على اسم الإمام اللاحق الذي يأتي من بعده، فأوصى بالإمامة إلى ولده الإمام محمد الباقر (عليه السلام)، وأوصى شيعته وخلّص أصحابه وثقاته بوجوب الرجوع إليه، ولزوم طاعته، واتباع أوامره واجتناب نواهيه، وأخذ أحكام الدين منه، والاقتداء بهديه، واقتباس العلوم والمعارف الدينية منه.

ثم تطرقنا إلى وصايا الإمام زين العابدين (عليه السلام) عند احتضاره إلى ابنه الإمام الباقر (عليه السلام)، وأشرنا إلى أهم ما احتوته تلك الوصايا، وكان مما أوصاه أن يصبر على الحق، وأن يقف مع المظلوم ضد الظالم، وأن يتولّى نفسه تغسيله وتكفينه وسائر شؤون، وأن يُصَلِّي عليه، وأن يواريه الثرى في مقبرة البقيع، وقد نفّذ الإمام الباقر (عليه السلام) تلك الوصايا والتوجيهات بكل دقة وإخلاص.

وبعد أن قبض الإمام زين العابدين (عليه السلام) وفاضت روحه الطاهرة إلى بارئها حيث جنان الخلد بعد أن أبلى بلاءً حسنًا، وجاهد جهادًا عظيمًا، وجسّد بأخلاقه الرفيعة أخلاق الإسلام، وقام بجهود كبيرة في سبيل بسط العلم، وتدرّيس طلاب العلم العلوم والمعارف الدينية، وتربية الفقهاء والعلماء والرواة، وترسيخ القيم والمبادئ والأخلاق في المجتمع؛ مضى إلى ربه شاهدًا وشهيدًا. وكانت روحه الطاهرة قد عرجت إلى خالقها في اليوم الخامس والعشرين من شهر محرم الحرام من سنة خمس وتسعين عن سبع وخمسين سنة على أصح الأقوال.

وبعد الانتهاء من تجهيز جثمان الإمام الطاهر هبّ المسلمون قاطبةً لتشييعه نحو مأواه الأخير في البقيع، وحظي الإمام (عليه السلام) بتشييع مهيب لم تشهد له المدينة نظيرًا؛ فشيعه الصالح والطالح، والبرُّ والفاجر، والمؤمن والمنافق،

والتفّ الناس حول نعشه الطاهر، وهم في حالة من البكاء والنحيب والجزع والحزن والألم والأسى على رحيل هذا الإمام العظيم.

لقد كان الإمام مدرسة في الإيمان والتقوى، وفي الأخلاق والآداب، فأحبه الناس على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم، فلما مات أظهروا الحزن والأسى والألم على رحيله، وانهال أهل المدينة ومن حولها زرافات زرافات في تشييعه، والتشرف بحمل نعشه المبارك، والمشاركة في هذا الموكب الحزين.

وبعد مواراته الثرى هُرع المسلمون إلى تقديم واجب العزاء إلى ابنه الإمام الباقر (عليه السلام)، وأخذوا يعزونه ويسلون، ويعظّمون له الأجر بالمصاب الجلل، ويشاركونه اللوعة والحزن والأسى والألم بفقد الإمام زين العابدين (عليه السلام).

٢- الفصل الثاني: أسميته «حَكَم ومواعظ بليغة للإمام زين العابدين (عليه السلام)»، واحتوى على طائفة مختارة من مواعظه البليغة، وقصار حِكَمه النفيسة؛ فقد روي عنه (عليه السلام) في كتب الحديث والتاريخ والسيرة حِكَم نفيسة، ومواعظ بليغة، ودرر ثمينة، وأقوال فصيحة، وكلمات مؤثرة، وتحتوي تلك المواعظ والحِكَم والدرر الفاخرة على الموعدة الحسنة، والنصيحة الصادقة، والتوجيه التربوي، والإرشاد الأخلاقي؛ وتحض على تزكية النفس، وتهذيب الروح، وتنقية الفؤاد؛ وفيها إنارة للعقل، وإثراء للفكر، وإغناء للمعرفة، وإيقاظ للوعي، وإعلاء لقيم الأخلاق الفاضلة والآداب العامة.

وتضمنت هذه الحِكَم النفيسة والمواعظ البليغة مفاهيم عقدية ومعرفية وفكرية وأخلاقية وتربوية وسلوكية مهمة، وعليها الاستفادة من هذه الدرر الثمينة والجواهر النفيسة، واللالئ الجميلة؛ والعمل بما جاء فيها من توجيهات ووصايا وإرشادات كي نبني أنفسنا روحياً ومعنوياً وأخلاقياً، وننمّي روح الحكمة والبصيرة في تفكيرنا وفكرنا، ونعزّز صفة التعقل والتوازن

في سلوكنا وتصرفاتنا وأفعالنا، وفي جميع شؤون حياتنا الخاصة والعامة، بما يساعدنا على الارتقاء نحو سلام المجد والكمال.

واحتوى هذا الفصل على طائفة مختارة من قصار حِكَمه، ودرره النفيسة، ومواعظه البليغة، ووصاياہ الثمينة، وتوجيهاته السديدة، وإرشاداته المهمة؛ وهو ما يجب أن يدفع كل إنسان يبحث عن الارتقاء بنفسه وعقله وفكره أن يستلهم من هذه الحِكَم والدرر والآلئ الدروس والعبر بما يفيد في دنياه وينفعه في آخرته.

وكانت هذه الحِكَم الذهبية، والدرر الفاخرة، والجواهر النادرة، والآلئ النفيسة خير مسك لختام هذا الكتاب عن حياة وسيرة الإمام العظيم علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام.

والحمد لله ربّ العالمين

الخاتمة

نتائج وتوصيات الدراسة

أولاً - نتائج الدراسة.

ثانياً - توصيات الدراسة.



نتائج الدراسة

بعد إكمال هذه الدراسة العلمية عن حياة وسيرة الإمام زين العابدين عليه السلام، وبعد الانتهاء من قراءة هذه السيرة المباركة بصورة تحليلية من أبعادها المختلفة: الروحية والأخلاقية والتربوية والعلمية والفكرية والسياسية والاجتماعية والإنسانية، توصل الباحث إلى النتائج المهمة الآتية:

١ - أثبتت هذه الدراسة العلمية بصورة قطعية أن شخصية الإمام زين العابدين عليه السلام شخصية كاملة ومتميزة ومثالية من جميع الأبعاد والجوانب: الروحية والمعنوية والأخلاقية والإنسانية والعلمية والفكرية والثقافية والمعرفية والسلوكية وغيرها؛ وأنه مثال وأنموذج للإنسان الكامل، والشخصية المتميزة والمثالية والربانية.

٢ - اتضح من هذه الدراسة أن الإمام زين العابدين عليه السلام أصبح في مدينة الرسول ﷺ - بعدما أنجاه الله من فاجعة كربلاء - مطمح الأنظار، ومهوى الأفئدة، وحديث الألسن، وملء المسامع والعيون؛ لأنه البقية الباقية من سلالة عترة أهل البيت الأطهار بعدما استشهدوا جميعاً في واقعة كربلاء الأليمة؛ ولما عرف عنه من قوة إيمانه، وكثرة عباداته، وطول سجوده، وسعة علمه ومعرفته، وعظمة أخلاقه وآدابه، وتعدد مناقبه وفضائله.

٣ - أثبتت هذه الدراسة بالقطع واليقين إمامة الإمام زين العابدين عليه السلام بعد استشهاد أبيه الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء سنة ٦١ هـ، واستمر حاملاً راية الإسلام، ومتحمّلاً أعباء الإمامة حتى شهادته سنة ٩٥ هـ؛ لثبوت النص المتواتر عليه من جده وأبيه بالإمامة، كما أنه عليه السلام كان أفضل أهل زمانه علماً وعملاً وكماً، ولظهور علمه وفضله وشرفه، وتفوقه على غيره في جميع العلوم والمعارف؛ ولذا أصبح الإمام عليه السلام بعد شهادة أبيه هو الإمام

الشرعي للمسلمين سواء قلنا بالنص الصحيح الصريح لمن يشترط النص على تعيين الإمام مفترض الطاعة، أو قلنا باجتماع المؤهلات والصفات لمن يقول بها في تعيين الإمام والتي لم تجتمع في غيره أيام إمامته.

٤- أجمع معاصرو الإمام زين العابدين عليه السلام على أنه كان أعلم وأفقه وأفضل وأحسن أهل زمانه بلا منازع ولا مضارع، كما اتفقوا جميعاً على تعظيمه وتبجيله، والإشادة بفضله وشرفه ومكانته الرفيعة، والإقرار له بغزارة علومه، وسعة معارفه، وعظم هيئته، وتمتعه بسمات وصفات فريدة ونادرة جعلته في طليعة أهل زمانه بما لا يدانيه في العلم والفضل أحد سواه؛ فشاع صيته في الآفاق، وأصبح ملء السمع والبصر، ومقصد العلماء والفقهاء والرواة والمحدثين وغيرهم.

٥- اتفق الأعلام والمؤرخون على اختلاف مشاربهم ومدارسهم ومذاهبهم على أن الإمام زين العابدين عليه السلام هو أفضل أهل زمانه، وأعلمهم في الفقه، وأحسنهم في الأخلاق، وأورعهم في الدين، وأكثرهم في العبادة والتقوى والورع، وأقربهم إلى الله تعالى، كما اتفقوا على أن الإمام عليه السلام كان أفقه علماء عصره، وأكثرهم إحاطة بعلوم الدين، وأعمقهم فهماً بتفسير القرآن وتأويله؛ وهو ما يجعله يتبوأ منصب المرجعية الدينية للناس.

٦- كشفت السيرة الروحية للإمام زين العابدين عليه السلام على أنه كان كثير العبادة والصلاة والدعاء والبكاء والتهجد والتضرع إلى الله تعالى، وبلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد، فعرف بكثرة عباداته، وطول سجدياته لله تعالى، كما عرف بصلواته المتتالية، ووقوفه الطويل بين يدي ربه حتى لقب بزين العابدين وسيد الساجدين؛ وكان من أعبد الناس في زمانه، ويكفي أن تعلم أنه كان يصلي في اليوم واللييلة ألف ركعة، كما كان شديد الخوف والخشية من

الله سبحانه عندما يتهيأ ويستعد للقاء الله تعالى، وانعكست خشيته من الله عز وجل على جوارحه وحركاته، حتى إنه كان يصفّر لونه عند الضوء، وإذا قام إلى الصلاة ارتعدت فرائضه؛ لأنه يقف بين يدي الله سبحانه وتعالى.

٧- أكدت هذه الدراسة على أن الإمام زين العابدين (عليه السلام) قدّم للأمة الإسلامية كنوزاً من المعارف الإسلامية عبر الأدعية الشريفة التي كان يدعو بها، إذ احتوت أدعيته الماثورة على مفاهيم عميقة ومضامين مهمة في العقائد والمعارف الدينية، ومنظومة الأخلاق، وقيم التربية والسلوك، وعُرفت الصحيفة السجادية - والتي تضم أهم أدعيته - بـ «زبور آل محمد» وبـ «إنجيل أهل البيت عليهم السلام»؛ لما احتوته هذه الصحيفة من جوامع الكلم، وغرر الحُكم، وجواهر الفكر، فكانت ولا زالت تعتبر مدرسة في تربية النفوس، وتزكية القلوب، وإثراء العقول.

٨- تميّز الإمام زين العابدين (عليه السلام) في سيرته الروحية بكثرة ما روي عنه من أدعية ومناجاة لله تعالى، وحظيت أدعيته بالشهرة والانتشار لما تميزت به من أسلوب بلاغي جميل، وأدب عربي فصيح، ما كان له وقع كبير في النفوس والقلوب، ومؤثر في العقول والألباب، ويكفي المرء أن يقرأ ما في الصحيفة السجادية من أدعية ماثورة؛ ومما يدل على أهميتها ونفاستها ما كتبه العلماء عنها من عشرات الشروح لها، وقد أحصى المحقق الكبير آغا بزرك الطهراني في كتابه القيم «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» مئة وخمسين شرحاً لها، كما تُرجمت إلى عدة لغات عالمية.

٩- كشفت هذه الدراسة أن الإمام زين العابدين (عليه السلام) انتهج الدعاء وسيلةً للتربية، ومنهجاً لصناعة الوعي عند الإنسان، فاستطاع (عليه السلام) أن يربي جيلاً من الفقهاء والعلماء والرواة والمحدثين والمفسرين على فضائل الأخلاق

ومكارمها، مركزاً في تربيته على وسيلة الدعاء والذكر والمناجاة، وقد تخرّج من مدرسته العلمية أساطين في العلم والمعرفة، وقادة رأي وفكر، وقمم شامخة في مختلف العلوم والمعارف الإسلامية.

١٠ - اتضح من قراءة سيرة الإمام زين العابدين (عليه السلام) الأخلاقية أنه كان مثلاً رائعاً للأخلاق الفاضلة، والقيم الإنسانية العليا، فعُرف (عليه السلام) بمكارم الأخلاق، وطيب المعاشرة، ولين التعامل، وسعة الصدر، وكثرة الكرم والجلود والسخاء، كما كان (عليه السلام) عظيم الحلم، كثير التحمل؛ فكان يقابل الإساءة بالحلم، والسيئة بالحسنة، والإهانة بالعفو، وكان شديد التواضع للفقراء والمساكين والأيتام، وكريماً في عطائه وجواداً في إنفاقه؛ وكثير الإحسان إلى الفقراء والمساكين والمعوذين، وكان يسعى بنفسه في قضاء حوائج المحتاجين، ومساعدة اليتامى والأرامل، وكان يحمل إليهم المعونات والمساعدات ليلاً ليوصلها لهم من دون أن يعرفوه.

١١ - كشفت هذه الدراسة الجانب الإنساني في شخصية الإمام زين العابدين (عليه السلام)، فقد تميز بأعظم الأخلاق، وأرقى قيم الإنسانية، ومنتهى أخلاقيات التسامح، وسمو النفس ورفعتها، ورحابة الصدر وسعته، ولين العريكة، وبعد الأفق والنظر، وكان من أخلاقه الرفيعة رأفته وشفقته ورفقه حتى بخصومه وأعدائه، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على عظيم إنسانيته، وقوة نبلة، وشدة تسامحه؛ فعرف الإمام بالرأفة والشفقة والرحمة والإحسان إلى عامة الناس، ولم يقتصر ذلك على المحيطين به أو القريبين منه، بل إنه كان رؤوفاً ورحيماً حتى بأعدائه، وهو الأمر الذي أثار فيهم إيجابياً، وجعل كثيراً منهم يغيّر نظرتهم للإمام ويعلن حبه ومودته له بعدما كان يعلن عداوته تجاهه.

١٢- أشارت هذه الدراسة إلى جانب آخر من الجوانب الإنسانية في شخصية الإمام زين العابدين عليه السلام، وهو ارتقاؤه بالعبود والإماء؛ فقد تعامل الإمام عليه السلام معهم بإنسانية وأخلاق رفيعة، ومن تجليات هذا التعامل الإنساني: اهتمامه بتربيتهم على القيم الدينية والأخلاقية، وتعليمهم أهم مسائل وأحكام الإسلام، ثم عتقهم بعد ذلك؛ كما اتصف تعامله معهم بالرحمة والعفو والإحسان والصفح والتواضع والتسامح، واتخذ الإمام منهج عتقهم من الرق وتحريرهم من العبودية، فكان يقيم محفلاً سنوياً لعتقهم من أجل نيل الثواب والأجر، وأيضاً تشجيع الآخرين على العتق، وذلك لتحقيق حرية الإنسان، والتخلص من العبودية، وكان الإمام عليه السلام يشتري كثيراً من العبيد ويعيشون معه مدة من الزمن، ثم يطلق سراحهم ويعتقهم ليعيشوا أحراراً، ومن أبرز التجليات الإنسانية أيضاً تزوجه من الإماء رغم ما للإمام من مقام رفيع، ومنزلة علمية متقدمة، ونسب عربي أصيل؛ لأنه أراد أن يثبت الأحكام الشرعية، ومقاصد الإسلام الكبرى، وتخليص المجتمع من الروح الطبقية والقبلية الخاطئة.

١٣- تبين من قراءة سيرته الروحية والأخلاقية أنه كان شديد الاجتهاد في العبادة، وكثير الصلاة والصوم والحج، ودائم الدعاء والمناجاة والتهجد لله سبحانه، وكان ملازماً للقرآن الكريم، ومفسراً له، وكان زاهداً في الدنيا وما فيها من متاع وملذات، ومُعْرِضاً عن جميع مباحجها وزخارفها، مؤثراً الآخرة على الدنيا، وراغباً فيما عند الله سبحانه، فما عنده خير وأبقى.

١٤- أكدت هذه الدراسة على أن المنظومة القيمية والأخلاقية التي دعا إليها الإسلام ورغب فيها وحثَّ عليها تؤكد على وجوب التحلي بمنظومة القيم الأخلاقية، واجتناب الإساءة أو التجريح أو التحقير أو الإيذاء ضد الآخرين.

١٥ - شددت هذه الدراسة على ضرورة الاقتداء والتأسي بالمنهج الأخلاقي المتكامل لسيرة الإمام زين العابدين (عليه السلام) منهجاً للتسامح والرقى الإنساني والأخلاقي والفكري والاجتماعي، وحاجة المجتمع المسلم للتخلي والالتزام بتلك الأخلاق الإسلامية الرفيعة حتى يتعزز مفهوم التسامح الأخلاقي والارتقاء الإنساني في المجتمع.

١٦ - كشفت سيرة الإمام زين العابدين (عليه السلام) العلمية، وآثاره الدينية والعلمية والمعرفية المتنوعة، غزارة علومه، وسعة معارفه، وقوة بلاغته وفصاحته وبيانه، واشتهر (عليه السلام) في زمانه شهرة عظيمة بعلو مقامه العلمية، ومكانته الدينية الرفيعة، وبلاغته التي حيرت العقول وأدهشت الألباب؛ فشاع صيته في الآفاق القريبة والبعيدة، وأصبح محط الأنظار، ومقصد الأعلام والأعيان، ومهوى العلماء والفقهاء والرواة والمفسرين والمحدثين وسواهم.

١٧ - تُبين الصحيفة السجادية الكاملة - والتي تضم المجموعة الكاملة لأدعيته (عليه السلام) ومناجاته - عمقه العلمي، وتميزه بالفصاحة والبلاغة والبيان؛ إذ تعد بحق جامعة للأدب العربي الفصيح، وتأتي بعد نهج البلاغة من حيث القيمة البلاغية لها، وأصبحت من الكتب المشهورة والمتداولة بين المسلمين، وحظيت باهتمام العلماء والباحثين، وقاموا بدراساتها وشرحها، والاستفادة مما احتوته من معارف وعلوم وكنوز معرفية مهمة، وذاع صيتها واشتهرت شهرة عظيمة؛ وهي على جانب عظيم من الأهمية لما تحتويه من نفائس وكنوز دينية، وكل من يقرأها أو يتأمل في معانيها يعرف شيئاً من مكانة الإمام (عليه السلام) العلمية.

١٨ - أكدت هذه الدراسة على أن من أهم الآثار العلمية البارزة للإمام زين العابدين (عليه السلام) رسالة الحقوق، وهي سفر عظيم ووثيقة علمية وحقوقية هامة. تناولت الحقوق والواجبات، وهي أول وثيقة مدونة في حقوق الإنسان

قبل أن يتحدث العالم بمئات السنين عن وثيقة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام ١٩٤٨م؛ ما يوضح لنا الرؤية العميقة والدقيقة للإمام زين العابدين عليه السلام عن ثقافة حقوق الإنسان، وسبقه للجميع في هذا المجال الحقوقي المهم.

١٩- كشفت هذه الدراسة على أن الإمام زين العابدين عليه السلام يعد مؤسساً لثقافة حقوق الإنسان؛ فهو أول من وضع رسالة شاملة لحقوق الإنسان قبل أربعة عشر قرناً من الزمان؛ لإدراكه أهمية احترام حقوق الإنسان المعنوية والمادية، وأنها تشكّل المنطلق لبناء نظام اجتماعي متماسك، وتحقيق العدالة الاجتماعية، وضمان سلامة العلاقات الفردية والاجتماعية في إطار من الاحترام المتبادل، والتسامح مع الآخر، وضمان حقوق المخالف سواء في المذهب أو الدين أو الفكر أو المنهج.

٢٠- ساهم الإمام زين العابدين عليه السلام في إثراء العلوم والمعارف الإسلامية كعلم الكلام، وعلم التفسير، وعلم الحديث، وعلم الفقه، وكانت له عليه السلام مساهمات مهمة وعميقة في إثراء وإغناء المعارف الدينية، وتعميق المفاهيم الإسلامية، وتوضيح آراء مدرسة أهل البيت في مختلف الأبعاد العقيدية والفقهية والحديثية والتفسيرية والأخلاقية والتربوية والفكرية والعلمية وغيرها.

٢١- أكدت هذه الدراسة على أن الإمام زين العابدين عليه السلام اهتم اهتماماً بالغاً ببيان العقائد الحقة، والرد على الشبهات والإشكاليات العقائدية والكلامية التي كان يثيرها الملاحدة والزنادقة والمبتدعة وغيرهم من أصحاب المقالات الفاسدة والباطلة للتأثير على الناس، وحرّفهم عن العقائد الصحيحة؛ فمن جهة ركّز على بناء العقائد الحقة، ومن الجهة الأخرى هدم العقائد الفاسدة.

٢٢- أوضحت هذه الدراسة أضرار ومخاطر التعصب بمختلف أشكاله على السلم الاجتماعي والعلاقات البينية بين مكونات المجتمع؛ ولذا واجه الإمام زين العابدين (عليه السلام) التعصب المذموم نظرياً عبر أقواله وكلماته التي انتقد فيها كل ما يدعو إلى العصبية والتعصب تجاه الآخرين، وعملياً عبر سلوكياته وأفعاله كمجالسة العبيد والموالي، والتزوج بالإماء وغيرها من سبل المواجهة والتصدي للعصبية والتعصب القومي والعنصري والعنصري. ٢٣- أسهم الإمام زين العابدين (عليه السلام) إسهاماً كبيراً في العناية بالقرآن الكريم وتعاهده، وتفسير سوره الشريفة وتأويل غوامضه، وبيان أسرار آياته ودقائق معانيه، وكان (عليه السلام) يخصص جزءاً من وقته لتفسير آيات القرآن الكريم؛ ولذا يعد الإمام من أئمة المفسرين للقرآن الكريم، كما أنه سيد القراء وأفضلهم؛ كما عُنِيَ عناية كبيرة بعلوم القرآن الكريم، وساهم في إثرائها وتوسعتها، فبالإضافة لعلم التفسير اهتمَّ الإمام (عليه السلام) ببيان فضائل القرآن، وأسباب النزول، والقراءات القرآنية، والناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني، والقصص في القرآن الكريم.

٢٤- اتضح من هذه الدراسة أن الإمام زين العابدين (عليه السلام) قام بدور كبير في نشر الحديث وتدوينه حتى يحفظ السنة النبوية الشريفة من الاندثار والضياع والنسيان، لما لها من أهمية بالغة في الحفاظ على السنة الشريفة، ومعرفة معالم الدين وأبعاده، واستنباط الأحكام الشرعية، والإحاطة بتفاصيل الشريعة الإسلامية، وبيان العقائد الإسلامية وغيرها؛ ويعد الإمام (عليه السلام) من أعظم الرواة في عصر التابعين وأهمهم، ومن الأئمة الحفاظ للحديث الشريف، وكانت لأحاديثه ورواياته أهمية كبيرة عند علماء الحديث، وروى عنه رواة السنة والشيعه في كتبهم وموسوعاتهم الحديثية والتاريخية؛ والأحاديث المروية

عن طريقه وتلك المنقولة عنه من الروايات الموثوقة، لأنها أخذت من مصدر ثقة وأمين ومأمون على الدين والدنيا.

٢٥- تبين من هذه الدراسة أن الإمام زين العابدين عليه السلام كان يقوم بدور علمي مهم وبارز عبر التدريس والتعليم، فكانت له حلقة خاصة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يلقي فيها دروسه العلمية من فقه وتفسير وعقائد وحديث وغيرها من المعارف الإسلامية على تلامذته وطلابه ورواته وغيرهم من طلاب العلم والمعرفة، فتخرج من حلقاته العلمية عدد من كبار العلماء والفقهاء الذين أثروا بدورهم -فيما بعد- المعارف والعلوم الإسلامية المختلفة.

٢٦- ثبت من هذه الدراسة إعداد وعناية الإمام زين العابدين عليه السلام ببناء صفوة علمية متميزة من الفقهاء والعلماء والرواة والمفسرين وغيرهم، وتأهيل أصحابه وطلابه وتلامذته تربوياً وعلمياً ومعرفياً وفكرياً، من أجل بناء كوادر رسالية وكفاءات علمية في مختلف حقول العلم والمعرفة قادرة على نشر ثقافة الإسلام وأحكامه.

٢٧- اتضح من هذه الدراسة أنه قد تتلمذ على يد الإمام زين العابدين عليه السلام كوكبة كبيرة من كبار العلماء والفقهاء والمحدثين والمفسرين والرواة، ممن كان لهم شرف صحبة الإمام عليه السلام، وحضور مجالسه ودروسه العلمية، ومحاضراته التخصصية، والنهل من علومه ومعارفه الغزيرة، وحفظ أحاديثه ومروياته، وتدوينها في الكتب والرسائل والمصنفات العلمية، وكان فيهم الخُص من أصحابه وثقاته، وكبار الفقهاء، ووجوه العلماء، وأعلام الرواة، وعيون المحدثين، وأبرز المفسرين وغيرهم، وقد نقلوا عنه فقه وعقائد وتفسير أهل البيت إلى مختلف الآفاق القريبة والبعيدة.

٢٨- أثبتت هذه الدراسة قوة المنطق العلمي عند الإمام زين العابدين (عليه السلام) عبر المناظرات والاحتجاجات التي جرت بينه وبين مختلف علماء الفرق والمذاهب والأديان، وأظهرت هذه المناظرات والاحتجاجات مكانة الإمام (عليه السلام) العلمية، وعلو مقامه وفضله وعلمه، وتفوقه في فن المناظرة والاحتجاج، فما ناظره أحد إلا أفحمه بقوة الدليل والحجة؛ ومن جهة أخرى ساهمت هذه المناظرات في رد الشبهات العقائدية والفكرية التي كان يثيرها أصحاب البدع والانحرافات، وتقويض أسسهم الفكرية التي كانوا يرتكزون عليها في آرائهم الاعتقادية ومبنياتهم الفكرية وهدمها.

٢٩- أكدت هذه الدراسة على تصدي الإمام زين العابدين (عليه السلام) القوي والحازم للفرق والتيارات المنحرفة المدعومة من بني أمية، وخصوصاً الجبرية، واتخذ (عليه السلام) مواقف جريئة وحازمة وقوية ضد أصحاب مذهب الجبرية؛ فأبان فساد أفكارهم، وبطلان اعتقاداتهم، كما ردَّ بكل جرأة وشجاعة في غير مناسبة على حكام بني أمية الذين كانوا ينسبون أفعالهم المستنكرة إلى الله تعالى لتبرئة أنفسهم من أعمالهم الظالمة.

٣٠- بينت هذه الدراسة معاناة الإمام زين العابدين (عليه السلام) الشديدة من قبل حكام بني أمية الذين تميزوا بالظلم والجور والعسف، وضيقوا عليه الخناق، ووضعوا عليه العيون لمراقبته ورصد جميع تحركاته وأنشطته وأعماله، وكان للإمام (عليه السلام) مواقف مشهودة معهم، كما كان لهم مواقف مع الإمام يغلب عليها الطابع السلبي.

٣١- عاصر الإمام زين العابدين (عليه السلام) أيام حياته كثيراً من الأحداث السياسية الكبرى، فقد شاهد بنفسه أحداث كربلاء الدامية وما جرى فيها من مأسٍ وفضائع وفجائع رهيبة، ثم ما عاناه أيام الأسر والمحن مع النسوة

والأطفال من العترة النبوية الطاهرة، ثم ما لاقاه من حكام الجور والظلم في زمانه في ظل ستة من الحكام الظلمة، وكان كل حاكم يأتي أسوأ ممن سبقه ما عدا معاوية بن يزيد بن معاوية.

٣٢- تبين من هذه الدراسة أن الأوضاع السياسية في عصر الإمام زين العابدين (عليه السلام) أيام حكم الأمويين تميزت بالدكتاتورية والاستبداد والقمع والقهر السياسي، وإشاعة الظلم والجور، وخصوصاً في عهد الوليد بن عبد الملك الأموي؛ إذ كان جباراً عنيداً، وظلوماً غشوماً، وقاسياً ظالماً (كما وصفه المؤرخون).

٣٣- بينت هذه الدراسة دور الإمام زين العابدين (عليه السلام) المهم في تنمية الوعي السياسي، وبناء ثقافة الحقوق، والحفاظ على الجماعة المؤمنة، وبناء النخب العلمية المؤهلة، والتعريف بمبادئ الإسلام وقيمه في المعاملات والاقتصاد والسياسة والإدارة والاجتماع؛ الأمر الذي جعل حكام بني أمية يتوجسون من دوره التوعوي، ويتخوفون من تأثيره على الرأي العام، فوضعوه تحت المراقبة الشديدة، وتم تهديده بالسجن والقتل مرات عديدة، كما تم استجوابه في مرات أخرى.

٣٤- أوضحت هذه الدراسة مجموعة من المواقف السياسية الهامة للإمام زين العابدين (عليه السلام) في ظل الحكم الأموي الجائر، وكان من أبرزها رفض الاعتراف بشرعية الحكم الأموي الظالم؛ إذ كان يرفض التواصل أو التعامل الإيجابي معهم إلا بقدر ما تفرضه الضرورة والمصلحة العامة والتقية؛ فالإمام كان على طرف نقيض مع حكمهم الظالم، ولم يعطهم أي موقف أو كلمة تدل على إعطائهم أي غطاء شرعي لهم، وانشغل بتوجيه الأمة وإرشادها، ونشر العلوم والمعارف الدينية، وتربية الجماعة المؤمنة، وإصلاح الأخلاق وتهذيب النفوس، وبث الوعي في الأمة.

٣٥- أكدت هذه الدراسة على أن من أعمال الإمام زين العابدين (عليه السلام) السياسية العمل على إصلاح المجتمع، والحيلولة دون انتشار الفساد السياسي والأخلاقي والاقتصادي والاجتماعي بقدر الإمكان والمستطاع؛ ونشر القيم والمبادئ الأخلاقية، والدعوة إلى الفضيلة والتدين، ومواجهة الفساد الاجتماعي، والتحلل الأخلاقي الذي كان يروج له الأمويون لإلهاء الناس عن القضايا المصيرية للأمة، والقضاء على الثورات والاحتجاجات التي اندلعت في كل مكان بعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام).

٣٦- أشارت هذه الدراسة إلى قيام الإمام زين العابدين (عليه السلام) بعدة خطوات سياسية مهمة في مواجهة الاستبداد الأموي وسياسة الحكم القائمة على الجور والظلم، كان من أهمها: إبراز مظلومية أهل البيت إلى الناس، وإيصال رسالة النهضة الحسينية للأمة، وإيجاد نهضة روحية وأخلاقية في المجتمع من خلال أدعيته الغنية بالكنوز والمعارف والمفاهيم المعنوية والتربوية والأخلاقية، والحفاظ على الجماعة المؤمنة من الفتك أو الحبس أو القتل عبر أمرهم بكتمان الأمور المهمة، واستخدام التقية في حال الضرورة، والاهتمام بالوضع الاقتصادي والمعيشي لأصحابه وأتباعه وشيعته من أجل أن يعيشوا بكرامة وغنى عن الآخرين؛ فكان يرعاهم ويتفقد أحوالهم، ويقدم لهم يد المساعدة والمعونة بقدر المستطاع.

٣٧- أثبتت هذه الدراسة أن الإمام زين العابدين (عليه السلام) لم يكن منعزلاً عن الحياة العامة، ولا عن الواقع السياسي للأمة؛ بل كان يعيش قضايا الأمة وهموم المسلمين، ومواقفه السياسية المشهودة من حكام عصره، ومن الأحداث السياسية الكبرى التي حدثت في زمانه يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الإمام كان له رؤية سياسية تتسم بالحكمة والاعتزان والمسؤولية.

٣٨- رجّحت هذه الدراسة بالأدلة والقرائن أن الإمام زين العابدين عليه السلام مضى إلى ربه مسمومًا، وأنه لم يمت حتف أنفه، وأن الذي أمر بسمه هو الوليد بن عبد الملك، وأن الذي نفذ عملية الاغتيال هو أخوه هشام بن الحكم، فقد عرف عن الوليد شدة نضبه وبغضه وحقدّه على الإمام عليه السلام، فكان يحقد عليه أشدّ الحقد، ويتعامل معه تعاملًا سيئًا، وكان يتوجس منه خيفة، ويزداد غيظًا كلما رأى التفاف الناس في المدينة حوله، وكان يرى (كما نقل عنه الزهري) أن حكمه لن يستمر مع وجود الإمام حيًّا، فقرر اغتياله بالسم.

٣٩- دعت هذه الدراسة إلى ضرورة الاستفادة من قصار الحكم والمواعظ البليغة المروية عن الإمام زين العابدين عليه السلام، فقد روي عنه في كتب الحديث والتاريخ والسيرة مواعظ بليغة، وحكم نفيسة، ودرر ثمينة، وكلّيات مؤثرة، وتحتوي تلك المواعظ والحكم والدرر الفاخرة على الموعدة الحسنة، والنصيحة الصادقة، والتوجيه التربوي، والإرشاد المخلص؛ وتحض على تركية النفس، وتهذيب الروح، وتنقية الفؤاد؛ وفيها إضاءة للعقل، وإثراء للفكر، وإغناء للمعرفة، وإيقاظ للوعي، وإعلاء لقيم الأخلاق الفاضلة والآداب العامة.

توصيات الدراسة

في ختام هذه الدراسة العلمية عن حياة وسيرة الإمام علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) يُوصي الباحث بالتوصيات الآتية:

١ - عمل دراسات علمية اختصاصية وشاملة عن سيرة وحياة الإمام زين العابدين (عليه السلام)، لأن هذا المنهج العلمي يجعلها أكثر موضوعية وشمولية ودقة ومنهجية، فمثلاً ما روي عنه في الأدعية والمناجاة من أدعية ثرية بالمعارف الدينية والأخلاقية والتربوية بحاجة إلى دراسات اختصاصية في مختلف أبواب المعرفة وتهذيب النفس وتعديل السلوك، وعطاؤه في علوم القرآن والتفسير يحتاج إلى دراسة اختصاصية وشاملة ومستوعبة لمساهماته الثرية في حقل التفسير والدراسات القرآنية، وكذلك عطاؤه الثري في علم الكلام والعقائد، أو علم الفقه، أو علم الحديث وغيرها مما يحتاج إلى دراسات علمية اختصاصية ومستقلة وشاملة.

٢ - دعوة الحوزات العلمية والجامعات الإسلامية إلى تشجيع وتحفيز طلاب الدراسات العليا على كتابة رسائل الماجستير والدكتوراة عن حياة وسيرة الإمام زين العابدين (عليه السلام)، وباقي أئمة أهل البيت الأطهار (عليهم السلام)، لما في ذلك من تعريف بأئمة الإسلام الكبار، وأعلام الدين والتقوى، ورموز الحق والهدى، وإثراء المعرفة عن هؤلاء الأئمة العظام، والقيادات الإلهية العظيمة.

٣ - إعلان مولد الإمام زين العابدين (عليه السلام) يوماً عالمياً عن حياته وسيرته المباركة، وعمل فعاليات وأنشطة علمية وثقافية وفنية للتعريف بحياة وشخصية هذا الإمام العظيم، مع عرض كل ما كتب عن حياته الشريفة، وبمختلف اللغات العالمية لتعريف العالم به.

٤ - دعوة العلماء والباحثين والكتّاب إلى تأليف مزيد من الدراسات

العلمية والتحليلية الجادة عن حياة الإمام زين العابدين عليه السلام، وعدم الاكتفاء بما كتبه العلماء السابقون عن حياته؛ ففي حياة الإمام عليه السلام وسيرته من الغنى العلمي والفكري الثري، وسعة المخزون الديني ما هو بحاجة إلى التحليل العلمي الرصين، والدراسة العلمية الجادة والمركزة.

٥- إقامة المؤتمرات والمهرجانات والندوات العلمية التي تتناول السيرة العطرة والمسيرة المباركة للإمام زين العابدين عليه السلام، وذلك بهدف استنطاق الآثار العلمية والمعرفية الهائلة التي خلفها الإمام، والاستفادة من التراث العلمي له، وتشجيع الحوار العلمي الهادئ بين النخب العلمية والفكرية، وتبادل الخبرات والتجارب العلمية والمعرفية والثقافية والحضارية.

٦- تأسيس وإنشاء مؤسسات علمية وثقافية وتربوية تعمل على الاهتمام والعناية الخاصة ببناء الشخصيات العلمية من أبناء المجتمع، وبناء كوادر علمية قادرة على خدمة الإسلام، وإدارة المجتمع، ونشر العلوم والمعارف الإسلامية، واستخدام اللغة الحديثة في تسويق الأفكار الدينية إلى الأجيال المعاصرة بما يتناسب مع لغة العصر ومتغيراته.

٧- إنشاء مؤسسات خاصة تُعنى بترجمة تراث الإمام زين العابدين عليه السلام العلمي، وكذا ما كُتب عنه إلى مختلف اللغات العالمية، كي يطلع العالم كله على ملامح العظمة عند هذا الإمام العظيم، وبيان سعة علومه، وغزارة معارفه، بما يساهم في إعلاء قيم العلم والمعرفة الإنسانية.

٨- العمل على كتابة موسوعة علمية متكاملة عن حياة الإمام زين العابدين عليه السلام بحيث تتضمن كل ما ورد عن حياته المباركة، وكل ما كُتب أو دُوِّنَ عن سيرته الشريفة لتكون مرجعاً توثيقياً عنه لخدمة الكتّاب والباحثين، وطلاب المعرفة والعلم والحقيقة.

٩- تأسيس مدارس ومعاهد اختصاصية في تربية النفس وتهذيب الأخلاق وتعديل السلوك اعتماداً على منهج الدعاء الذي اتبعه الإمام زين العابدين (عليه السلام) بوصفه وسيلة مهمة من وسائل التربية؛ إذ تعد التربية بالدعاء من أهم الوسائل في تركية الذات، وتهذيب الروح، وتنمية المعنويات في شخصية الإنسان المسلم، وهو ما يحتاجه أهل هذا الزمان أكثر مما سبق لسيطرة النزعة المادية على النفوس.

١٠- إبراز الجوانب الأخلاقية والإنسانية في سيرة وحياة الإمام زين العابدين (عليه السلام)، وباقي أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، لتعريف العالم أجمع بحياة وسيرة أئمة الحق والهدى، وبيان المنهج الأخلاقي والإنساني لهذه الشخصيات العظيمة، الأمر الذي يساعد على ربط الأجيال الحاضرة والقادمة بأئمة أهل البيت الأطهار (عليهم السلام)، وجذب الناس إليهم، وتقديمهم كقدوات متميزة وصالحة للتأسي والافتداء بهم.

١١- تعزيز المنهج المعنوي والأخلاقي والإنساني في المجتمع عبر استلهم أخلاقيات وسلوكيات الإمام زين العابدين (عليه السلام)، ونشر منهجه التربوي والأخلاقي بين الناس، وتحويل ذلك المنهج المتميز إلى برامج عملية عبر المسرح والتمثيل والأفلام والفن (بمختلف أشكاله) وغيرها، حتى تتحول سيرته الأخلاقية والإنسانية إلى ثقافة عامة، وسلوك اجتماعي عام.

١٢- إدراج رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (عليه السلام) مادة لـ «حقوق الإنسان» في مناهج التعليم والتربية؛ لنشر ثقافة الحقوق بين الطلاب، لما يتركه ذلك من آثار إيجابية على السلوك الفردي والاجتماعي، بما يؤسس لثقافة الحقوق بين الناس، وتعزيز ثقافة التعايش والتسامح في التعامل مع المختلف دينياً ومذهبياً وفكرياً.

١٣ - تفعيل ثقافة العمل التطوعي في المجتمع، والتركيز على أخلاقياته ودوافعه الإنسانية، اقتداءً بسيرة الإمام زين العابدين عليه السلام في هذا المجال الإنساني المهم، فقد عُرف عليه السلام بتعامله الإنساني الراقي مع الفقراء والأيتام والمساكين وغيرهم، وكان يحتفي ويرحب بهم ويكرمهم، وتنمية قيمة العمل الخيري، وتقوية أواصر التراحم الاجتماعي، وتعزيز ثقافة العطاء، وفعل الخير، وبذل المعروف في المجتمع.

١٤ - توظيف واستثمار الوسائل الحديثة في إيصال آثار وتراث الإمام زين العابدين عليه السلام العلمي إلى أمم وشعوب العالم كله، عبر الاستفادة من وسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي، واستخدام اللغة المعاصرة أداة مساعدة لإيصال رسالة الإمام زين العابدين عليه السلام إلى كل الأمم والشعوب في الأرض.

١٥ - تأسيس قنوات خاصة باسم الإمام زين العابدين عليه السلام وبعده لغات عالمية للتعريف بحياته المباركة وسيرته العطرة، فللإعلام الفضائي والتواصل مع الآخرين عبر مواقع التواصل الاجتماعي في هذا العصر أثر فاعل في التأثير على الرأي العام العالمي، وتوجيه الناس نحو الدين، وتعديل أنماط تفكيرهم وأفكارهم نحو أفكار إيجابية ونهضوية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

الفهارس الفنية

- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الآيات الشريفة.
- فهرس المحتويات.
- فهرس الأحاديث والروايات.
- فهرس الأسماء والكنى والألقاب.
- فهرس الأماكن والبلدان والبقاع.



فهرس المصادر والمراجع

١ - خير ما نبتدئ به القرآن الكريم.

(أ)

٢- الآبي، أبو سعد منصور بن الحسين الرازي (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م)، نشر الدر في المحاضرات، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

٣- آل كاشف الغطاء، محمد حسين (ت ١٣٧٣هـ)، أصل الشيعة وأصولها، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٤- آل ياسين، محمد حسن (ت ١٤٢٧هـ)، سيرة الأئمة الاثني عشر: الإمام علي بن الحسين عليه السلام، دار المؤرخ العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.

٥- الإربلي، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (ت ٦٩٣هـ)، كشف الغمة في معرفة الأئمة، دار المرتضى، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٦- الأردبيلي، محمد بن علي (ت ١١٠١هـ)، جامع الرواة، دار الأضواء، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٧- الأسترآبادي النجفي، السيد شرف الدين علي الحسيني، تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة، تحقيق حسين الاستادولي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الطبعة الثانية ١٤١٧هـ.

٨- الإسكافي: محمد بن همام (ت ٣٣٦هـ)، التمهيد، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم - إيران.

- ٩- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق بن موسى (ت ٤٣٠هـ - ١٠٣٨م)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، تحقيق سامي أبو جاهين، دار الحديث، القاهرة - مصر، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- ١٠- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ / ٩٧٦م)، مقاتل الطالبين، شرح وتحقيق السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت - لبنان، غير مذكور عدد الطبعة ولا تاريخها.
- ١١- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ / ٩٧٦م)، الأغاني، دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- ١٢- الأمين، محسن بن عبد الكريم بن علي بن محمد (ت ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)، أعيان الشيعة، حققه وأخرجه وعلّق عليه السيد حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- ١٣- الأمين، محسن بن عبد الكريم بن علي بن محمد (ت ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)، أصدق الأخبار، منشورات مكتبة بصيرتي، قم.
- ١٤- الأنديمشكي، محمد الصالحي، التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري (عليه السلام)، منشورات ذوي القربى، قم، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ. ش.
- ١٥- الأنصاري، مرتضى بن محمد أمين بن مرتضى بن شمس الدين بن محمد شريف (ت ١٨٦٤م)، كتاب المكاسب، مؤسسة النعمان، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ١٦- الإيرواني، باقر، دروس تمهيدية في الفقه الاستدلالي على المذهب الجعفري، مؤسسة الفقه للطباعة والنشر، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- ١٧- ابن أبي جمهور الأحسائي، محمد بن علي بن إبراهيم بن حسن بن إبراهيم (ت ٩٠٩هـ)، عوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

- ١٨- ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد (ت ٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، طبع عام ١٩٦٢م.
- ١٩- ابن أبي شيبة الكوفي، أبو بكر عبدالله بن محمد (ت ٢٣٥هـ)، المصنف، دار قرطبة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ٢٠- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، راجعه وصححه: محمد يوسف الرقاق، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ٢١- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- ٢٢- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠هـ)، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر، بيروت - لبنان.
- ٢٣- ابن أعثم الكوفي، أبو محمد أحمد بن أعثم بن نذير بن حباب بن حبيب الأزدي (ت ٣١٤هـ)، الفتوح، دار الندوة الجديدة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، د.ت. وطبعة دار الأضواء، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- ٢٤- ابن الإمام الصادق، علي بن جعفر، مسائل علي بن جعفر، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- ٢٥- ابن بابويه القمي، علي بن الحسين بن موسى (والد الشيخ الصدوق)، (ت ٣٢٩هـ)، فقه الرضا، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٢٦- ابن البطريق الحلي، يحيى بن الحسن الأسدي (ت ٦٠٠هـ)، عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.
 ٢٧- ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ)، صفة الصفوة، تحقيق د. عبدالحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٢٨- ابن الجوزي، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٢٩- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)، تهذيب التهذيب، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، طبع عام ١٩٩٦م.

٣٠- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)، تقريب التهذيب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٣١- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)، فتح الباري: شرح صحيح البخاري، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.

٣٢- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

٣٣- ابن حجر الهيتمي، أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن

حجر الأنصاري المكي (ت ٩٧٤ هـ)، الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، اعتنى به وراجعته كمال مرعي ومحمد إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

٣٤- ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي (ت ٥٦٢ هـ)، التذكرة الحمدونية، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦ م.

٣٥- ابن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي (ت ٢٤١ هـ / ٨٥٥ م)، مسند أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت - لبنان.

٣٦- ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت - لبنان.

٣٧- ابن داوود الحلي، تقي الدين أبو محمد الحسن بن علي، رجال ابن داوود، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف - العراق، طبع عام ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.

٣٨- ابن زهرة الحلبي، محيي الدين محمد بن عبدالله الحسيني (ت ٦٣٩ هـ)، الأربعون حديثاً في حقوق الإخوان، مطبعة مهر، قم، ١٤٠٥ هـ.

٣٩- ابن سعد، أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع البصري البغدادي (ت ٢٣٠ هـ)، الطبقات الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م. وطبعة دار صادر، بيروت.

٤٠- ابن شعبه الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين، تحف العقول عن آل الرسول، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الخامسة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م. وطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ.

٤١- ابن شهر آشوب، أبو جعفر محمد بن علي السروي المازندراني (ت ٥٨٨هـ)، مناقب آل أبي طالب، تحقيق وفهرسة يوسف البقاعي، دار الأضواء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٤٢- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م)، معجم مقاييس اللغة، دار الجليل، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

٤٣- ابن فندق البيهقي، أبو الحسن علي بن أبي القاسم بن زيد (ت ٥٦٥هـ / ١١٦٩م)، لباب الأنساب والألقاب والأعقاب، مكتبة السيد المرعشي النجفي العامة، قم، ١٤١٠هـ.

٤٤- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبدالله بن عبد المجيد بن مسلم (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م)، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية ١٩٩٢م. وطبعة الشريف الرضي، قم، ١٤١٥هـ.

٤٥- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبدالله بن عبد المجيد بن مسلم (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م)، الإمامة والسياسة، دار المعرفة، بيروت - لبنان.

٤٦- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبدالله بن عبد المجيد بن مسلم (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م)، عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٤٧- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبدالله بن عبد المجيد بن مسلم (ت ٢٧٦هـ / ٨٨٩م)، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة: جمال الدين الشيال، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٦٠م.

٤٨- ابن قولويه القمي، أبو القاسم جعفر بن محمد (ت ٣٦٧هـ)، كامل الزيارات، دار المرتضى، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٤٩- ابن الشجري، أبو السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسني العلوي (ت ٥٤٢هـ)، أمالي ابن الشجري، تحقيق محمود محمد الطناحي، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٥٠- ابن الصباغ المالكي، علي بن محمد بن أحمد المكي (ت ٨٥٥هـ)، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، حققه ووثق أصوله وعلّق عليه سامي الغريزي، دار الحديث للطباعة والنشر، قم، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٥١- ابن طاووس، أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد (ت ٦٦٤هـ)، إقبال الأعمال، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٥٢- ابن طاووس، أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد (ت ٦٦٤هـ)، مهج الدعوات ومنهج العبادات، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٥٣- ابن طاووس، أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد (ت ٦٦٤هـ)، فلاح السائل ونجاح المسائل في عمل اليوم والليلة، مركز الإعلام الإسلامي، قم، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٥٤- ابن طاووس، أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد (ت ٦٦٤هـ)، الملهوف على قتلى الطفوف، دار المحجة البيضاء، بيروت - لبنان. د.ت. وطبعة مهر، قم، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٥٥- ابن طلحة، كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي (ت ٦٥٢هـ)، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، المطبعة الحيدرية، النجف - العراق، طبع عام ١٣٧١هـ.

٥٦- ابن طولون الدمشقي، شمس الدين محمد بن علي (ت ٩٥٣هـ)،
الائمة الاثنا عشر، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد، بيروت - لبنان،
١٩٥٨م.

٥٧- ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر (ت ٢٨٠هـ)، كتاب
بلاغات النساء، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤٢٦هـ -
٢٠٠٥م.

٥٨- ابن عبد ربه الأندلسي، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه بن
حبيب بن حدير بن سالم (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م)، العقد الفريد، دار الكتب
العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٥٩- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر
بن عاصم النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب،
دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م. وطبعة المكتبة العصرية،
بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

٦٠- ابن عساكر الدمشقي، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت
١١٧٦م)، تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر، بيروت، طبع عام ١٤١٥هـ.

٦١- ابن عماد الحنبلي، عبد الحميد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) شذرات الذهب
في أخبار من ذهب، دار المسيرة، بيروت، طبع عام ١٩٧٢م.

٦٢- ابن عنبه، جمال الدين أحمد بن علي الحسيني الداودي (ت ٨٢٨هـ)،
عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،
بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

٦٣- ابن كثير الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن
ضوء (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، اعتنى به عبد الحميد هنداوي، المكتبة

العصرية، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م. وطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م. وطبعة دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٦٤- ابن كثير الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء (ت ٧٧٤هـ)، تفسير ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٦٥- ابن الكلبي، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤هـ)، جمهرة النسب، تحقيق د. ناجي حسن، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

٦٦- ابن ماکولا، علي بن هبة الله بن علي بن جعفر بن علي بن محمد بن دلف (ت ٤٧٥هـ)، إكمال الكمال، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٦٧- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم م بن علي (ت ٧١١هـ / ١٣١١م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٦٨- ابن نما الحلي، نجم الدين محمد بن جعفر بن هبة الله (ت ٦٤٥هـ)، مثير الأحزان، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف - العراق، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م.

٦٩- ابن نما الحلي، نجم الدين محمد بن جعفر بن هبة الله (ت ٦٤٥هـ)، ذوب النصار، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

٧٠- ابن هلال الثقفي، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سعيد (ت ٢٨٣هـ)، الغارات، حققه وعلّق عليه السيد عبد الزهراء الحسيني، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

٧١- أبو زهرة، محمد، الإمام زيد: حياته وعصره - آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي، القاهرة، طبع عام ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

(ب)

٧٢- البحراني الأصفهاني، الشيخ عبدالله بن نور الله، العوالم: عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال: الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، تحقيق ونشر مؤسسة الامام المهدي، قم، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.

٧٣- البحراني، علي، منار الهدى في النص على إمامة الاثني عشر، دار المنتظر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٧٤- البحراني، أبو المكارم هاشم بن سليمان بن إسماعيل الحسيني الكتكاني التوبلاني (ت ١١٠٧ هـ أو ١١٠٩ هـ)، البرهان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٧٥- البحراني، أبو المكارم هاشم بن سليمان بن إسماعيل الحسيني الكتكاني التوبلاني (ت ١١٠٧ هـ أو ١١٠٩ هـ)، مدينة المعاجز، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٧٦- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٧٧- البرقي، أبو جعفر أحمد بن عبدالله بن أحمد بن محمد بن خالد (ت ٢٧٤ هـ / ٨٨٧ م)، المحاسن، تحقيق السيد مهدي الرجائي، المجمع العالمي لأهل البيت، قم - إيران، الطبعة الثانية ١٤١٦ هـ.

٧٨- البرقي، أبو جعفر أحمد بن عبدالله بن أحمد بن محمد بن خالد (ت ٢٧٤ هـ / ٨٨٧ م)، رجال البرقي، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، قم، الطبعة الثانية ١٤٣٣ هـ.

٧٩- البروجردي، السيد علي، طرائف المقال، مكتبة السيد المرعشي العامة، قم، الطبعة الأولى، غير مذكور تاريخ الطبع.

- ٨٠- البغدادي، محمد بن محمد الحسيني، عيون الأخبار في مناقب الأخيار، تحقيق: محمد هادي خالقي، دار الحديث، قم، الطبعة الأولى ١٣٨٠ هـ. ش.
- ٨١- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م)، أنساب الأشراف، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.
- ٨٢- البلخي، أحمد بن سهل، البدء والتاريخ، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
- ٨٣- البياضي، أبو محمد علي بن يونس العاملي النباطي (ت ٨٧٧ هـ)، الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم، تحقيق محمد باقر البهبودي، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، الطبعة الأولى.
- ٨٤- البيشوائي، مهدي، سيرة الأئمة الاثني عشر، دار الكاتب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

(ت)

- ٨٥- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م)، سنن الترمذي، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، إستانبول - تركيا. وطبعة المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م.
- ٨٦- التستري، محمد تقي، قاموس الرجال، مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران، الطبعة الثالثة ١٤٢٥ هـ.
- ٨٧- التفرشي، مصطفى بن الحسين الحسيني (ت ١٠٤٤ هـ)، نقد الرجال، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.

٨٨- التميمي الأمدي، عبد الواحد بن محمد (ت ٥١٠هـ)، غرر الحكم ودرر الكلم، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(ث)

٨٩- الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٤٢٧هـ)، تفسير الثعلبي: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

(ج)

٩٠- الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (ت ٢٥٥هـ)، البيان والتبيين، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م. وطبعة دار ومكتبة الهلال، بيروت، طبع عام ١٤٢٣هـ.

٩١- الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت ٦٠٦هـ / ١٢١٠م)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٩٢- الجلال، محمد رضا الحسيني، جهاد الإمام السَّجَّاد (عليه السلام)، دار الحديث، قم، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٩٣- الجلال، محمد رضا الحسيني، الحسين (عليه السلام) سماته وسيرته، دار المعروف، قم، غير مذكور عدد الطبعة ولا تاريخها.

٩٤- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، دار الحديث، القاهرة - مصر، طبع عام ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٩٥- الجيلاني، علي بن فضل الله، توفيق التطبيق، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠١٤ م.

(ح)

٩٦- الحاكم الحسكاني، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن أحمد بن محمد (المتوفى بعد سنة ٤٧٠ هـ)، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت، تحقيق محمد باقر المحمدوي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.

٩٧- الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥ هـ)، المستدرک علی الصحیحین، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

٩٨- الحبري الكوفي، الحسين بن الحكم، تفسير الحبري (مانزل من القرآن في أهل البيت)، تحقيق أحمد الحسيني، مطبعة مهر، قم، الطبعة الأولى ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

٩٩- الحر العاملي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ١١٠٤ هـ)، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

١٠٠- الحر العاملي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ١١٠٤ هـ)، إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

١٠١- الحسيني، محسن، موسوعة الإمام زين العابدين عليه السلام، دار المحجة البيضاء، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م.

١٠٢- الحفني، عبد المنعم، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة - مصر، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.

١٠٣- الحلي، أحمد بن محمد بن فهد (ت ٨٤١ هـ)، عدة الداعي ونجاح الساعي، تحقيق أحمد الموحي القمي، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٠٤- الحلي، جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر (العلامة الحلي)، (ت ٧٢٦ هـ)، نهج الحق وكشف الصدق، دار الكتاب اللبناني، بيروت، طبع عام ١٩٨٢م.

١٠٥- الحلي، جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر (العلامة الحلي)، (ت ٧٢٦ هـ)، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، دار الأميرة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

١٠٦- الحلي، جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر (العلامة الحلي)، (ت ٧٢٦ هـ)، خلاصة الأقوال، مركز تراث الحلة، العتبة العباسية المقدسة، الطبعة الأولى ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨م. وطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

١٠٧- الحلي، أبو القاسم علي بن يوسف بن علي بن محمد بن المطهر (أخو العلامة الحلي)، العدد القوية لدفع المخاوف اليومية، تحقيق السيد مهدي الرجائي، منشورات مكتبة المرعشي النجفي العامة، قم.

١٠٨- الحلي، حسن بن سليمان، مختصر بصائر الدرجات، المكتبة الحيدرية، قم، طبع عام ١٤٢٤هـ.

١٠٩- الحلواني، الحسين بن محمد بن الحسن بن نصر، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، مدرسة الإمام المهدي، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

- ١١٠- الحَمِيرِي القمي، أبو العباس عبدالله بن جعفر، قُرب الإسناد، مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث - قم، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
- ١١١- الحويزي، عبد علي بن جمعة العروسي (ت ١١١٢هـ)، تفسير نور الثقلين، تحقيق: السيد علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(خ)

- ١١٢- الخالدي، كريم حسين، حميدة صالح البلداوي، قراءة لغوية ونقدية في الصحيفة السجادية، دار صفاء - الأردن، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- ١١٣- الخزاز القمي، أبو القاسم علي بن محمد بن علي (ت ٤٠٠هـ)، كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، تحقيق السيد عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي، الناشر: انتشارات بيدار، قم، طبع عام ١٤٠١هـ.
- ١١٤- الخصبي، أبو عبدالله الحسين بن حمدان (ت ٣٣٤هـ)، الهداية الكبرى، مؤسسة البلاغ، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ١١٥- الخوارزمي، أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكّي (ت ٥٦٨هـ)، مقتل الحسين (عليه السلام)، تحقيق الشيخ محمد السماوي، دار أنوار الهدى - قم المقدّسة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
- ١١٦- الخوئي، السيد أبو القاسم الموسوي (ت ١٤١٣هـ)، معجم رجال الحديث، قم - إيران، الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ١١٧- الخوانساري، محمد باقر (ت ١٣١٣هـ)، روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

(د)

١١٨- الدميري، محمد بن موسى بن عيسى بن علي (ت ٨٠٨ هـ - ١٤٠٥ م)، حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ.

١١٩- الدولابي الرازي، أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الأنصاري (ت ٣١٠ هـ)، الذرية الطاهرة، تحقيق: السيد محمد جواد الحسيني الجلال، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ.

١٢٠- الديلمي، الحسن بن محمد (ت ٨٤١ هـ)، أعلام الدين في صفات المؤمنين، تحقيق ونشر مؤسسة البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، قم، الطبعة الثانية ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

١٢١- الديلمي، الحسن بن محمد (ت ٨٤١ هـ)، إرشاد القلوب، الناشر: الشريف الرضي، قم، الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ.

(ذ)

١٢٢- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ)، تاريخ الإسلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

١٢٣- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ)، سير أعلام النبلاء، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م. وطبعة مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤٠٦ هـ.

١٢٤- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ)، تذكرة الحفاظ، المطبعة الجدرية، النجف الأشرف، العراق، طبع عام ١٣٨٣ هـ.

(ر)

١٢٥- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م)، مختار الصحاح، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

١٢٦- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢ هـ)، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

١٢٧- الراوندي، قطب الدين أبو الحسين سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣ هـ)، قصص الأنبياء، تحقيق غلام رضا عرفانيان اليزدي، الناشر: مجمع البحوث الإسلامية، الطبعة الأولى.

١٢٨- الراوندي، قطب الدين أبو الحسين سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣ هـ)، الخرائج والجرائح، مؤسسة الإمام المهدي، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ.

١٢٩- الراوندي، أبو الحسين سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣ هـ)، مكارم أخلاق النبي والأئمة، مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة، كربلاء - العراق، طبع عام ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

١٣٠- الراوندي، قطب الدين أبو الحسين سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣ هـ)، سلوة الحزين وتحفة العليل، الشهير بـ «دَعَوَات الراوندي»، تحقيق عبدالحليم عوض الحلي، الناشر: دليلنا - قم، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ.

١٣١- الريشهري، محمد (ت ١٤٤٣ هـ / ٢٠٢٢ م)، موسوعة الإمام الحسين عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.

١٣٢- الريشهري، محمد (ت ١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م)، موسوعة العقائد الإسلامية، دار الحديث للطباعة والنشر، قم، الطبعة الثالثة ١٤٢٩هـ.

(ز)

- ١٣٣- الزبيدي، أبو الفيز محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت ١٢٠٥هـ / ١٧٩١م)، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ.
- ١٣٤- الزركلي، خير الدين بن محمود (ت ١٩٧٦م)، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة السادسة عشرة ٢٠٠٥م.
- ١٣٥- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت ٥٣٨هـ / ١١٤٣م)، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ١٣٦- الزرندي الحنفي، محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد (ت ٧٥٠هـ)، نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرضى والبتول والسبطين، مطبعة القضاء، الطبعة الأولى ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.
- ١٣٧- زين العابدين، الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام (ت ٩٥هـ)، الصحيفة السجادية الكاملة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(س)

- ١٣٨- السبحاني، جعفر، تاريخ الفقه الإسلامي وأدواره، دار الأضواء، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- ١٣٩- السبحاني، جعفر، بحوث في الملل والنحل، الدار الإسلامية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

- ١٤٠- السبحاني، جعفر، موسوعة طبقات الفقهاء، دار الأضواء، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ١٤١- السبزواري، السيد عبد الأعلى بن علي رضا الموسوي (ت ١٤١٤ هـ)، مهذب الأحكام في بيان الحلال والحرام، دار الإرشاد، بيروت، الطبعة السادسة ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥م.
- ١٤٢- سبط ابن الجوزي، يوسف بن قز أوغلي بن عبدالله (ت ٦٥٤ هـ)، تذكرة الخواص، علّق عليه ووضع حواشيه: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.
- ١٤٣- السّجّستاني الأزدي، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو (ت ٢٧٥ هـ)، سنن أبي داود، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م.
- ١٤٤- السيوري الحلي، مقداد بن عبدالله بن محمد بن الحسين بن محمد (ت ٨٢٦ هـ) والمعروف بـ(الفاضل المقداد)، النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر، دار الأضواء، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨م.
- ١٤٥- السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م.
- ١٤٦- السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥م)، الدر المنثور في التفسير المأثور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة ٢٠٠٠م.

(ش)

١٤٧- الشاهرودي، علي النمازي (ت ١٤٠٥هـ)، مستدركات علم رجال الحديث، مطبعة حيدري، طهران، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

١٤٨- الشبراوي الشافعي، عبدالله بن محمد بن عامر(ت: ١١٧١هـ / ١٧٥٨م)، الإتحاف بحب الأشراف، مطبعة مصطفى البابلي الحلبي - مصر، الطبعة الأولى ١٣٨٥هـ.

١٤٩- الشبلنجي، مؤمن بن حسن مؤمن، نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار، حققه محمد طعمه حلبي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٥٠- الشجري، محمد بن علي بن الحسن العلوي (ت ٤٤٥هـ)، فضل زيارة الحسين (عليه السلام)، تحقيق السيد أحمد الحسيني، مكتبة آية الله المرعشي النجفي العامة، قم، ١٤٠٣هـ.

١٥١- الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم ابن الإمام موسى الكاظم (ت ٤٠٦هـ - ١٠١٥م)، نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب، شرح الشيخ: محمد عبده، دار البلاغة، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م. وطبعة دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، طبع عام ٢٠١٣م.

١٥٢- الشريف المرتضى، أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى (ت ٤٣٦هـ)، الناصريات، الناشر رابطة الثقافة والعلاقات الإسلامية، قم، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

١٥٣- الشعيري السبزواري، محمد، جامع الأخبار: معارج اليقين في أصول الدين، مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، قم، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

- ١٥٤ - شمس الدين، محمد مهدي بن عبد الكريم بن عباس (ت ٢٠٠١م)،
نظام الحكم والإدارة في الإسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،
بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ١٥٥ - الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مؤسسة
البعثة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ١٥٦ - الشيرازي، حيدر علي بن محمد، مناقب أهل البيت، تحقيق: محمد
الحسون، مطبعة المنشورات الإسلامية، قم، ١٤١٤هـ.

(ص)

- ١٥٧ - الصافي الكلبايكاني، الشيخ لطف الله بن محمد جواد (ت ١٤٤٣هـ -
٢٠٢٢م)، منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر، دار المرتضى، بيروت - لبنان،
الطبعة الثالثة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- ١٥٨ - الصبان، محمد بن علي (ت ١٢٠٦هـ)، إسعاف الراغبين في سيرة
المصطفى وفصائل أهل بيته الطاهرين، المطبعة الأزهرية، مصر.
- ١٥٩ - صبحي، أحمد محمود، نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية،
دار النهضة العربية، طبع عام ١٩٩١م.
- ١٦٠ - الصدر، السيد حسن (ت ١٣٥٤هـ)، تكملة أمل الآمل، دار المؤرخ
العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ.
- ١٦١ - الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي
(ت ٣٨١هـ)، التوحيد، صححه وعلّق عليه السيد هاشم الحسيني الطهراني،
دار المعرفة، بيروت - لبنان، غير مذكور عدد الطبعة ولا تاريخها.
- ١٦٢ - الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي

(ت ٣٨١ هـ)، كمال الدين وتمام النعمة في إثبات الرجعة، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، طبع عام ١٤٠٥ هـ. وطبعة المطبعة الحيدرية، النجف - العراق، طبع عام ١٣٨٩ هـ - ١٩٧٠ م.

١٦٣ - الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، الاعتقادات، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م. وطبعة دار المفيد، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.

١٦٤ - الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، معاني الأخبار، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، طبع عام ١٣٧٩ هـ. ١٦٥ - الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، من لا يحضره الفقيه، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

١٦٦ - الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، الأمالي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م. وطبعة مؤسسة البعثة، قم، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ.

١٦٧ - الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، منشورات المكتبة الحيدرية، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ.

١٦٨ - الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، الخصال، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

١٦٩ - الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي

(ت ٣٨١ هـ)، علل الشرائع، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

١٧٠ - الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، ثواب الأعمال، دار الشريف الرضي للنشر، قم، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ.

١٧١ - الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، فضائل الشيعة، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

١٧٢ - الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، مصادقة الإخوان، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

١٧٣ - الصفار القمي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ (ت ٢٩٠ هـ)، بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد، دار جواد الأئمة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

١٧٤ - الصفدي، خليل بن ابيك بن عبدالله (ت ٧٦٤ هـ)، الوافي بالوفيات، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

(ط)

١٧٥ - الطباطبائي، السيد محمد حسين (ت ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م)، الميزان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

١٧٦ - الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي

الشامي (ت ٣٦٠ هـ / ٩١٨ م)، المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية.

١٧٧- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللّخمي الشامي (ت ٣٦٠ هـ / ٩١٨ م)، المعجم الأوسط، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

١٧٨- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللّخمي الشامي (ت ٣٦٠ هـ / ٩١٨ م)، المعجم الصغير، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٧٩- الطبرسي، الميرزا حسين بن محمد تقّي بن علي محمد بن تقّي النوري (ت ١٣٢٠ هـ)، مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، دار الهداية، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.

١٨٠- الطبرسي، الميرزا حسين بن محمد تقّي بن علي محمد بن تقّي النوري (ت ١٣٢٠ هـ)، خاتمة المستدرک، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

١٨١- الطبرسي، أبو الفضل علي بن الحسن بن الفضل بن الحسن بن الفضل (ت ٦١٠ هـ)، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، تحقيق: مهدي هوشمند، دار الحديث، قم، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.

١٨٢- الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨ هـ)، إعلام الوری بأعلام الهدى، دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، طبع عام ١٩٨٥ م. وطبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م. وطبعة مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، قم.

- ١٨٣- الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨ هـ)، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- ١٨٤- الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب (ت ٥٨٨ هـ)، الاحتجاج، تحقيق: الشيخ إبراهيم البهادري والشيخ محمد هادي به، منشورات أسوة، طهران - إيران، الطبعة الخامسة ١٤٢٤ هـ.
- ١٨٥- الطبرسي، أبو نصر الحسن بن الفضل بن الحسن، مكارم الأخلاق، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة السادسة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م. وطبعة دار الوفاق للطباعة والنشر والترجمة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- ١٨٦- الطبري، أبو جعفر محمد بن أبي القاسم (ت القرن السادس الهجري)، بشارة المصطفى ﷺ لشيعته المرتضى (عليه السلام)، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٩ هـ.
- ١٨٧- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٣ م)، تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الحديث، القاهرة - مصر، ٢٠١٠ م.
- ١٨٨- الطبري الإمامي، أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم (المتوفى بعد سنة ٤١١ هـ)، دلائل الإمامة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ١٨٩- الطبري المكي، أحمد بن عبدالله بن محمد (ت ٦٩٤ هـ)، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، الناشر مكتبة القدسي، القاهرة - مصر، ١٣٥٦ هـ.
- ١٩٠- الطريحي، فخر الدين بن محمد علي بن أحمد بن علي بن أحمد بن طريح بن خفاجه بن يعقوب (ت ١٠٨٥ هـ)، معجم مجمع البحرين، مؤسسة

- الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- ١٩١- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠ هـ)، رجال الطوسي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم- إيران، الطبعة الرابعة ١٤٢٨هـ.
- ١٩٢- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠ هـ)، تهذيب الأحكام، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ١٩٣- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠ هـ)، الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، طبع عام ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- ١٩٤- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠ هـ)، اختيار معرفة الرجال: رجال الكشي، تحقيق وتصحيح: محمد تقي فاضل الميدي والسيد أبو الفضل الموسويان، طهران - إيران، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ. ش.
- ١٩٥- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠ هـ)، الفهرست، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- ١٩٦- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠ هـ)، الأمالي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- ١٩٧- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠ هـ)، مصباح المتعجب، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ١٩٨- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠ هـ)، كتاب الغيبة، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم- إيران، الطبعة الثالثة ١٤٢٥هـ.
- ١٩٩- الطوسي، أبو جعفر محمد بن علي (المعروف بابن حمزة)، الثاقب

في المناقب، تقديم وتحقيق: نبيل رضا علوان، دار الزهراء، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٢٠٠ - الطهراني، محمد محسن والشهير بالشيخ آغا بزرك، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، مراجعة وتصحيح وتدقيق: السيد رضا بن جعفر مرتضى العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

(ع)

٢٠١ - العاملي، زين الدين بن علي الجبعي (الشهيد الثاني)، (ت ٩٦٥هـ)، منية المريد في أدب المفيد والمستفيد، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.
٢٠٢ - العاملي، زين الدين بن علي الجبعي (الشهيد الثاني)، (ت ٩٦٥هـ)، مسكن الفؤاد عند فقد الأحبة والأولاد، مؤسسة آل البيت (عليه السلام) لإحياء التراث، قم. وطبعة مكتبة العرفان، الكويت، الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ - ١٩٩٥م.

٢٠٣ - عبد الوهاب، حسين، عيون المعجزات، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف - العراق، طبع عام ١٣٦٩هـ.

٢٠٤ - العسكري، أبو أحمد الحسن بن عبدالله بن سعيد بن إسماعيل (ت ٣٨٢هـ)، تصحيقات المحدثين، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٢٠٥ - العصفري، أبو عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م)، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ.

٢٠٦ - العوتبي الصحاري، سلمة بن مسلم، الأنساب، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط - عمان، الطبعة الرابعة ١٤٢٧هـ.

٢٠٧- العياشي السمرقندي، أبو النضر محمد بن مسعود، تفسير العياشي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.

(غ)

٢٠٨- غير مذكور اسم المؤلف، الأصول الستة عشر من الأصول الأولية، تحقيق: ضياء الدين المحمودي، دار الحديث، قم، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

(ف)

٢٠٩- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ / ١٤١٥م)، معجم القاموس المحيط، دار المعرفة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٢١٠- الفيض الكاشاني، محمد بن مرتضى (ت ١٠٩١هـ)، كتاب الوافي، تحقيق: السيد علي عبد المحسن بحر العلوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٢١١- الفيومي الحموي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي (المتوفى نحو ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف - القاهرة، الطبعة الثانية. د.ت.

(ق)

٢١٢- القاضي المغربي، أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي (ت ٣٦٣هـ)، دعائم الإسلام، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٢١٣- القاضي المغربي، أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي (ت ٣٦٣ هـ)،
 شرح الأخبار، تحقيق السيد محمد الحسيني الجلاي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم.
 ٢١٤- القرشي، باقر بن شريف بن مهدي بن ناصر (ت ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م)،
 موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام الحسين بن علي (عليه السلام)، تحقيق: الشيخ
 مهدي باقر القرشي، دار المعروف، قم- إيران، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ-
 ٢٠٠٩ م.

٢١٥- القرشي، باقر بن شريف بن مهدي بن ناصر (ت ١٤٣٣ هـ /
 ٢٠١٢ م)، موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام زين العابدين (عليه السلام)، تحقيق:
 الشيخ مهدي باقر القرشي، دار المعروف، قم- إيران، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ-
 ٢٠٠٩ م.

٢١٦- القرشي، باقر بن شريف بن مهدي بن ناصر (ت ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م)،
 موسوعة سيرة أهل البيت: الإمام محمد الباقر (عليه السلام)، تحقيق: الشيخ مهدي
 باقر القرشي، دار المعروف، قم- إيران، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ- ٢٠٠٩ م.
 ٢١٧- القرشي، باقر بن شريف بن مهدي بن ناصر (ت ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م)،
 نفحات من سيرة أئمة أهل البيت، دار الهدى، قم- إيران، الطبعة الأولى
 ١٤٢٤ هـ.

٢١٨- القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري
 الخزرجي (ت ٦٧١ هـ)، الجامع لأحكام القرآن: تفسير القرطبي، دار إحياء
 التراث العربي، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
 ٢١٩- القزويني، زكريا، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت،
 الطبعة الأولى ١٩٩٨ م.

٢٢٠- القشيري النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم

(ت ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢٢١- قلعجي، محمد، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٢٢٢- القمي الكوفي، علي بن إبراهيم (ت ٣٢٩ هـ)، تفسير القمي، صححه وعلّق عليه: السيد طيب الموسوي الجزائري، دار السرور، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

٢٢٣- القمي، عباس (ت ١٣٥٩ هـ)، سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، الناشر: أسوة، قم، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.

٢٢٤- القمي، عباس (ت ١٣٥٩ هـ)، الكنى والألقاب، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ.

٢٢٥- القمي، عباس (ت ١٣٥٩ هـ)، الأنوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية، تقديم وتعليق: محمد كاظم الخراساني، دار الأضواء، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

٢٢٦- القندوزي الحنفي، سليمان بن إبراهيم الحسيني البلخي، ينابيع المودة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

(ك)

٢٢٧- الكتبي، محمد بن شاکر (ت ٧٦٤ هـ)، فوات الوفيات، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٠ م.

٢٢٨- الكراجكي، أبو الفتح محمّد بن علي بن عثمان (ت ٤٤٩ هـ)، كنز

الفوائد، حققه وعلّق عليه عبدالله نعمة، دار الأضواء، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٩٨٥ م.

٢٢٩- الكراجكي، أبو الفتح محمّد بن علي بن عثمان (ت ٤٤٩ هـ)، الاستنصار في النصّ على الأئمة الأطهار، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٥ هـ.
٢٣٠- الكراجكي، أبو الفتح محمّد بن علي بن عثمان (ت ٤٤٩ هـ)، معدن الجواهر ورياضة الخواطر، تحقيق السيد حسين الموسوي البروجردي، منشورات مكتبة العلامة المجلسي، قم، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ.

٢٣١- الكفعمي، إبراهيم بن علي بن الحسن بن محمد العاملي (ت ٩٠٥ هـ)، المصباح، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
٢٣٢- الكفعمي، إبراهيم بن علي بن الحسن بن محمد العاملي (ت ٩٠٥ هـ)، البلد الأمين والدرع الحصين، قدّم له وعلّق عليه علاء الدين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧ م.

٢٣٣- الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩ هـ)، أصول الكافي، ضبطه وصحّحه وعلّق عليه: الشيخ محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م. وطبعة دار الحديث العلمية والثقافية، قم، الإعداد والتحقيق: محمد حسين الدرايتي، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ.

٢٣٤- الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩ هـ)، فروع الكافي، ضبطه وصحّحه وعلّق عليه: الشيخ محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م. وطبعة دار الحديث العلمية والثقافية، قم، الإعداد والتحقيق: محمد حسين الدرايتي، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ.

٢٣٥- الكنجي الشافعي، أبو عبدالله محمد بن يوسف بن محمد القرشي (ت ٦٥٨ هـ)، كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب (عليه السلام)، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٢٣٦- الكوراني العاملي: علي، جواهر التاريخ: (سيرة الإمام زين العابدين)، دار الهدى، قم، الطبعة الأولى ١٤٢٧ هـ.

٢٣٧- الكوفي، أبو علي محمد بن محمد بن محمد بن الأشعث، الجعفریات أو الأشعثيات: لإسماعيل بن موسى بن جعفر... بن أبي طالب (عليه السلام)، تحقيق: مصطفى صبحي، تصحيح علاء الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.

٢٣٨- الكوفي، أبو القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات (ت ٣٢٥ هـ)، تفسير فرات الكوفي، تحقيق محمد الكاظم، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

٢٣٩- الكوفي، حسين بن سعيد، الزهد، تحقيق: ميرزا غلام رضا عرفانيان، المطبعة العلمية، قم، طبع عام ١٣٩٩ هـ.

(ل)

٢٤٠- الليثي الواسطي، أبو الحسن علي بن محمد، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق: حسين الحسيني البيرجندي، دار الحديث، قم، الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ. ش.

(م)

٢٤١- المازندراني، محمد صالح، شرح أصول الكافي، ضبط وتصحيح: السيد علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٤٢- المالكي الأشتري الحلي، ورام بن أبي فراس ورام بن حمدان (ت ٦٠٥هـ)، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورام)، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء - العراق، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م. وطبعة دار الكتب الإسلامية، قم، الطبعة الثانية ١٣٦٨هـ. ش.

٢٤٣- المامقاني، عبدالله بن محمد حسن بن عبدالله (ت ١٣٥١هـ)، تنقيح المقال في علم الرجال، تحقيق: محيي الدين المامقاني، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

٢٤٤- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي (ت ٢٨٦هـ / ٨٩٩م)، الكامل في اللغة والأدب، دار الفكر العربي، القاهرة - مصر، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢٤٥- المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين (ت ٩٧٥هـ / ١٥٦٧م)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، طبع عام ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، غير مذكور عدد الطبعة.

٢٤٦- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي (ت ١١١١م)، بحار الأنوار، مؤسسة أهل البيت، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٢٤٧- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي (ت ١١١١م)، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.

٢٤٨- المحلي، حميد بن أحمد بن محمد (ت ٦٥٢هـ)، الحقائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية، نشر جامع النهرين، صنعاء - اليمن.

٢٤٩- المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف (ت ٧٤٢هـ / ١٣٤١م)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٢٥٠- مجموعة من الباحثين، الموسوعة العربية العالمية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض - السعودية، الطبعة الثانية ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

٢٥١- مجموعة من الباحثين، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، المكتبة الإسلامية، استانبول- تركيا، غير مذكور سنة الطبعة ولا تاريخها.

٢٥٢- المرعشي النجفي، السيد شهاب الدين (ت ١٤١١ هـ)، شرح إحقاق الحق، منشورات مكتبة المرعشي النجفي العامة، قم، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.
٢٥٣- المرعشي النجفي، السيد شهاب الدين (ت ١٤١١ هـ)، مجموعة نفيسة في تاريخ الأئمة عليهم السلام من آثار القدماء من علماء الإمامية الثقات، دار القارئ، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٢ م.

٢٥٤- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ - ٩٥٧ م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، اعتنى به وراجعته: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.

٢٥٥- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ - ٩٥٧ م)، إثبات الوصية، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، قم، الطبعة الثالثة ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م.

٢٥٦- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ - ٩٥٧ م)، التنبيه والأشراف، دار ومكتبة الهلال، بيروت، طبع عام ١٩٨١ م.

٢٥٧- المشغري العاملي، جمال الدين يوسف بن حاتم بن فوز بن مهند الشامي (ت ٦٦٤ هـ)، الدر النظيم في مناقب الأئمة اللهايم، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، د.ت.

٢٥٨- المشهدي الحائري، أبو عبدالله محمد بن جعفر بن علي (ت ٦١٠ هـ)،

المزار الكبير، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، الطبعة الاولى ١٤١٩هـ.

٢٥٩- مصطفى، عبد الحسين، أقطاب الدوائر في تفسير آية التطهير، دار القرآن الكريم، قم، طبع عام ١٤٠٣هـ.

٢٦٠- المظفر، محمد حسن (ت ١٣٧٥هـ)، دلائل الصدق لنهج الحق، مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م.

٢٦١- المظفر، محمد رضا، عقائد الإمامية، دار المرتضى، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م. وطبعة مؤسسة أم البنين، بيروت - لبنان، الطبعة العاشرة ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٢٦٢- المفيد، أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣هـ)، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، غير مذكور تاريخ الطبعة. وطبعة دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، تحقيق مؤسسة آل البيت عليه السلام لتحقيق التراث، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٢٦٣- المفيد، أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣هـ)، أوائل المقالات، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، طبع عام ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢٦٤- المفيد، أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣هـ)، تصحيح الاعتقاد، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، د.ت.

٢٦٥- المفيد، أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣هـ)، الاختصاص، تحقيق علي أكبر غفاري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

- ٢٦٦- المفيد، أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣ هـ)، الأمالي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، د.ت.
- ٢٦٧- المفيد، أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣ هـ)، المقنعة، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، د.ت. وطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران، الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ.
- ٢٦٨- المفيد، أبو عبدالله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣ هـ)، المسائل الجارودية، تحقيق الشيخ محمد كاظم مدير شانجي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- ٢٦٩- المقرم، عبد الرزاق الموسوي (ت ١٣٩١ هـ)، حياة الإمام زين العابدين (عليه السلام)، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء - العراق، الطبعة الأولى ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.
- ٢٧٠- معرفة، محمد هادي (ت ١٤٢٧ هـ)، التفسير الأثري الجامع، قم، إيران، ١٣٨٧ هـ. ش.
- ٢٧١- مغنية، محمد جواد، الشيعة في الميزان، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- ٢٧٢- مغنية، الشيخ محمد جواد (ت ١٩٧٩ م)، فقه الإمام جعفر الصادق عرض واستدلال، مؤسسة السبطين العالمية، قم - إيران، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ.
- ٢٧٣- المناوي، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي القاهري (ت ١٠٣١ هـ)، فيض القدير: شرح الجامع الصغير، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

(ن)

- ٢٧٤- النجاشي، أحمد بن علي بن أحمد (ت ٤٥٠ هـ)، رجال النجاشي، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
- ٢٧٥- النجفي، الشيخ محمد حسن بن محمد باقر (ت ١٢٦٦ هـ)، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة السابعة ١٩٨١ م.
- ٢٧٦- النراقي، أحمد بن محمد مهدي، والمعروف بالمحقق النراقي (ت ١٢٤٥ هـ)، مستند الشيعة في أحكام الشريعة، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ.
- ٢٧٧- النعماني، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر (ت ٣٦٠ هـ)، الغيبة، تحقيق: علي أكبر الغفاري، نشر مدين، قم، ١٤٢٦ هـ. وطبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، الطبعة الأولى ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.
- ٢٧٨- النووي الشافعي، محيي الدين يحيى بن شرف (ت ٦٧٦ هـ / ١٢٧٧ م)، تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان. وطبعة دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ.
- ٢٧٩- النويري: أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٣ م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م. وطبعة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة.
- ٢٨٠- النيسابوري، محمد بن الفضال (ت ٥٠٨ هـ)، روضة الواعظين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.

(هـ)

- ٢٨١- الهاشمي العلوي، زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ت ١٢٢هـ)، مسند زيد بن علي، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان.
- ٢٨٢- الهلالي الكوفي، أبو صادق سليم بن قيس العامري (ت ٧٦هـ)، كتاب سليم بن قيس الهلالي، دار الحوراء، بيروت، ٢٠١٦م.

(ي)

- ٢٨٣- الياسري، عبدالله شمخي موسى، الإمام زين العابدين (عليه السلام) وجهوده في علوم القرآن، العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء - العراق، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ.
- ٢٨٤- الياضي اليمني المكي، عبدالله بن أسعد (ت ٧٦٨هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ٢٨٥- اليزدي، السيد محمد كاظم الطباطبائي (ت ١٣٣٧هـ)، العروة الوثقى، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ.
- ٢٨٦- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت ٢٩٢هـ)، تاريخ اليعقوبي، علّق عليه ووضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ٢٨٧- اليماني الموسوي، محمد كاظم بن أبي الفتوح بن سليمان، النفحة العنبرية في أنساب خير البرية، مكتبة المرعشي النجفي العامة، قم، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
- ٢٨٨- اليماني، يحيى بن أبي بكر العامري الحرزي، غربال الزمان في وفيات الأعيان، دار الخير، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

فهرس الايات

- الأحزاب: ٣٣..... ٣
- سورة الزمر: الآية ٤٢..... ٤٢
- ص: ٧..... ٥١
- الشعراء: ٢٢٧..... ٦٩
- سورة الأنعام: الآية ١٢٤..... ٨١
- المؤمنون: ١٠٨..... ٨٥
- الأنعام: ٤٤ - ٤٥..... ٩٢
- الحج: ٣٨..... ٩٦
- فاطر: ٣٧..... ١١٢
- البقرة: ٥٤..... ١١٥
- الأنفال: ٦٠..... ١١٥
- سورة الأنعام: الآية ١٢٤..... ١٤١
- إبراهيم: ٧..... ١٤٣
- آل عمران: ١٨٧..... ١٤٣
- الأعراف: ١٦٩..... ١٤٤
- الذاريات: ٥٥..... ١٤٤
- مريم: ٥٩..... ١٤٦
- يوسف: ٨٦..... ١٥٨
- ص: ٧..... ١٦١
- البقرة: ١٥٦..... ١٦٣
- الأنعام: ٦٨..... ١٧١

- الإسراء: ٣٦ ١٧١
- طه: ٣٠ ١٧٦
- هي سورة الواقعة (٥٦) ٢١١
- وهي سورة الفتح (٤٨) ٢١١
- سورة الزمر: الآية ٧٤ ٢١١
- إشارة إلى الآية ٧٤ من سورة الزمر (٣٩) ٢١٢

فهرس المحتويات

- الفهرس الإجمالي
- الفهرس التفصيلي



الفهرس الاجمالي

٧	مدخل تمهيدي
٩	يزيد بن معاوية بن أبي سفيان
١٧	يزيد والموبات الكبيرة
٢٨	تحدي ابن زياد
٣١	توبيخ الإمام زين العابدين لأهل الكوفة
٣٤	الإمام زين العابدين في مجلس يزيد
٥٦	معاوية بن يزيد بن معاوية
٦٤	عبدالله بن الزبير بن العوام
٧٢	مروان بن الحكم بن أبي العاص
٧٨	عبدالمك بن مروان بن الحكم
١٠١	الوليد بن عبدالمك بن مروان
١١٠	١- الثورات والانتفاضات وموقفه منها
١٣٧	٢- موقفه من علماء البلاط الأموي
١٤٩	٣- موقفه من حكام الظلم والجور
١٥٧	١- إبراز مظلومية أهل البيت
١٦٤	٢- إيصال رسالة النهضة الحسينية
١٧٠	٣- بث الوعي في الأمة
١٧٩	٤- رعاية الجماعة المؤمنة
١٨٣	٥- الإصلاح الاجتماعي
١٨٩	خلاصة الباب الرابع
٢٠٩	الإمام زين العابدين عليه السلام يودع الدنيا

٢١٣	نصّه بالإمامة على الإمام الباقر (عليه السلام).....
٢١٥	وصاياه (عليه السلام) لولده الإمام الباقر.....
٢١٧	وفاة الإمام زين العابدين (عليه السلام).....
٢٢٣	تجهيزه (عليه السلام) والصلاة عليه.....
٢٢٦	مواراته (عليه السلام) الثرى فى البقى.....
٢٣١	قصار الحكم للإمام زين العابدين (عليه السلام).....
٢٤٨	خلاصة الباب الخامس.....
٢٥٥	نتائج الدراسة.....
٢٦٨	توصيات الدراسة.....
٢٧٥	فهرس المصادر والمراجع.....

الفهرس التفصيلي

٧	مدخل تمهيدي
٩	يزيد بن معاوية بن أبي سفيان
١٠	شخصية يزيد
١٠	١ - صفاته الجسمية والنفسية:
١١	٢ - إدمانه على الخمر:
١٣	٣ - ولعه بالغناء والطرب:
١٥	٤ - شغفه بالقروء:
١٦	٥ - لهوه بالصيد:
١٧	يزيد والموبقات الكبيرة
١٧	١ - قتل الإمام الحسين (عليه السلام):
١٨	٢ - استباحة المدينة المنورة:
٢١	الإمام زين العابدين (عليه السلام) ومسلم بن عقبة
٢٤	٣ - رمي الكعبة بالمنجنيق:
٢٨	تحديّ ابن زياد
٣١	توبيخ الإمام زين العابدين لأهل الكوفة
٣٤	الإمام زين العابدين في مجلس يزيد
٤٠	التحريض على قتل الإمام زين العابدين (عليه السلام)
٤٣	التنصل من المسؤولية وإقامة المآتم في البلاط الأموي
٤٦	ما طلبه الإمام زين العابدين من يزيد
٤٩	وصول آل الرسول إلى المدينة
٥٣	وانتصر الحسين (عليه السلام)

هلاک یزید.....	٥٣
معاویة بن یزید بن معاویة	٥٦
اغتيال معاویة بن یزید	٦٢
عبدالله بن الزبیر بن العوام	٦٤
شدة العداوة لبني هاشم	٦٧
الانتقاص من أمير المؤمنين (عليه السلام)	٦٩
الإمام زين العابدين (عليه السلام) وابن الزبیر	٧٠
مروان بن الحكم بن أبي العاص	٧٢
سبُّه لأمر المؤمنين (عليه السلام)	٧٣
مطاردة الشيعة	٧٥
هلاک مروان.....	٧٥
عبدالمک بن مروان بن الحكم	٧٨
ولاة عبدالمک	٨٠
الحجاج والياً على العراق	٨٣
اقتراح الحجاج بقتل الإمام زين العابدين (عليه السلام)	٨٦
عداؤه لأمر المؤمنين (عليه السلام)	٨٧
قتل کمیل بن زیاد النخعي	٨٩
هدمه للكعبة المعظمة	٩٢
هلاک الحجاج	٩٣
مواقف الإمام زين العابدين مع عبدالمک بن مروان	٩٥
أولاً- الإمام لا يأبه بالخليفة الأموي:	٩٥
ثانياً- طلب الحصول على سيف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):	٩٦

- ثالثاً- تحذيره من الاغترار بالحكم: ٩٧
- رابعاً- اعتقال الإمام: ٩٨
- هلاك عبدالمملك بن مروان ٩٩
- الوليد بن عبدالمملك بن مروان ١٠١
- تهديد الناس بالقتل ١٠٢
- اللحن في الكلام ١٠٤
- من سيرته وأفعاله ١٠٥
- بغضه لأهل البيت (عليه السلام) ١٠٦
- قتل سعيد بن جبير ١٠٧
- اغتيال الإمام زين العابدين (عليه السلام) ١٠٧
- ١- الثورات والانتفاضات وموقفه منها ١١٠
- أولاً- ثورة التوابين: ١١٠
- ثانياً- ثورة المختار: ١١٨
- الإمام زين العابدين (عليه السلام) وعلاقته بالمختار ١٢٢
- المختار في كتب الرجال ١٢٥
- بقية الثورات والانتفاضات ١٢٨
- ١- ثورة أهل المدينة: ١٢٨
- ٢- ثورة أهل مكة: ١٣١
- ٣- ثورة مطرف بن المغيرة: ١٣٣
- ٤- ثورة ابن الأشعث: ١٣٣
- ٥- ثورة زيد بن علي بن الحسين: ١٣٣
- ٦- ثورة العباسيين: ١٣٣

موقف الإمام زين العابدين من الثورات	١٣٤
٢- موقفه من علماء البلاط الأموي	١٣٧
الزهري في البلاط الأموي	١٣٨
الإمام زين العابدين وعلماء السلاطين	١٤٠
١- إسماعه المواعظ والعبر:	١٤٠
٢- التوجيه الخاص:	١٤١
٣- التصغير والتهوين:	١٤٢
٤- التكذيب لتملقاته:	١٤٢
رسالة الإمام زين العابدين للزهري	١٤٢
٣- موقفه من حكام الظلم والجور	١٤٩
خلاصة الموقف السياسي للإمام	١٥٢
١- إبراز مظلومية أهل البيت	١٥٧
بيان مظلومية أهل البيت	١٥٩
٢- إيصال رسالة النهضة الحسينية	١٦٤
إقامة العزاء على الإمام الحسين (عليه السلام)	١٦٦
٣- بث الوعي في الأمة	١٧٠
الدعوة إلى العلم	١٧٠
المراقبة الذاتية	١٧١
رسالة توعوية	١٧٣
٤- رعاية الجماعة المؤمنة	١٧٩
٥- الإصلاح الاجتماعي	١٨٣
الإمام وبيان حرمة الغناء	١٨٦

١٨٧	 جهود الإمام الإصلاحية
١٨٧	١ - تربية الكوادر الرسالية:
١٨٧	٢ - التركيز على البعد الروحي:
١٨٧	٣ - التشجيع على العلم:
١٨٧	٤ - التوجيه السياسي:
١٨٩	 خلاصة الباب الرابع
٢٠٩	 الإمام زين العابدين عليه السلام يودّع الدنيا
٢٠٩	 الإمام عليه السلام ينعى نفسه
٢١١	 حال احتضاره
٢١٣	 نصّه بالإمامة على الإمام الباقر عليه السلام
٢١٥	 وصاياه عليه السلام لولده الإمام الباقر
٢١٧	 وفاة الإمام زين العابدين عليه السلام
٢١٧	 أولاً - مات حتف أنفه:
٢١٨	 ثانياً - مات مسموماً:
٢٢١	 الرأي المختار
٢٢٣	 تجهيزه عليه السلام والصلاة عليه
٢٢٦	 مواراته عليه السلام الثرى في البقيع
٢٢٦	 إلى بقيع الغرقد
٢٣١	 قصار الحكم للإمام زين العابدين عليه السلام
٢٤٨	 خلاصة الباب الخامس
٢٥٥	 نتائج الدراسة
٢٦٨	 توصيات الدراسة

٢٧٥	فهرس المصادر والمراجع
٢٧٥	(أ)
٢٨٤	(ب)
٢٨٥	(ت)
٢٨٦	(ث)
٢٨٦	(ج)
٢٨٧	(ح)
٢٨٩	(خ)
٢٩٠	(د)
٢٩٠	(ذ)
٢٩١	(ر)
٢٩٢	(ز)
٢٩٢	(س)
٢٩٤	(ش)
٢٩٥	(ص)
٢٩٧	(ط)
٣٠١	(ع)
٣٠٢	(غ)
٣٠٢	(ف)
٣٠٢	(ق)
٣٠٤	(ك)
٣٠٦	(ل)

٣٠٦ (م)

٣١١ (ن)

٣١٢ (هـ)

٣١٢ (ي)

